

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية الجيب

في كل رواية متعة دائمة

و. نبيل فاروق

كوكب  
٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

Looloo

45

www.dvd4arab.com

جريمة رقمية



• مع القرن الحادى والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..



## فلسفة الخيال

مع مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ، غرقت الإمبراطورية الصينية في حروب طاحنة ، للحفاظ على أمنها ، وضمان وحدتها ، والدفاع عن أرضها ، ضد غزاة جذبتهم حضارتها ، من كل أركان الأرض ..

وفي عام 1232م ، بلغت تلك الحروب ذروتها ، وحاصر الأعداء الإمبراطورية الصفراء ، وهموا باقتحامها ، واحتلالها ، و....

ولكن التاريخ يحمل لنا مفاجأة مدهشة ، في ذلك العام بالتحديد .. فأول مرة ، استخدم الصينيون ما وصفته كتب التاريخ بأسمهم النار الطائرة ..

ولكن بعض العلماء يؤكدون ، أن تلك الأسهم ، لم تكن سوى أول صواريخ عرفها البشر ..

فأكثر ما امتاز به الصينيون ، في تلك الفترة ، بعد براعتهم الكيميائية ، كانت قدرتهم على الخيال والابتكار ..

وخيالهم ، مع كيميائهم ، صنعا أول الصواريخ ..

وفي عام 1812م ، وأثناء حرب البريطانيين مع الأمريكيين ، طورَ البريطاني ( ويليام كونجرين ) صواريخ تحمل مواد متفجرة ..

وكانت مفاجأة للأمريكيين ..

ونقطة تفوق للبريطانيين ..

ولكن صواريخ ( كونجرين ) لم تكن بالقوة الكافية ، لتريح ( بريطانيا ) الحرب ، لذا فقد طواها الزمن ، ونساها الأمريكيون ، مع فرحتهم بالاستقلال ، فاخترت في خيال العلماء ، حتى عام 1903م ، عندما خرج مدرس الثانوى الروسى ( كونستانتين تسيبو لكوفيسكى ) بأول نظرية علمية صحيحة ، لإطلاق الصواريخ ..

وكانت هذه هى البداية العلمية الحقيقية ..

ولكن القاعدة الأساسية ، فى التاريخ كله ، تؤكد أن الخيال يسبق العلم دوماً ..

ويلهمه ..

ويدعمه ..

ففى عام 1870م ، وقيل نظرية ( تسيبو لكوفيسكى ) برقع قرن تقريباً ، نشر أبو الخيال العلمى ( جول فيرن ) ( 1828 - 1905م ) روايته الخالدة ، ( حول القمر ) ..



وفى روايته ، وقبل أن ينشأ علم الفضاء ، تخيل ( فيرن )  
الصواريخ ، وإطلاقها ، ومناطق انعدام الوزن ، والمسارات  
الكونية ..

كل هذا توصل إليه خياله ، وصاغه قلمه المبدع فى روائع ،  
ما زالت متداولة ، حتى يومنا هذا ..

وروائعه هذه ، هى التى ألهمت قرينه البريطانى ( هيربرت  
جورج ويلز ) ، ( 1866 – 1946م ) ، ليضع بدوره رائعته ،  
( حرب الكواكب ) ، و( أوصل من وصل القمر ) ( 1898م ) ..

الاثنان سبق خيالهما عصرهما بعدة سنوات ..

وبعدة مراحل ..

فبخيالهما صعدا إلى القمر ، قبل أن يأتى الأمريكى ( روبرت  
جودارد ) ، ليصنع أول صاروخ بطاقة دفع ، فى عام 1926م ،  
ويصبح بهذا أبا الصواريخ ..

ولكن التطوير الفعلى والحقيقى للصواريخ ، التى نعرفها الآن ،  
وُلد على يد الألمانى ( فون براون ) ، فى الحرب العالمية الثانية ،  
ليمنح النازية صاروخها المدمرين ( ف - 1 ) ، و( ف - 2 ) ،  
الذين دمرا نصف ( لندن ) ، وكاد يمنحها تحفته ( ف - 3 ) ،

القادرة على عبور المحيط ، وضرب الولايات المتحدة الأمريكية  
نفسها ، لولا أن سقط الرايخ الثالث ، وخسرت النازية الحرب ،  
فاتنقل ( فون براون ) ، مع ألفى رجل من علماء الصواريخ إلى  
( أمريكا ) ؛ ليبدأ هناك عصر الفضاء ..

الأمر كله بدأ بخيال إنن ..

وهنا تكمن الفلسفة ..

فلسفة الخيال ..

فالحضارات العظيمة ، والمخترعات الرائعة والمذهلة ، لم تكن  
فى بدايتها سوى فكرة ..

إلهام ..

خيال ..

ومن الخيال ، تنبت دوماً بذرة واقع ..

وتتمو ..

وتكبر ..

وتمتد فروعها فى كل مكان ..

والعلم يتأثر دوماً بالخيال ، ويسعى



لمحة وثبت إلى عقل ما ، إلا وهناك وسيلة لتحويلها إلى حقيقة ..

حقيقة علمية ..

ومادية ..

وموجودة ..

الغواصة أيضاً بدأت بكرة معدنية مصممة ، ابتكرها عقل الهولندي (كورنيلوس فان درييل ) ، عام 1775م ، ثم حوّلها الأمريكي (روبرت فولتن ) إلى حقيقة بسيطة ، عام 1800م ، ألهمت عقل (فيرن ) ، وجعلته يسعى لتطويرها ، ويصنع منها سلاحاً رهيباً ، يقوده قبطان نصف مجنون ، مهووس بالسلطة والعلم ، وهو الكابتن ( نيمو ) ..

وفى رائعته ، ( عشرون ألف فرسخ تحت الماء ) ، التي نشرها فيرن عام 1870م ، منح غواصة سمات بدت خيالية ، مغرقة في الخيال في حينها ، ومنحها اسم ( نونتيوس ) ..

وجاءت الحروب العالمية ، وأصبحت الغواصة سلاحاً خطيراً وفعالاً ، إلا أنها لم تبلغ قط ما تخيله ( فيرن ) في روايته ..

لم تبلغه ، إلا عندما أصبحت غواصة نووية ، عام 1954م ..

والمدّهِش أن الغواصة النووية وحدها ، أمكنها أن تحقّق ما تخيله فيرن في غواصته ، قبل ثمانية عقود من الزمان ..

المدّهِش أكثر أن الأمريكيين منحوها أيضاً نفس الاسم ..

... ( نوتيليوس )

حتى الصاروخ ، عندما بنوه ، استلهموا هيئته من الرسم على

غلاف رواية ( فيرن ) ..

وكل هذا مجرد أمثلة بسيطة ، لما بدأه الخيال ..

ولما أنجزه العلم ..

ولما ألّفناه في عالمنا ..

ولكن فلسفة الخيال لا تنتهي أبداً ..

فالعلماء تساعلوا : ما داموا قد حوّلوا الغواصة والصاروخ إلى

حقائق ، وما دامت مبتكرات ليوناردو دافنشى ( 1452 — 1519م ) ،

قد سبقّت عصرها بمئات السنين ، عندما تخيل الطائرة ،

والهليكوبتر ، والمدفع الرشاش ، وزى الغوص ، وغيرها ..

فماذا لا يسعون خلف صور الخيال الأخرى أيضاً ؟! ..

وهكذا ، اتخذ العلماء من الخيال ركيزة ، انطلقوا منها إلى

محيط هائل من الابتكارات والاختراعات ..

ودون تردّد ، يمحو وجوههم شطر آة الزمن .

والرجل الخفى ..

والرجل الذئب ..

وكل خيال جامع آخر ..

ومع مضي الزمن ، أدرك العلماء قاعدة مدهشة جديدة ..

كل خيال ، يمكن أن يتحوّل إلى واقع ..

كل خيال ..

بلا استثناء ..

وخلال العقد الأخير من القرن العشرين ، أثبتت منجزات العلم  
أن هذا لم يكن خيالاً مبالغاً منهم ..

بل كان مجرد طموح ..

طموح قادهم إلى ما يفوق حتى قدرتنا على الخيال ..

أما الغد ، والذي أعلن عن بدايته ، مع مطلع القرن الحادى  
والعشرين ، فقد بشرهم بالمزيد ..

والمزيد ..

والمزيد ..

فخيالات الأمس واليوم ، أصبحت حقائق ..

أو توشك أن تصبح كذلك ..

وكل ما بهر عقولنا يوماً ، سيصبح بين أصابعنا ..

وفى بيوتنا ..

وملك أبنائنا ..

عندما يأتى الغد .

د . نبيل فاروق

## لأدب الخيال العلمي للشباب

أصدقائي ...

أصدقاء الورق ....

ترددت كثيراً ، وأنا أضع اللمسات الأولى لهذه المسابقة ، التي أردت بها رد الجميل لعالم النشر ، الذي اختارنى ذات يوم ، وكنت كاتباً مجهولاً ، بمثل أعماركم أو أكبر قليلاً ، لكى يمنحني فرصة العمر ، فى تقديم خلاصة فكرى وقلمى ، لمن ينشدون هذا النوع من الأدب ...

فعندما بدأت فى نشر روايات الخيال العلمى كمحترف ، عام 1984م ، لم تكن هناك أرضية شعبية واضحة ، لهذا النوع من الأدب ، الذى يعتمد على مزج الحقائق العلمية بالخيال ، وبمحاولات التنبؤ المستقبلية ، بما يمكن أن يحمله لنا العلم ، إذا ما أوليناها اهتماماً حقيقياً .....

لم تكن هنا أرضية لهذا المزيج الممتع ، سوى كتابات منفردة ، لبعض كبار الكتاب ، مثل (د. مصطفى محمود) ، و(صبرى موسى) وحتى (توفيق الحكيم) ، و(يوسف السباعى) ، حتى ظهر عبقرى وأب الخيال العلمى فى مصر ، الأستاذ المبدع (نهاد

شريف ) ، الذى منحنى الأمل ، فى أن يستوعب السوق المصرى هذا النوع من الأدب .....

وإن كان من الصعب أيامها مزج العلم بالخيال ، فما بالك وأنا أمزج بهما الإثارة والتشويق والمغامرة أيضاً !! .....

ولأئنى وجدت أيامها عقلية متفتحة منطلقة ، مثل الأستاذ (حمدي مصطفى) ، ومؤسسة ذات انطلاقة جديدة فى عالم الرواية ، مثل المؤسسة العربية الحديثة ، فقد حصلت ، بتوفيق من الله عزّ وجلّ وبإرادته ، على فرصة النشر ، التى كان من نتائجها حصولي على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الخيال العلمى عام 2008م ، عن أعمالى فى عام 2007م ، وعن سلسلة ملف المستقبل بالتحديد .....

سبب ترددى لم يكن كل هذا ، ولكنه كان وضع اسمى على المسابقة ، وهذا ما اقترحه وأصرّ عليه بعض الرفاق ، وبعض تلامذتى أيضاً ...

ولقد مرّ الموسم الأوّل للمسابقة بنجاح والحمد لله - سبحانه وتعالى - ، ونحن بصدد إعلان جوائز الموسم الثانى بأذن الله ....





وفي نهاية هذا العمل ، وفي (مجلتنا) ، ستقرعون الأعمال  
الثلاثة الفائزة بالمسابقة ، في موسمها الأول ....

شكرى الجزيل لكل من شارك في المسابقة ، وتمنياتى بأن  
تحقق الهدف المرجو منها ، فى كشف مواهب شابة جديدة ، فى  
ذلك المضمار ، الذى طالما عشقته ....

مضمار الخيال .....

الخيال العلمى .

د.نبيل فاروق

## وللتخابر أيضاً ... تاريخ

(دراسة)

انتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945م ، بذلك الحادث المروّع ، الذى أفنت فيه القنابل الذرية ، لأول مرة ، مدينتيّن سكتينتين كبيرتين عامرتين بالسكان ، من رجال ونساء وأطفال وشيوخ وعجزة ، فيما يعد أكبر مذبحه عرفها التاريخ المكتوب ، وتصور العالم أنه ، وبعد هذه المأساة ، سيشهد ويحيا أخيراً ، فى سلام وونام ، وراحة من الحروب والقتال ، إلا أنه لم يتصور قط ، أنه فى نفس اللحظة ، التى وضعت فيها الحرب أوزارها ، أو ربما قبلها بفترة طويلة ، كان العالم يستعد لحرب أخرى طاحنة غير معلنة ..... حرب الجواسيس ..

فالحرب العالمية الثانية ، حوت من عمليات التخابر والجاسوسية ما أثار الدهشة ، والانبهار ، وأثبت قوّة هذا السلاح السرى الرهيب ، فى تحقيق ما تعجز عنه جيوش هائلة ، مزوّدة بأحدث السلاح ، وأقوى العتاد ... فخلال الحرب ، نجح جاسوس بريطانى فى الوصول إلى هتلر شخصياً ؛ وأقنعه بكسر معاهدة عدم الاعتداء ، التى وقّعها مع روسيا ، وشن الحرب عليها ، بحجة أنها تستعد بدورها لضرب ألمانيا ، فانتقلت جيوش هتلر فيما عرف بعملية بارباروسا ؛ لاحتلال روسيا ؛

وذلك لكى يخف الضغط عن الجبهة البريطانية ، وكانت عملية مخابراتية ناجحة ، أعقبتها المخابرات البريطانية بعدد من العمليات المدهشة ، فاستولت على خزائن المخابرات النازية ، ودست رسائل لاساكية للأسطول اليابانى ، أقنعته من خلالها بأن أمريكا تنوى توجيه ضربة إليه ، مما جعله يسارع بتوجيه ضربة وقائية للأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ، فجن جنون الأمريكيين ، وأعلنوا الحرب على اليابان وألمانيا ، وهذا بالضبط ما كانت تسعى إليه المخابرات البريطانية ؛ حتى تحظى بحليف قوى ، كان يتردد كثيراً فى خوض الحرب ...

وحتى فى النهايات ، نجح جاسوس سوفيتى ، وهو ريتشارد سورج ، الذى يلقّب فى عالم الجاسوسية بالأستاذ ، فى الوقوع على سر عسكري يابانى شديد الخطورة ، يؤكّد أن اليابان لن تثن الحرب على روسيا ، مما شجع روسيا على تركيز حربها كلها على الجبهة الألمانية ، مما كان بداية النهاية للجيوش النازية فى آسيا ، فى نفس الوقت الذى استخدم فيه البريطانيون جاسوساً ميثاً ، فى واحدة من أشهر وأقوى عمليات المخابرات عبر التاريخ ؛ لإقناع الألمان بأن غزو أوروبا سيأتى من كاليه ، ثم انقضوا من نورماندى ، فكانت بداية النهاية للنازيين فى أوروبا ....

المخابرات البريطانية ، والروسية ، والنازية ، واليابانية تألقت في الحرب ، وأسالت لعاب الجميع للعبة بعد الحرب ، وعلى رأسهم القوى العظمى الجديدة أمريكا ، التي خرجت من الحرب كأقوى دولة في العالم ، باعتبار أنها كانت الوحيدة ، التي تمتلك القنبلة الذرية ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، أدركت قوة المخابرات وأجهزة المخابرات ؛ لأنه ليست كل الحروب يمكن حسمها بالقنابل الذرية ، أو حتى بالقوة .... هناك حروب تحتاج إلى العقل والصبر والمعرفة والحيلة والذكاء والابتكار وغازرة المعلومات ، وكل هذه الصفات يمكن دمجها في كلمة واحدة .... المخابرات ..

وفي ذلك الحين ، لم يكن لدى أمريكا جهاز مخابرات ، على غرار البريطانيين والسوفيت ، ولكن كان لديها مكتب معلومات استراتيجي ، بالإضافة إلى عشرات الخبراء الألمان السابقين ، في هذا المضمار ، لذا فقد اتخذت قرارها ، وأنشأت نواة مخابراتها ، في أواخر الأربعينيات ، لتتبعها إسرائيل في بداية الخمسينيات ، بإنشاء الموساد ، الذي تلقى رجاله تدريباتهم ، في المخابرات الأمريكية حديثة العهد ، ثم جاءت حركة يوليو 1952م ، لتنتبه للأمر ، وتبدأ بنظام تخاير محدود ، يتبع الداخلية ، ثم تطوره بقرار إنشاء المخابرات العامة ، عام 1955م ، لتبدأ مصر واحداً من أزهى عصورها المخابراتية ...

وربما كانت أشهر عمليات المخابرات المصرية ، المعروفة للكافة ، هي عملية زرع رفعت الجمال في قلب إسرائيل ، والتي لا تعد من أنجح عمليات المخابرات المصرية فحسب ، ولكنها من أنجح عمليات المخابرات عبر التاريخ ؛ نظراً لأن رفعت قد أدى مهمته ، واعتزل ، وواصل حياته ، ومات على فراشه ، دون أن ينكشف أمره لحظة واحدة ، على عكس ما يدعيه الإسرائيليون ، وما يحاولون به سحب بساط النصر ، من تحت أقدام المخابرات المصرية ...

ولقد ولد ( رفعت على سليمان الجمال ) في ( دمياط ) ، في الأول من يوليو عام 1927م ، وكان الأخ الأصغر لاثنتين من الذكور ، وهما ( سامي ) و ( لبيب ) ، وشقيقة واحدة ( نزيهة ) ، ولقد توفي أبوه عام 1936م ، عندما كان هو في التاسعة من العمر ، اصطحب ( سامي ) الأسرة كلها لتقيم في ( مصر الجديدة ) ، في شارع ( يعقوب آرتين ) ، المتفرع من ميدان ( الإسماعيلية ) وأصبح هو المسئول عن الجميع رسمياً وعملياً ، وبدأ ( رفعت ) حياته الجديدة في ( القاهرة ) ، مبهوراً بمدنيتها وأضوائها ، ومقهوراً بأحكام عسكرية ، أصدرها شقيقه الأكبر ، الذي ناعت كتفاه بحمل الأسرة ، ولم يجد أمامه من سبيل للقيام بمسئولياته ، سوى الصرامة والحزم



وذات يوم ، تسلل ( رفعت ) إلى حجرة الممثل ( بشارة واكيم ) في المسرح ، وراح يقلده ، حتى وجده أمامه ، فانكش رعباً ، وبحث عن مخرج للفرار ، إلا أن ( واكيم ) طمأنه ، وأخبره أنه سيصبح له مستقبل مشرق في عالم السينما ، عندما ينتهي من دراسته .

وبالفعل ، حصل ( رفعت ) على فرصة للتمثيل في ثلاثة أفلام ، ارتبط خلالها بالراقصة الشابة ( تيتي ) التي كان لها شأن كبير في حياته ، حتى ينس من تحقيق النجاح في السينما ، فالتحق بالعمل في شركة بترول أجنبية ، ثم لم يلبث أن تركها ليلتحق بشركة كيماويات في الإسكندرية ، إلا أن مدير أحد الفروع نجح في خداعه ، بحيث اتهمه بسرقة ألف جنيه من رصيد الشركة ، وتم فصله منها .

ومرة أخرى ، حصل ( رفعت ) على عمل مساعد ضابط حسابات ، على متن سفينة الشحن ( حورس ) ، ليغادر ( مصر ) تاركاً كل متاعبه ومشكلاته خلفه ، وينتقل بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ، إلا أن الظروف لم تلبث أن أعادته إلى ( مصر ) في مارس 1950م ، ليعاني مرة أخرى من الوحدة والفشل والمرارة ، مما دفعه إلى التحايل للسفر إلى ( إنجلترا ) ، في محاولة للبحث عن النجاح ، الذي يفر منه فرار الصحيح من الأبرص والأجرب .

وفى ( إنجلترا ) لاحت له بوادر النجاح ، في وكالة سفريات تحمل اسم ( سلتيك تورز ) ، حيث نجح في تحقيق صفقات ، بلغت عمولته منها أكثر من خمسة آلاف جنيه إسترليني ، مما يساوي ثروة طائلة في ذلك الزمان ، حتى إن صاحب الشركة شعر أنه يلتهم الكثير من الأرباح ، فانتهاز فرصة سفره إلى ( أمريكا ) ، واتهمه بالغش والتدليس ، مما تسبب في ترحيله مرة ثانية إلى ( القاهرة ) ، بعد أن فقد جواز سفره ، وحول نقوده إلى شيكات سياحية .

وفى ( مصر ) ، بذل ( رفعت ) جهداً خرافياً لاستخراج جواز سفر آخر ، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً ، بسبب شروط غاية في التعقيد ، بالنسبة لاستخراج جوازات السفر في ذلك الحين .

وعندما تعقدت الأمور ، وضافت به سبل العيش ، وجد أن أفضل ما يمكن الحصول عليه ، هو عمل في شركة ( قناة السويس ) ، نظراً لإجادته التامة لعدة لغات ، إلا أن هذا كان يحتاج إلى وثائق رسمية ، مما جعله يتصل بأحد المزورين ، الذي أعد له جواز سفر باسم ( على مصطفى ) ، نجح بواسطته في الحصول على عمل بالفعل في شركة القناة .

ولكن الرياح لم تسر بما تشتهي السفن ، ففي أكتوبر 1951م بدأ البريطانيون فى فحص الهويات الشخصية بدقة بالغة ، مما جعله يعود إلى ( القاهرة ) ، خشية اكتشاف أمره .

وفى ( القاهرة ) ، حصل ( رفعت ) على جواز سفر زائف جديد ، باسم صحفى فى ( جنيف ) ( تشارلز دينون ) ، أقام به فى أحد الفنادق ، باعتباره أجنبياً ، دون أن يشك أحد فى أمره لحظة واحدة .

ومع الاضطرابات السياسية ، وقيام ثورة يوليو ، وعمليات التحقيق المستمرة من رجال الشرطة ، قرر ( رفعت ) مغادرة البلاد فى مارس 1953م ، لذا فقد حصل على جواز سفر زائف جديد باسم البريطانى ( دانيال كالدويل ) ، وسافر بنظام ( أوتوستوب ) إلى ( ليبيا ) .

وبعد أن عبر الحدود الليبية بالفعل ، وقطع خمسة وعشرين ميلاً فى ( ليبيا ) استوقفته دورية بريطانية ، وطلبت منه إبراز هويته .. وعندما قدم للضابط البريطانى أوراقه ، نسى أنها تضم تلك الشيكات السياحية ، التى تحمل اسم ( رفعت الجمال ) .. وكانت هذه هى النقطة التى دفعت الضابط البريطانى للشك فى أمره .. والخطأ الذى أوقع به فى قبضة الشرطة المصرية ، بعد أن سلمته لهم الدورية البريطانية ..

وعندما استقر به الأمر فى أحد أقسام الشرطة فى الإسكندرية ، حار الجميع فى أمره ، وعجزوا عن تحديد هويته ، خاصة وهو يتحدث الإنجليزية والفرنسية بطلاقة ، ثم يلقى بعض التعليقات باللهجة المصرية العامية ، مما أوقع فى قلوب الجميع أنه أحد اليهود المصريين ، الذين يسعون للسفر إلى ( إسرائيل ) من تحت أنف الحكومة المصرية الجديدة ، لذا فقد تم ترحيله إلى ( القاهرة ) ، نظراً لأن الاسم المدون فى الشيكات السياحية كان مطلوباً هناك ، ومسجلاً فى بعض الجرح الصغيرة ، وفى ( القاهرة ) بدأت المرحلة الأكثر خطورة فى حياته .. مرحلة التحول من ( رفعت الجمال ) إلى ( جاك بيتون ) ..

ففى ( القاهرة ) وبعد أن بقى فى الحجز عدة أيام ، تم اصطحابه إلى أحد المكاتب ، حيث التقى به رجل يرتدى الملابس المدنية ، متين البنيان ، جاد الملامح ، حاد النظرات ، وكانت هذه هى البداية .. ففى الأيام التالية ، راح الرجل ، الذى لم يفصح عن اسمه الحقيقى أبداً ، يعمل على تدريب ( رفعت ) على بعض المهارات المختلفة ، وينمى قدراته على اتصال شخصية وهوية اليهودى المصرى ، وعلى الاختلاط باليهود ، والتواجد فى مجتمعاتهم ، وعندما سأله ( رفعت ) عن الغرض من كل هذا ، أخبره أن اليهود يقومون بتهريب ثروات ضخمة خارج

البلاد ، وبالتحديد إلى ( إسرائيل ) ، وأنه يرغب في زرع شخص ما بينهم ، ليكتسب ثقتهم ويكشف حيلهم ، وما داموا تصوروا أنه يهودى فهذا يعنى أنه الشخص المثالى للقيام بهذا الدور ، وأنه مقابل هذا سيحوسجله القضاى كله ، وسيتم إسقاط كل التهم الموجهة إليه ، كما سيستعيد شبكاته السياحية كله ..

ولم يتردد ( رفعت ) طويلاً فى قبول العرض ، فقد كانت هذه أحسن الفرص المتاحة له ، فى هذا الوقت .. وبدأت مرحلة التدريبات المكثفة ، حيث تعلم ( رفعت ) علم الاقتصاد ، وكيفية التعامل مع الضرائب ، ووسائل تهريب الأموال ، وعادات اليهود وسلوكياتهم ، وكيفية التمييز بينهم ، وتاريخهم ، وديانتهم ، وشعائرهم ، واللغة العبرية ، ثم تدرّب على أساليب الشرطة السرية ، وكيفية البقاء على قيد الحياة ، معتمداً على الظروف الطبيعية المحيطة به ، فى حالة اضطراره للاختفاء لبعض الوقت .

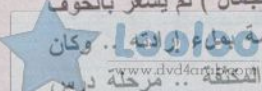
وأخيراً ، تقمص ( رفعت ) شخصيته الجديدة ( جاك بيتون ) ، المولود فى 23 أغسطس ، عام 1919 ، فى مدينة ( المنصورة ) من أب فرنسى وأم إيطالية ، وتسلم وثائق تحمل اسمه الجديد ، وشهاداته الرسمية المعتمدة .. وسافر ( جاك بيتون ) الجديد إلى ( الإسكندرية ) ، وحصل على عمل فى شركة تأمين واستأجر شقة صغيرة ، فى حى يكتظ باليهود ، إلا أنه لم يتعمد الاختلاط

بهم ، وإنما ترك هذا يحدث تدريجياً وتلقائياً ، على نحو يوحى بأنه لا يبالي بهذا ، وإنما يجامل كل من يتقرب منه فحسب ..

ولأنه لعب دوره بإتقان شديد ، لم يلبث ( جاك بيتون ) أن وجد نفسه منغمساً فى قلب المجتمع اليهودى ، بل وصار عضواً فى تنظيم سرى يهودى ، يحمل اسم ( الوحدة 131 ) ، مع ( مارسيل نينو ) و( إيلي كوهين ) ، و( ماكس بينيت ) ، وغيرهم من رجال عملية تفجير المراكز الأمريكية فى الخمسينيات ..

وهكذا تحول ( رفعت الجمال ) ، الشهير باليهودى ( جاك بيتون ) إلى بطل مناضل ، فى نظر الطائفة اليهودية ، التى بدأت تتصحه بالهجرة إلى ( إسرائيل ) ، ليجد هناك الأمن والأمان ، ولكنه ألقى حديثهم هذا خلف ظهره ، متصوراً أن مهمته تقتصر على التجسس على اليهود داخل ( مصر ) فحسب .. ولكن زجل المخابرات فاجأه بأن هذه ليست مهمته الأصلية ، وإنما كانت مجرد فترة تدريب وإعداد للهدف الرئيسى .. السفر إلى قلب ( إسرائيل ) ..

ولا أحد يمكن أن يدعى أن ( رفعت الجمال ) لم يشعر بالخوف المذعور ، إلا أنه فى النهاية قبل المهمة بحذاء رادته .. وكان هذا يعنى مرحلة جديدة فى التدريبات المكثفة .. مرحلة درس





فيها تاريخ اليهود الأوروبيين ، والصهيونية العالمية ، ونظم وأساليب الهجرة إلى ( إسرائيل ) ، والأحزاب السياسية هناك ، واتحاد العمال ، وأهم الشخصيات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، والتركيبة الجغرافية والاقتصادية والطوبوجرافية ، وحتى الاجتماعي في الأرض المحتلة ، بالإضافة إلى التصوير بآلات خاصة ، وتحميض الأفلام ، وحل الشفرة والكتابة بالحبر السري ، وتشغيل أجهزة الاستقبال اللاسلكية ، وتعرف الرتب العسكرية الإسرائيلية ، ونظم أجهزة المخابرات ، وأصبح يستمع يوميا إلى الإذاعة الإسرائيلية لعدة ساعات ، لتحسين لغته العبرية ، مع الحفاظ على لكانته المصرية ، ثم تدريب على القتال ، في حالة ما إذا اضطره الأمر للاشتباك المباشر ، أو التلاحم مع العدو ..

ثم درس أخيرا كيفية العمل كوكيل سفريات ، نظرا لخبرته السابقة في هذا المجال ، ولأن هذه المهنة تتيح له السفر من وإلى ( إسرائيل ) طوال الوقت ، مما يمنحه حرية الحركة المطلوبة ، في مجال التجسس .

وفي يونيو 1956م ، استقل ( رفعت ) سفينة متجهة إلى ( نابولي ) ، وفي جيبه ثلاثمائة جنيه مصري ، مع هدف واضح محدد.. أن يصل إلى ( إسرائيل ) ويستقر فيها ، كأي يهودي متحمس للعالم الجديد .. ونظرا لتاريخه الحافل ، واسمه المدون

في قائمة ( الوحدة 131 ) ، استقبلته الوكالة اليهودية بالترحاب في ( نابولي ) ، ومنحته كل التسهيلات للسفر إلى ( إسرائيل ) ، التي وصل إليها في أوائل يوليو 1956م ، ودخلا باسم ( جاك بيتون ) ، المواطن اليهودي المخلص ..

ولم يكن الاستقرار في وطن جديد بالأمر السهل أو الهين ، بالنسبة لمهاجر جديد .. فما بالك بشخص ينتحل هوية عدو ، ويعلم أن أي خطأ بسيط قد يعني انكشاف أمره ، وإلقاءه خلف القضبان ، ما لم يتم إعدامه بلا رحمة؟!.. ولكن ( رفعت ) بتاريخه الحقيقي ، وكفاح حياته كلها ، استطاع أن يصمد ، وأن يثبت جذوره في المجتمع الإسرائيلي ، وعمل بهمة ونشاط حقيقيين ، حتى أصبح واحداً من رجال الأعمال المعروفين هناك ، واستطاع أن ينعفس في المجتمع الراقى ، وأن يصنع لنفسه دائرة من المعارف والأصدقاء ، حوت بعض الأسماء اللامعة في المجتمع الإسرائيلي ، بمختلف طوائفه .. العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ..

ولو حاولنا شرح كل ما قدمه ( رفعت الجمال ) لوطنه ، من خلال تواجده في ذلك المجتمع ، وصدافته لكويل مسؤلوه ، لاحتاج الأمر لمقالات ومقالات ، ولكن يكفي أن نقول إن حماسه

وإيمانه بعمله ، قد ساعده على أن يقدم للوطن معلومات بالغة الأهمية والخطورة ، كان لها كبير الأثر ، عندما اندلعت حرب أكتوبر 1973م ..

وأخيراً ، وبعد نول عفاء ، قرر ( جاك بيتون ) الاستقرار ، فتزوج من ( فالترود ) ، الألمانية المطلقة ، وتبنى ابنتها ( أندريا ) رسمياً ، ثم أنجب منها ابنه الوحيد ( دانيال ) ، وعاش معها حياة هادئة في ( ألمانيا ) ، حتى تم عقد معاهدة السلام ، التي سمحت له بإقامة مشروع بترولى ضخم في ( مصر ) ، أطلق عليه اسم ( إجبينكو ) ، قبل أن يصاب بذلك المرض العضال ، الذي أودى بحياته في النهاية ..

والقول بأن عملية رفعت الجمال ، الذي اشتهر بين العامة باسم رأفت الهجان ؛ نظروف درامية ، هي من أنجح العمليات المخابراتية في العالم ليس اعتباطياً ، إذا ما قارناها بعملية إسرائيلية ، تمت في توقيت مقارب ، ولم يحظ صاحبها بالموت في فراش المرض ، كما حدث في عملية رفعت ، وأقصد بهذا عملية إيلي كوهين ، التي ، وعلى الرغم من نهايتها ، ما زال الإسرائيليون يعتبرونها واحدة ، من أقوى عملياتهم ..

( إيلي أمين شاعول كوهين ) .. اسم يستحيل أن يجله أي

رجل مخبرات عربي أو إسرائيلي ، في هذه الأيام ، وخاصة بعد أن صدرت عنه عشرات الكتب والروايات ، معظمها إسرائيلي ، تحيطه بإطار من القوة والبطولة ، وتنسج حوله عشرات القصص الأسطورية ، التي تجعله بمثابة نجم ، في هذا العالم السري ، أو هكذا حاول الإسرائيليون أن يظهره ، دون أن يشيروا إلى ما أصاب هذا النجم .. إلى سقوطه المروع ..

وبدايات ( إيلي ) بسيطة وعادية للغاية ، فقد كان والده ( حوفي كوهين ) تاجرًا سوريًا متواضعًا ، هاجر مع أسرته إلى ( مصر ) ، واستقر بهم المقام في ( الإسكندرية ) . وهناك ولد ( إيلي ) في 16 ديسمبر 1924م ، وهناك أيضًا التحق بمدرسة ( الليسية ) الفرنسية .. وهناك أيضًا التقى بـ ( بولندي جابي ) ، التي كانت بداية الخيط ..

( بولندي ) هذه كانت إحدى سيدات الأسر اليهودية الثرية ، وعضواً نشيطاً في الوقت ذاته ، في جهاز ( هاموساد اليابيت ) .. أو ( الموساد ) ، الذي قرر إنشاء فرع له في ( مصر ) ، عن طريق حركة الشباب اليهودية المصرية ، المعروفة باسم ( هاشيروت ) ، فأرسل أحد رجاله ( ليفي إفرام ) ، التي رشت له عددًا من الشباب اليهودي ، وعلى رأسهم ( إيلي ) ..

وعمل (إيلي كوهين) لحساب (الموساد) ، قبل أن يحصل على شهادة (البكالوريا) ، أو الثانوية العامة في ذلك الوقت ، وأبدي نشاطاً ملحوظاً في تسهيل خروج اليهود المصريين إلى (فلسطين) ، وفي الاتصال بالسفارات والقنصليات ، وأجاد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية ، والتحق بكلية الهندسة بجامعة (فؤاد الأول) - (القاهرة) حالياً - وحصل على شهادته ، على الرغم من هجرة أسرته كلها إلى (إسرائيل) .. عام 1950م ..

وفي عام 1953م ، أرسلت المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) ، أحد رجالها إلى (مصر) ، وهو (إبراهيم دار) ، الذي وصل بجواز سفر بريطاني ، يحمل اسم (جون دارلنج) ، سعياً وراء تكوين خليتين صهيونيتين ، في (القاهرة) و(الإسكندرية) ، وأرسل خمسة من أعضاء الخليتين إلى (تل أبيب) ، عن طريق (باريس) ، لتلقي تدريبات حول تفجير القنابل الزمنية ، ثم أعيد هؤلاء الخمسة إلى (مصر) ، حاملين مخططاً تخريبياً خاصاً ... ومن بين هؤلاء الخمسة كان (إيلي كوهين) ..

وفي خلال عملية عرفت باسم (عملية سوزانا) ، أصدر (جون دارلنج) أوامره للخليتين ، بنسف وتخريب عدد من المنشآت البريطانية والأمريكية ، بهدف إفساد اتفاقية الجلاء ، التي تم توقيعها بين الجانبين المصري والبريطاني في هذا

الوقت.. ولكن أحد أفراد الخليتين ارتكب خطأ قاتلاً ، أدى إلى اشتعال النيران في جيبه ، قبل تفجير هدفه ، مما دفع أحد رجال الشرطة إلى إلقاء القبض عليه ، واصطحبه إلى قسم شرطة محطة الرمل ، حيث تم استجوابه ، واعترف بالأمر كله ، و... وسقطت الخليتان .. وفي مساء الليلة نفسها ، جرت حملة اعتقالات واسعة ، في (القاهرة) و(الإسكندرية) ، لكل أفراد الخليتين والعناصر المشتبه فيها ، ومن بين هؤلاء أيضاً كان (إيلي) ..

وعلى الرغم من أن اعترافات أعضاء الخليتين شملت عدداً كبيراً من شباب اليهود ، إلا أنها لم تتضمن اسم (إيلي كوهين) ، مما أدى إلى الإفراج عنه وإخلاء سبيله ، وإن لم يمنع هذا من فتح ملف خاص له ، في جهاز المخابرات العامة المصرية الذي كان يخطو خطواته الأولى ، في هذا العالم السري الغامض.. وحمل الملف اسم (إيلي حوفى كوهين) ، وكان هذا يحتم توقف (إيلي) عن النشاط .. ثم حدث العدوانى الثلاث على (مصر) .. وكإجراء وقائى ، تم اعتقال كل أصحاب هذه الملفات ، دون أدلة اتهام ، حتى ديسمبر 1956م .. عندما تقرر إطلاق سراحهم ، وطردهم خارج (مصر) ، لدواعى الأمن .. وفي العشرين من ديسمبر 1956م غادر (إيلي) (مصر) ، على باخرة تابعة للصليب الأحمر ، نقلته إلى (إيطاليا) ، مع عدد كبير من اليهود المصريين ،



وهناك سألته فجأة إذا ما كان يرغب في العمل في الموساد ثم صارحه بأنه أحد ضباط (الموساد) ، وطلب منه كتمان ما سيسمعه تمامًا ، حتى بالنسبة لأسرته وزوجته ، ثم أبلغه موافقة (الموساد) على عمله في صفوفهم .. وفي ربيع وصيف 1960م ، اجتاز (إيلي) برنامج التدرّبي ، واستعد لتسلم عمله الجديد ، ومهمته البالغة الأهمية ، في (سوريا) .. وعلى الرغم من أن المهمة كانت تستهدف (سوريا) ، إلا أنها بدأت في (بيونس أيرس) ، عاصمة (الأرجنتين) ، التي وصل إليها (إيلي) في 21 مارس 1961م ، قادماً من (زيورخ) ، وحاملاً اسم (كامل أمين ثابت) ، الذي يشير جواز سفره إلى جنسيته السورية ..

وفور وصوله ، نشط (إيلي) في التعرف على مجتمع المغتربين في (بيونس أيرس) ، وراح يوطد صداقاتهم معهم ، حاملاً قصة تم إعدادها بدقة ، تقول : إنه سورى من أصل لبناني ، هاجر مع عائلته إلى (الإسكندرية) ، ثم سافر عمه إلى (الأرجنتين) عام 1946م ، ولحق هو به مع عائلته عام 1947م ، ثم توفي والده هناك بسكتة قلبية ، عام 1952م ، وبعده بستة أشهر رحلت والدته ، وبقي هو وحده هناك ، يعمل بتجارة الأقمشة ، ثم سافر إلى (أوروبا) عدة سنوات ، وعاد الآن ثرياً ..

حيث قضى عدة أسابيع في (جنوة) .. وفي (بات يام) ، جنوب (تل أبيب) ، قضى (إيلي) أيامه الأولى في (إسرائيل) ، مع والدته وأسرته ، وراح يدرس اللغة العبرية ، ثم لم يلبث أن التحق في أواخر العام نفسه بعمل في وزارة الدفاع الإسرائيلية ، يعتمد على ترجمة كل ما ينشر في الصحف العربية إلى العبرية ، وإعداد تقارير وتحليلات عنه ، لصالح جهاز المخابرات العسكرية (أمان) .. ولم يلبث أن مل هذا العمل أيضاً ، فتقدم بطلب للنقل إلى جهاز (الموساد) ، إلا أن طلبه هذا قوبل بالرفض ، مما دفعه إلى تقديم استقالته ، والعمل في شركة لتسويق المواد الغذائية ، وأثناء هذا العمل التقى بـ (ناديا) ، الممرضة بمستشفى (هداسا) بالقدس ، وتزوجها بعد فترة تعارف قصيرة ..

ولم يشعر (إيلي) بالارتياح في عمله الجديد ، ولكنه لم يشك منه هذه المرة ، أو يحاول تركه .

صحيح أنه لم يسع للاستقالة ، ولكن الأمر جاء بوسيلة مختلفة هذه المرة ، إذ التقى بصديق قديم ، كان يعمل معه في (أمان) ، ودار بينهما حديث حول استقالته ، وبعدها انصرف زميله ، بعد أن اتفقا على اللقاء مرة ثانية ..

وفي هذه المرة الثانية ، دعاه صديقه للسير على الشاطئ ،

ولم تمض عدة أسابيع ، حتى أصبح ( كامل أمين ثابت ) رجلاً معروفاً ، في أوساط المهاجرين ، الذين بلغ عددهم في تلك الفترة نصف المليون مهاجر عربي ، وتوطدت صلاته برئيس تحرير مجلة ( العالم العربي ) التي تصدر هناك ( عبد اللطيف الخشان ) ، الذي قدمه بسلامة نية إلى أصدقائه ومعارفه ، من رجال السفارات العربية في ( الأرجنتين ) ، وبسرعة أصبح ( إيلي ) ضيفاً دائماً في معظم حفلات السفارات ..

والعجيب أن أحد ضباط المخابرات السورية قد شك في الرجل ، وأرسل إلى ( المكتب الثاني ) في ( سوريا ) ، يطلب التحري عنه ، ولكن الإسرائيليين كانوا قد اختاروا قصة حقيقية ، لأسرة مهاجرة ، تحمل اسم ( ثابت ) ، مما جعل المخابرات السورية تؤيد قصة ( إيلي ) ، دون أن تهتم بتمحيصها وبحثها جيداً ، نظراً لأن الشكوك حوله لم تكن بالقدر الذي يكفي لهذا.. وبعد عدة أشهر ، وبالتحديد في أغسطس 1961م ، أعلن ( كامل أمين ثابت ) عن رغبته في العودة إلى الوطن ( سوريا ) ، وتقديم طلب للحصول على تأشيرة الدخول ..

وفي ( دمشق ) ، قضى ( إيلي ) شهراً كاملاً ، دون أن يزاول نشاطه ، حتى لا يثير الشبهات من حوله في 28 سبتمبر 1961م ، ثم بدأ في تأسيس شركة للاستيراد والتصدير ، تخصصت في تصدير

الأثاث العربي والمشغولات الخشبية إلى ( أوروبا ) ، وراح يستفيد من شركته استفادة مزدوجة ، إذ كانت الأحاديث التي يتبادلها مع الآخرين ، بحكم العمل ، تنقل إليه قدرًا وافرًا من المعلومات ، عن أحوال السوق الاقتصادية ، والتي كان يرسلها فور عودته إلى منزله ، إلى ( الموساد ) مباشرة ، عن طريق جهاز إرسال صغير جدًا ، أما ما يلتقطه من صور ووثائق فكان يرسلها داخل تجاويف خاصة ، في قطع الأثاث والمشغولات اليدوية ، التي يتم تصديرها إلى ( أوروبا ) ، حيث يلتقطها واحد من ضباط ( الموساد ) في ( سويسرا ) .. أما من الناحية الاجتماعية ، فقد كان التطور أكثر سرعة ، وأكثر خطورة ..

لقد نجح ( إيلي ) في عقد صداقات عديدة ، مع العسكريين والإعلاميين السوريين ، واستأجر منزلاً في مواجهة مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة السورية ، حيث راح يراقب ما يحدث من تطورات هناك ، مما ساعده على إرسال معلومات بالغة الأهمية والفائدة إلى الإسرائيليين ، الذين اعتبروه عميلاً ممتازاً .. ثم وقع ( كامل ثابت ) على أهم صيد منذ بدء عمله.. لقد أقام صداقة مع ضابط شاب ، هو في الوقت ذاته ابن شقيق رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة ، ونجح في استدراجه للحصول على معلومات بالغة الخطورة ، بحجة الاطمئنان على سلامة الوطن وأمنه ، بل

واصطحبه الضابط إلى الخطوط الأمامية ، حيث شاهد بنفسه تسليح وتحصينات الوحدات السورية ، وتمادى في المرة التالية ، فحمل معه آلة تصوير ، والتقط عدة صور للمستعمرات الإسرائيلية ، الواقعة عند سفوح المرتفعات السورية ، وأرسلها إلى ( تل أبيب ) ، التي حددت منها مواقع المرتفعات السورية ..

وكنعضو في حزب البعث ، وطد ( إلى ) علاقاته بقيادات الحزب ، ووزير الإعلام ( سامي الجندي ) ، وصار واحداً من الكوادر الحزبية التي يشار إليها بالبنان ، وضيافاً شبه دائم ، في حفلات الاستقبال ، التي تقيمها رئاسة الجمهورية السورية ، وخاصة بعد اقتراحه بعمل زيارة حزبية إلى ( الأرجنتين ) ، جمع خلالها تسعة آلاف دولار ، كتبرعات لحزب البعث ، من المهاجرين السوريين هناك ، أضاف إليها ألف دولار من حسابيه .

ولمع اسم ( كامل أمين ثابت ) ، وساعده هذا على تكوين صადقات أكثر قوة وخطورة ، ومنحه حرية حركة أكثر ، خاصة بعد ترشيحه أو ترديد اسمه مرشح لمنصب نائب وزير الإعلام ، أو نائب وزير الدفاع ، حتى إنه استطاع التقاط عدة صور عن قرب ، للمقاتلة الاعتراضية ( ميج - 21 ) ، التي كانت أقوى مقاتلة اعتراضية في ذلك الحين .

ومع ارتفاع أسهمه ، أصبح ( إلى ) أحد أعضاء الوفد السوري المرافق للفريق الأول ( على عامر ) ، القائد العام للقيادة العربية الموحدة ، عندما زار الجمهورية العربية السورية ، على رأس وفد عسكري كبير ، في ديسمبر 1964م ، لإجراء مباحثات مع القادة العسكريين هناك .. وكان ( كامل أمين ثابت ) هو تقريباً المدني الوحيد ، الذي يرافق العسكريين رسمياً ، في تلك الجولة ، باستثناء المصورين والصحفيين .. وكان هذا هو الخطأ ، الذي بدأ مرحلة النهاية ..

في أوائل يناير عام 1965م ، كان أحد ضباط المخابرات المصرية يطالع بعض الصحف العربية ، عندما لفتت انتباهه صورة اللواء ( على عامر ) ، أثناء زيارته لسوريا ، وحوله أعضاء الوفد السوري ، المرافق له ، وتركز بصره على شخص وسطهم بالتحديد وعقد حاجبيه في شدة ، وهو يعتصر ذهنه ، في محاولة لمعرفة متى رأى صاحب هذا الوجه بالتحديد ..

وعندما تذكره أصابه الهلع ، فاختطف الصحيفة ، واندفع نحو مكتب ( صلاح نصر ) ، مدير المخابرات العامة المصرية في ذلك الحين ، ووضع الصحيفة أمامه ، ليخبره أن هذا الرجل ، الذي يرافق الوفد العسكري ليس سورياً .. إنه يهودي يدعى ( إلى ) حوفي كوهين ) ، ولقد اتزعج صلاح نصر في قعدة خاصة أن



ذلك الضابط كان زميلاً للجاسوس ، فى مدرسة ( الليسية ) الفرنسية ، وحصلاً معاً على البكالوريا عام 1946م .. وأن له ملفاً كاملاً فى المخابرات ، منذ عملية التفجيرات ، وهنا طلب ( صلاح نصر ) الملف ، وطالعه ثم حمّله على الفور ، إلى الرئيس ( جمال عبد الناصر ) ..

ظل الرئيس ( جمال ) يقرأ الملف لأكثر من خمس وأربعين دقيقة ، ثم رفع سماعة هاتفه ، وطلب من سكرتارته الاتصال بالرئيس السورى اللواء ( أمين حافظ ) على الفور ، وما أن تم الاتصال حتى تبادل الرئيس ( جمال ) مع الرئيس السورى بعض عبارات المجاملة ، ثم أخبره بأنه سيرسل إليه مبعوثاً خاصاً فى اليوم التالى ، يحمل رسالة بالغة الأهمية والخطورة ..

وكان هذا المبعوث هو ( صلاح نصر ) نفسه ، الذى سافر فى الصباح التالى إلى ( دمشق ) ، والتقى بالرئيس السورى ، وقدم إليه الملف.. وكما جدت للرئيس ( جمال عبد الناصر ) ، أصيب الرئيس السورى بدهشة عارمة ، وهو يتصفح الملف ، ثم لم يلبث أن طلب حضور رئيس المخابرات السورية ( المكتب الثانى ) ، الذى وصل بعد قليل ، وطالع الملف بدوره ، وأصابه الدهول نفسه ..

ففى تلك الفترة ، كان موظفو اللاسلكى فى السفارة الهندية يشكون من حدوث شوشرة على بعض رسائلهم ، المرسله إلى ( نيودلهى ) ، وكان رجال الأمن السورىون يشكون فى وجود جاسوس يرسل إشارات لاسلكية فى المنطقة ، ولكنهم يعجزون عن تحديد موقعه ، نظراً لاتساع دائرة البحث ، وصعوبة تتبع الإشارات اللاسلكية فى ذلك الحين .. ومع المعلومات التى أحضرها ( صلاح نصر ) ، أصبح الأمر واضحاً ، ومحسوماً ..

وبعد ساعات من هذا اللقاء ، كان ( إيلى ) يستعد لإرسال واحدة من رسائله اللاسلكية إلى ( تل أبيب ) ، فى ليلة من ليالى يناير الباردة ، عندما فوجئ بعدد من الرجال يقتحمون منزله ، ويصوبون إليه مسدساتهم ، ويأمرونه بعدم الحركة ، وعندما ثار عليهم ، رأى أمامه المقدم ( أحمد سويدانى ) ، رئيس قسم مكافحة التجسس بالمخابرات السورية ، وهو يخاطبه باسمه الحقيقى ..

وعندئذ أدرك ( إيلى كوهين ) أنه قد سقط .. وجن جنون الإسرائيليين ، عندما علموا بسقوط ( إيلى ) ، وحاولوا المستحيل لإنقاذه ، وعرضوا مبادلتة بدستة من المتهمين بالتجسس لصالح ( سوريا ) ، ودفع مليون دولار لإطلاق سراحه ، ولكن ( سوريا ) رفضت هذا بإصرار .

وفي الثامن عشر من مايو، 1965م، اقتيد (إيلي حوفي كوهين) إلى جبل المشنقة، الذي أحاط بعنقه، ثم دفع الجلاد نراعا معدنية، وسقط جسده في الفراغ، معلنا سقوط جاسوس، وخسارة المخابرات الإسرائيلية للجولة..

وحتى عندما خسرتنا حرب 1967م، كانت المخابرات تلعب دورها كما ينبغي، وأمكنها جلب كل المعلومات المطلوبة، وبناءً عليها، اجتمع عبد الناصر بالقادة، وحذّروهم من هجوم إسرائيلي، ولسبب ما، لم يتحرك أحد، كما جاء في مذكرات الفريق الجمسى... وخسرنا الحرب..

وفي فترة إعادة تكوين الجيش، والاستعداد لمعركة استعادة الأرض المحتلة، لم تتوقف عمليات المخابرات ولم تتوقف حربها، ولعل أحد أشهر ما فعلته حماية الجبهة الداخلية، وتطهيرها من عدد من أخطر الجواسيس، مثل بهجت حمدان، الذي خرج من مصر بحثاً عن الرزق، وعاد إليها بحثاً عن الخيانة... وعلى الرغم من الحرص والحذر الشديدين، اللذين تميز بهما ذلك الجاسوس، وعلى الرغم من أنه ظل حريصاً أشد الحرص على ألا يلفت إليه الانتباه أو يحيط نفسه بالشكوك إلا أن رجال المخابرات المصرية كشفوا أمره بسرعة كبيرة..

ففي تلك الفترة، في بداية الستينيات كان الإسرائيليون يتبعون تكتيكاً جديداً في تعاملهم مع فئة خاصة من الجواسيس فلا يستخدمون أية وسيلة من وسائل نقل المعلومات لا أجهزة لاسلكية، أو كتب شفيرة أو رسائل.. أو حتى أخبار سرية.. كان على العميل أن يكتب باختران المعلومات وحفظها عن ظهر قلب ثم يسافر بها إلى الخارج ويقرغها دفعة واحدة على شرائط تسجيل أو أوراق ومستندات مكتوبة.. وكان على المخابرات العامة أن تتصدى لهذه الوسيلة بأسلوب مبتكر أو جديد.. وبعد دراسة متأنية، اتفق رأى الرجال على استخدام وسيلة أكثر تعقيداً وأكثر تكلفة ولكنها ذات نتائج مضمونة إلى حد كبير ففروا القيام بمراقبة كل الأوكار، التي تستخدمها المخابرات الإسرائيلية والمنتشرة في أقطار الأرض في شقة ذات غرفتين في (أمستردام) إلى غرفة عادية الأثاث فوق بار صغير في ميدان (رودلف) في (ألمانيا الغربية) إلى منزل سرى ذى بوابة حديدية في (دسلدورف) إلى قاعة الاستقبال في فندق (ستار) في (باريس).. وكانت هذه العملية شاقة للغاية، ولكن النتائج التي أسفرت عنها وأثمرتها كانت رائعة ومدهشة إلى حد جعلها تساوى الجهد والمثقة والتكلفة ومن ضمن هذه الثمرات كانت قضية (بهجت حمدان)

(وبهجت حمدان) ابن لأسرة بسيطة، اعتصرت حياتها لترسله إلى (ألمانيا الغربية) عام 1955م، على أمل أن تظفر في النهاية بابن ناجح مرموق ولكن (بهجت) خذل هذه الأسرة وانساق لتيار الفتنة والفساد في (ألمانيا) وتصادق مع عدد من الشباب المنحرف، غرق معهم في الملذات المحرمة، وأهمل دراسته تماماً، حتى إنه فشل في الحصول على مؤهله طوال سنوات الدراسة وحتى عام 1958م.. ولكن (بهجت) لم يستسلم لهذا.. لقد تزوج في تلك الأثناء - فتاة تدعى (أنجريد شوالم)عاونته على الحصول على شهادة غير حقيقية، تثبت حصوله على نوع من الدبلومات الفنية الهندسية هناك، فاصطحب زوجته وشهادته، وعاد بهما إلى (القاهرة) والتحق بعمل جيد في الهيئة العامة لمشروع الخمس سنوات وكانت تلك وظيفة مرموقة في تلك الفترة..

لقد ظل طوال فترة عمله مثالاً للموظف الفاسد المرتشى المستهتر، حتى بلغ به الفساد حد بيع بعض أسرار المشروع لعدد من الشركات الألمانية نظير مبلغ ليس بالكبير وانكشف أمر هذه الصفقة القذرة، ففصل من عمله على الفور..

وفي عام 1962م، رحل (بهجت) وزوجته عن البلاد واتجها إلى (لبنان) ومنها إلى (باريس) حيث أقاما في فندق ستار

أحد أوكار المخابرات الإسرائيلية في (أوروبا) وهناك استشف موظف الاستقبال أنه صيد سهل فألقى شبابه حوله وراح يتقرب إليه، ويشمله برعايته، ويصطحبه معه إلى الحفلات الماجنة وأماكن اللهو، حتى توطدت أواصر الصداقة بينهما، وبدأ الموظف يستعد لتجنيدِه..

وفي تلك الأثناء، كان رجال المخابرات المصرية ينفذون خطة أطلقوا عليها اسم عين الصقر ويراقبون كل أوكار المخابرات الإسرائيلية، وما إن لاحظوا تلك الرابطة التي جمعت بين (بهجت) وموظف الاستقبال الذي يعمل لحساب الإسرائيليين، والمولود في (بورسعيد) حتى وضعوا الأول تحت المراقبة فوراً وبدعوا في دراسة كل حركاته وسكناته بمنتهى الدقة..

وذاًت ليلة، وبعد سهرة ملتبهة، صراح (بهجت) صديقه بأنه، عند مغادرته (القاهرة) حصل على بعض الوثائق والمستندات الخاصة بمشروع السنوات الخمس، وأنه يدرك فائدتها الاقتصادية، ويرغب في بيعها لمن يدفع ثمناً أكبر.. وكان هذا أفضل ما يمكن أن يتوقعه موظف الاستقبال الذي قدم (بهجت) لرجل آخر، يدعى (جورج سيمون) وأخبره أن هذا الأخير رجل أعمال وأنه يهتم كثيراً بالوثائق التي في حوزته.. وفي لقائهما الأول، وافق (سيمون) على شراء الوثائق بعشرة آلاف فرنك دفعها عدداً ونقداً، فسلم (بهجت) الوثائق وتأكد



(سيمون) من أهميتها قبل أن يبدأ في اختبار بهجت نفسه ، حتى أدرك أنه مستعد للتعامل مع الشيطان نفسه لو أن هذا يفيد ، فصارحه أنه سيعمل مع المخابرات الإسرائيلية .. كان الحوار يبدو مباشراً وصريحاً ، على نحو يتنافى مع الأساليب التقليدية ، المتبعة في عالم المخابرات ولكن الواقع أنه لم يكن عشوائياً ، فقد درس الإسرائيليون (بهجت) جيداً لفترة طويلة ، وتأكدوا من أنه مستعد لعمل أى شيء في الدنيا مقابل المال قبل أن يواجهوه على هذا النحو المباشر ..

ولقد بدعوا في التعامل معه على الفور ، فنقلوه من (باريس) إلى (فرانكفورت) في (ألمانيا الغربية) وقدموه إلى أحد عملائهم ويدعى (بوتا) وهو من أكبر تجار البورصة في مدينة (بريمن) لتدريبه على العمل في مجال الاقتصاد ودراسة الأسواق .. واستمرت عملية التدريب هذه عامين كاملين تأكد (بوتا) بعدهما من نجاح تلميذه فعاونته على الحصول على الجنسية الألمانية التي أسقطت عنه الجنسية المصرية طبقاً لقوانين تلك الفترة في أوائل عام 1967م ..

وبدأ (بهجت) في إجراء اتصالاته مع مؤسسة البترول في (مصر) لشراء بعض المنتجات البترولية ، وحضر إلى (القاهرة) بالفعل مع عدد من رجال صناعة البترول الألمان

وحاولوا عقد عدة صفقات ولكن محاولاتهم فشلت تماماً لأن الأسعار التي قدموها كانت تقل كثيراً عن الأسعار العالمية فعادوا إلى (ألمانيا) بخيبة أمل .. ولكن (بوتا) كان يعد للرجل فكرة جديدة .. لماذا لا يقتحم عالم تجارة السلاح ويحاول توريد بعض صفقات الأسلحة إلى الدول العربية و( القاهرة ) ؟ ...

ورأقت الفكرة لـ (بهجت) ، فسافر مرة أخرى إلى (القاهرة) وحاول أن يعرض خدماته على بعض المسؤولين والمختصين لتوريد المعدات العسكرية والمهمات .. كل هذا دون أن يدرك أو يشك هو وجهاز المخابرات الإسرائيلي كله في أن المخابرات المصرية تتابع كل هذا خطوة بخطوة وأنها تفرش أمامه طريق السقوط حتى يمكنها اقتناصه في اللحظة المناسبة ..

وبناءً على توجيهات جهاز المخابرات العامة تظاهر المسئولون والمختصون بموافقتهم على إتمام مثل هذه الصفقات العسكرية مما رفع معنويات (بهجت) ومنحه شعوراً بالثقة جعله يعود إلى (بوتا) في (ألمانيا) ويلقى على مسامحة كل ما لديه ففرغه (بوتا) على اثنين آخرين ، وكوّن الثلاثة معاً شركة للتعامل مع الشرق الأوسط في مجال الأعمال الإنسانية تحت اسم (شركة نورد) وراحوا يحلمون بالفوز والربح والثروة ..

وفى أواخر عام 1968م سافر (بهجت) مرة أخرى إلى (القاهرة) بصحبة شريكه (ألبرت فايزر) و(ولف درايبو) لدراسة العروض مع المختصين والمسئولين الذين وصلوا مجاراتهم للموقف وأبدوا استعدادهم للمضى فى العملية وطلبوا من (بهجت) وشريكه إيداع مبلغ من المال كتأمين وضمان لجدية الصفقة.. وعاد الثلاثة إلى (ألمانيا) وقلوبهم تكاد تطير من صدورهم من فرط شعورهم بالظفر والزهو والنجاح وفى منزل (بهجت) فى (بريمن) جاء رجل المخابرات الإسرائيلى (سيمون) خصيصاً من (تل أبيب) ؛ ليخبره أنه سيحصل على مكافأة مجزية ، وهذا بالإضافة إلى الأرباح الباهظة التى ستحققها العملية وستقدم له المخابرات الإسرائيلية كافة المساعدات والإمكانات لإنجاح هذه الصفقات ولكنها تريده أن تبذل قصارى جهده فى (مصر) لجمع أكبر قدر من المعلومات عن القوات المسلحة والاستحكامات العسكرية كما تريده أن يدرس كل المحيطين به من معارف وأصدقاء من المدنيين والعسكريين ويرسل إليهم أسماء من يرى أنه يصلح للتجنيد منهم للعمل لحسابهم .. ولم يدخر (بهجت) وسعاً فى سبيل تنفيذ ما طلبته منه المخابرات الإسرائيلية فسافر مع شريكه مرة أخرى إلى (مصر) وهناك سدد مبلغ ربع مليون مارك ألمانى

كتأمين ثم اتصل بزوج شقيقته وهو أحد العاملين بشركة (المقاولون العرب) فى منطقة القناة وأبلغه أنه فى سبيل القيام بمشروع هندسى ضخم لحساب الحكومة المصرية بالتعاون مع شركة ألمانية غريبة. وعرض عليه الالتحاق بالعمل معهم فور بدء المشروع ولوَّح له بمرتب يسيل له اللعاب ويتجاوز ثلاثة أضعاف راتبه الحالى .

وسقط الرجل فى الفخ ، وقدمه (بهجت) لشريكه (فايزر) و(درايبو) اللذين كررا العرض وأسقطا الرجل فى الفخ أكثر وأكثر .. وتكررت لقاءات زوج الشقيقة بـ(بهجت) وشريكه وفى كل مرة كان الحوار يتجه إلى الاستعدادات العسكرية التى تقوم بها مصر بعد نكسة يونيو 1967م والإتشاءات التى تقوم بها لهذا الغرض .. ودائماً كان زوج الشقيقة يتحدث أكثر ويشعر بالزهو وهو يستعرض ما لديه من معلومات حول الإتشاءات العسكرية ومواقعها وأنماطها..

كل هذا دون أن تتدخل المخابرات المصرية مرة واحدة .. ولكن عيون الصقور لم تنم قط .

لقد ظلت تراقب وترصد كل التحركات والحوارات والمناقشات حتى كان اليوم الذى شعرت فيه أن العملية تطورت كثيراً حان

الوقت لإتهانها ؛ لأن ( بهجت حمدان ) طلب من زوج شقيقته بعض الرسومات الهندسية الخاصة بالإشاعات العسكرية والاستعدادات السرية وهي تعتبر من أدق الأسرار العسكرية ولقد سلم الرجل الرسومات المطلوبة وسيسافر بها مع شريكين إلى ( ألمانيا ) غداً في الثامنة والنصف مساءً ..

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم الاثنين 1969/6/2م ، كانت لحظة السقوط ..

وفي مبنى استجوابات المخابرات بدا ( بهجت ) ذاهلاً شاحباً وهو يسأل بحروف مرتجفة كيف كشفوا أمره ، ففاجأه رجال المخابرات المصرية بملف ضخّم يحمل اسمه على غلافه مع عدد هائل من الصور والتسجيلات التي تحمل وجهه وصوته منذ لقاءاته وسهراته مع موظف استقبال فندق ستار في ( باريس ) وحتى تلك اللحظة التي تسلم فيها الرسومات الهندسية للمنشآت العسكرية من زوج شقيقته .. وأمام هذا السيل الجارف من الأدلة والبراهين انهيار ( بهجت حمدان ) تماماً وراح يبيكي ويتوسل ويطلب العطف والعمو وكانت أعصابه متوترة تماماً حتى إنه كرر كتابة اعترافه ثلاث مرات ووقعه مرتين لأن أصابعه ترتجف في كل مرة ..

وأثناء محاكمته لم يجد محامياً ما يدافع عنه سوى أنه يحمل الجنسية الألمانية وأن ما فعله يعتبر تجسساً وليس خيانة .. ولكن هذا لم يقد ( بهجت ) كثيراً .. ففي الثامن والعشرين من فبراير عام 1971م التفت حبل المشنقة حول عنق ( بهجت حمدان ) ، وانتهى أمره وأمر خيافته ..

( بهجت حمدان ) لم يكن أشهر جاسوس سقط في قبضة المخابرات المصرية ، فهناك الأشهر ، وربما درامياً أيضاً ، وهي ( هبة سليم ) ، التي عرفها العامة باسم ( عيلة كامل ) ...

ولا أحد من خريجي كلية الآداب ، في تلك الفترة من أواخر الستينيات ، يمكنه أن ينسى ( هبة سليم ) ، تلك الفاتنة ، ذات الشخصية القوية ، والطبيعة الصريحة المهاجمة .. كانت دائماً من المتفوقات في دراستها ، وبالذات في دروس اللغة الفرنسية ، حتى إنها صارت صديقة شخصية للبروفيسور ( جان بول ) ، أستاذ الفرنسية الشاب الوسيم ، الذي يتقن العربية ، ويتعامل مع طلاب الكلية بروح تختلف عما يتعامل بها معهم أستاذتهم الآخرون .. وكانت ( هبة ) تحتاج بالفعل إلى صديق ، فهي تحيا وسط أسرة عجيبة ، تزخر بالمتناقضات ، فأبؤها لا يبارح سجادة الصلاة إلا نادراً ، وهو يسجد لله - سبحانه وتعالى - أو يقرأ القرآن في خشوع ، في حين لا تفارق أوراق اللعب يد أمها قط . فهي إما أن تمارس اللعب مع صديقاتها أو تخرج الأزواج لرصد



الحظ ، ومحاولة كشف المستقبل ، الذى لا يعلمه إلا الخالق عز وجل .. وبسبب هذا التناقض العجيب ، لم يكن البيت يخلو قط من الصراعات والمشاحنات والشجار ، الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى التشابك بالأيدى ، بين الأم والأب و( هبة ) تتجاهل كل هذا ، وتسرح مع أحلامها الخاصة .. أحلام الثراء والشهرة والطموح ، والتي عبرت عنها لصدقياتها ، بأن النقود هى كل شىء فى الحياة.. هى القوة ، والجاه.. وعلى نحو أكثر صراحة .. هى الوطن الوحيد ، الذى تنتمى إليه .. ولم تكن مبالغة فى قولها هذا ، فهى لم تنتم أو تعبد شيئا سوى المال ، فى حياتها كلها.. ربما لأن والدها كان مدرسا بسيطا ، لا يزيد دخله عن حفنة من الجنيهات ، فى زمن لم تكن الدروس الخاصة قد عرفت فيه بعد ، وكان دخله المنخفض هذا هو السبب الأعظم للخلافات المستمرة بين أمها وأبيها ، والمشاحنات التى لا تنتهى فى المنزل ..

وذات يوم ، تلقت ( هبة ) دعوة لحفل زفاف إحدى زميلاتنا ، فأعربت فى سخرية ، وهى تتحدث مع ( جان بول ) الشخص الوحيد ، الذى اعتادت مصارحته بهمومها ، عن أنها لا تملك ثوبا يصلح للحفل ، فأهداها ( جان ) ثوبا للحفل .. ومن منتجات ( بيير كاردان ) ، واعترضت ( هبة ) على قبول الهدية وشكرته بالفرنسية ، التى أصبحت تجيدها تماما ، ولكنها لم تكد ترى الثوب ، حتى انهارت مقاومتها تماما ، وقبلت الهدية بلا نقاش .. وكانت هذه هى البداية ، فالبروفيسير ( جان بول ) الشاب

الفرنسى الوسيم ، صاحب الابتسامة الساحرة ، جلس إلى مكتبه فى تلك الليلة بالذات ، وراح يكتب تقريرا مفصلا عن ( هبة سليم ) ، أعلن فى نهايته ترشيحه لها ، للعمل فى نفس الجهاز الذى يعمل هو لحسابه .. ( الموساد ) .

وفى الوقت الذى اجتمع فيه فريق من رجال ( الموساد ) لدراسة التقرير الذى أرسله عميلهم ( جان بول ) ، كانت ( هبة سليم ) تخطو داخل الحفل فى ( القاهرة ) فتنسج لمرآها العيون ، وتحقق لفنتتها القلوب.. وأحد هذه القلوب ، كان قلب ( فاروق الفقى ) .. كان أحد أقارب العروس ، وهوى قلبه مع ظهور ( هبة ) ، وراح يخفق فى قوة ويرفرف ، فطلب من قريبته ، أن تقدمه إلى تلك الفتاة ، التى وصفها بأنها ساحرة .. وتم التعارف بين ( هبة ) و( فاروق ) ، واشتعل الحب فى تلك الليلة ، ولكن.. من جانب واحد .. هو غرق فى حبها حتى النخاع ، فى حين لم تمنحه هى سوى نظرة مدروسة ، وضحكة عابثة ووعود غير منطوقة ، وعندما غادرت الحفل ، كانت موقنة من أن قلب ( فاروق ) قد أصبح خاتما فى أصبعها بالفعل ، وأنه مستعد لأن يفعل أى شىء من أجلها ..

وعلى الرغم من أنها لم تحمل له شيئا من الحب ، إلا أنها ظلت تلاعبه كالقط والفأر ، طوال أسبوع كامل ، فلا هى تمنحه شيئا ، ولا هى تقطع علاقتها به ، بل تقترن به ، وتتمنع

وتمتع ، على نحو زاد حبه اشتعالاً ، فى حين لم يمثل لها سوى لعبة شيطانية طريفة ، ترضى طموحها وغرورها وأنوئتها .

وفى نهاية الأسبوع ، ألقى ( جان بول ) قنبلته ، وأخبرها أنها حصلت لك على تذكرة سفر إلى ( باريس ) ، وإقامة مجانية لمدة أسبوعين ، لدراسة الفرنسية فى ( السوربون ) .. وكادت ( هبة ) تجن من الفرحه ، فها هى ذى ستسافر إلى ( أوروبا ) ، التى تحلم برويتها منذ زمن طويل ، وتتمنى لو قضت عمرها كله فيها .. وسافرت ( هبة ) وانبهرت بكل ما تراه فى ( أوروبا ) ، من نظافة ونظام وحسن معاملة ، ورقص قلبها طرباً ، عندما حصلت هناك على منحة مقدارها امان كاملان ، لدراسة اللغة الفرنسية فى ( السوربون ) ..

وكان هذا أكبر مما تحلم به ( هبة ) حتى إنها فقدت توازنها تماماً ، وكادت ترقص فى شوارع ( باريس ) ، التى راحت تسير فيها بخطوات سريعة ، وتنتقل من الشارع إلى مترو الأنفاق ، لتقطع به المدينة كلها مرات ومرات .. وفى المترو ، كان اللقاء مع ( إيزاك ) ، الذى قدم نفسه إليها باسمه الحقيقى ، وقال : إنه صحفى ، يعمل فى منظمة خاصة لحفظ السلام العالمى ، واستغرق طويلاً فى حديث حماسى حول متعة العمل بالصحافة وصعوبته. والعائد المرتفع الذى يدره ، وهى تستمع إليه فى انبهار ، وعقلها يخزن كل ما تسمعه منه ، ويستوعبه جيداً..

وتوطدت أواصر الصداقة بين ( هبة ) و ( إيزاك ) فى قلب ( باريس ) ، حتى سافرت فى نهاية الأسبوعين ، وعادت إلى ( مصر ) لتمم إجراءات المنحة ، التى ستعود بها إلى ( باريس ) ، مدينة الفن والنور والجمال ..

وفى ( مصر ) استقبلها ( فاروق ) بلهفة شديدة ، وقضت معه أسبوعاً ، عاش فيه أجمل وأسعد أيامه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد عادت فجأة إلى ( باريس ) ، دون حتى أن تودعه ، أو تبلغه بموعد الرحيل .. وكانت صدمة عنيقة للرجل ، الذى راح يبكي حبه فى مرارة ، وشوقه ولهفته إليها يتزايدان ، فى حين كانت هى تتنزه مع ( إيزاك ) فى ( باريس ) وهذا الأخير يبحث عن وسيلة لمصارحتها بالأمر ، فإذا بها تواجهه مباشرة بأنها تعلم أنه يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ، وأنه ليس لديها أى مانع من العمل معهم ، لو أنهم سيدفعون الثمن المناسب ..

كانت صدمة هائلة لرجل المخابرات الإسرائيلى ، فقد أثبتت ( هبة ) أن المال بالفعل هو وطنها الوحيد ، الذى تنتمى إليه .. ولكن الإسرائيليين شعروا بالقلق ، فلم يكن من السهل عليهم أبداً استيعاب تلك الصراحة المطلقة ؛ لذا فقد طلبوا من ( إيزاك ) إحضار ( هبة ) إلى ( تل أبيب ) ، ولم تعارض هى قط ، وإنما ذهبت إليهم بنفس ابتسامتها ، تركتهم يخضعونها لكل الاختبارات والفحوص النفسية ، التى أثبتت لهم بما لا يدع مجالاً للشك ، أنها ستعمل لحسابهم بكل إخلاص ، طالما يدفعون جيداً ..



وفى أول زيارة لها إلى (مصر) بعد عملها لحساب (الموساد) ، استقبلها (فاروق) أيضًا بلهفة شديدة ، ودعاها للسهر معه فى ملهى ليلي أنيق ، وبينما كان يتطلع إليها فى انبهار ، فوجئ بها تعرض عليه العمل لحساب منظمة السلام الوهمية ، وتطالبه بمعلومات عن المطارات السرية ، التى يعرفها بحكم طبيعة عمله ، فأصابه الفزع ، ولكنها استخدمت معه أقوى أسلحتها .. أنوثتها .. وفى تلك الليلة ، عاش (فاروق) أسعد لحظات حياته ، وأغرقتة (هبة) من عطرها وفتنتها ودفنها ، حتى إنه نسى كل شىء عن عمله وأسراره ، ولم يعد يفكر فى شىء سوى (هبة) ، التى قرر الحصول عليها بأى ثمن ..

وسافرت (هبة) هذه المرة ، وهى تحمل ضمير (فاروق) فى حقيبة يدها ، وكلها ثقة فى أنه سيمنحها أكثر مما تطلبه ، مادام يسعى لأن تمنحه هى نفسها .. وانغمس (فاروق) فى المستنقع خطوة بخطوة ، فلم يكد يرسل أول قائمة معلومات سرية ، حتى أصبح متورطاً ، وعليه أن يمضى فى خيانتته حتى النهاية ..

وعلى الرغم من ثورة الإسرائيليين ؛ لأن (هبة) تسرعت كثيراً فى عملية تجنيد (فاروق) ، إلا أن أهمية عمله جعلتهم يبلعون غضبهم ، ويهضمونه بذلك السيل من الأسرار الذى يرسله إليهم فى انتظام ، من موقع عمله ..

وفى آخر زيارة لها ، دربت (هبة) (فاروق) على أسلوب المراسلة ، واستخدام الكربون السرى ، والشفرة ، وتركته يغرق طويلاً فى حبها ، ثم رحلت إلى (باريس) ، وفى نيتها ألا تعود إلى (مصر) ثانية أبداً .. ولكن لا تأتى الرياح بما تشتهي السفن .. لقد كشفت المخابرات المصرية أمر (فاروق) ، ووضعت تحت المراقبة ، وراحت تتابع عمله ، وتمنحه فقط ما يمكنها التنازل عنه من أسرار ، فى حين أصبحت (هبة سليم) هى الشغل الشاغل لرجل المخابرات ، الذى كشف أنها صارت أخطر جواسيس (الموساد) على الإطلاق ، فهى قد استقرت فى (باريس) ، وافتتحت متجرًا فخماً للأزياء وأدوات الزينة ، جذب إليه معظم زوجات سفراء الدول العربية هناك ، حتى إنها صارت ضيفاً دائماً فى حفلات السفارات والقنصليات ، وأصبحت صديقة لشرات من الرجال الذين يحملون ألق أسرار الوطن العربى كله ..

ومع خطورتها البالغة ، قررت المخابرات المصرية إنهاء العملية كلها ، قبل حرب أكتوبر 1973م .. وكانت الخطوة الأولى هى الإيقاع بشريكها (فاروق الفقى) ، والتحفظ عليه فى مكان تحت السيطرة ، حتى لا يدرك (الموساد) ، ولا تدرك (هبة) نفسها أنه قد هوى ... أما الخطوة التالية ، فكانت (هبة) نفسها .. كان والدها قد حصل على إجازة للعمل فى (تونس) ، وكانت دائمة الاتصال به ، وذات مرة عندما تجرت اتصالها



المعتاد ، فوجنت بصديق لوالدها يجيبها ، ويخبرها أن والدها قد تم نقله إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوص الطبية ، بعد إصابته بوعكة خفيفة .

وشعرت ( هبة ) بالقلق الشديد على والدها ، ولم ينتهيا أدنى شك في الأمر ، فقد تم إعداد الخطة بمهارة مدهشة ، من المخابرات المصرية ، بالتعاون مع المخابرات التونسية ، بحيث تصور الأستاذ ( سليم ) نفسه ، أنه يعاني من وعكة صحية حقيقية ، مما جعل الأمر يبدو طبيعياً ، عندما تحرت المخابرات الإسرائيلية الخبر في ( تونس ) ، واطمأنت إلى أنه بالمستشفى بالفعل.. ولأن الأمر كان متقناً للغاية ، فقد تركت المخابرات الإسرائيلية ( هبة ) تسافر إلى ( تونس ) ، ولم يقلقوا بشأنها.. ووصلت ( هبة ) بالفعل إلى ( تونس ) ، ولكنها لم تقص فيها سوى دقائق معدودة ، فقد اصطحبها رجل المخابرات المصري مباشرة ، من الطائرة القادمة من ( باريس ) ، إلى أخرى في طريقها مباشرة إلى ( القاهرة ) ..

وكانت صدمة هائلة لجهاز ( الموساد ) كله ، ولعملته ( هبة سليم ) ، التي فوجنت بأن كل نجاحها هذا ، لم يكن سوى فقاعة هواء ، تحركها المخابرات المصرية في براعة ، منذ زمن طويل .. ولقد أدلت ( هبة ) باعتراف تفصيلي ، في مبنى المخابرات العامة بالقاهرة ، بعد أن أطلعوها على اعتراف ( فاروق ) ،

الذى لم يشف من انهياره بعد .. والعجيب أنها كانت أكثر تماسكاً منه ، أو أنها كانت شاردة تسترجع أحلام عمرها كله ، التي انهارت دفعة واحدة .. وعندما التف حبل المشنقة حول عنقهما ، أدرك ( فاروق ) ( و هبة ) أن ما ملأ حياتهما لم يكن حلمًا كثيرًا ما تصوره دائماً .. بل كان كابوساً ..

وهذا الكابوس ليس الكابوس الوحيد ، الذى عاشه من واجهوا المخابرات المصرية ، فالإسرائيليون عاشوا كابوساً رهيباً معها ، حتى عندما حاولوا اللعب عليها خارج أرضها ، كما حدث فى عملية جاسوسهم ( باروخ ) ...

( باروخ زكى مзраحي ) هذا هو يهودى مصرى ، ولد بـ ( القاهرة ) عام 1926م ، وكان والده ( زكى مзраحي ) واحداً من تجار الدخان ، فى شارع ( كلوت بك ) ، وكان ثرياً إلى الحد الذى سمح له بإلحاق ابنه ( باروخ ) بمدرسة ( الفرير ) ، قيل أن يتوفى عام 1933م ، إثر إرهاب شديد فى العمل .. وعلى الرغم من وفاة الوالد ، راحت أم ( باروخ ) تعمل بجد وبلا كلل ، لتوفر لأبناتها حياة قريبة من تلك التى وفرها لهم والدهم ، واشتهرت بين جيرانها بأنها خياطة بارعة تتقاضى أجراً يتناسب مع مهارتها وذوقها الرفيع ، بحيث نجحت فى إلحاق ( باروخ ) فى سبتمبر 1940م بمدرسة ( الفرير ) الثانوية ، المعروفة باسم مدرسة القديس ( يوسف ) ، وحصل منها على شهادة ( التوجيهية ) .

من القسم الأدبي عام 1944م ، والتحق في العام نفسه بكلية التجارة جامعة ( القاهرة ) ، وتخرج فيها عام 1948م ، مع تخصص في شعبة المحاسبة .. وفي نفس عام تخرجه ، عمل ( باروخ ) في شركة ( كونزلز ) لاستيراد المعلبات والمحركات ، ثم انتقل في عام 1950م للعمل في شركة ( يخكو ) للأدوية والأدوات الجراحية ، وظل يعمل فيها لمدة عشرة أشهر ، انتقل بعدها للعمل كمدرس ، في مدرسة الأقباط الكبرى الثانوية ، لتدريس اللغة الفرنسية ، وكان عمله ينتهي فيها في الرابعة عصراً ، حيث يعمل حتى المساء في شركة سمسرة ، تحمل اسم ( دانيال نبياه وشركاه ) ..

وأصبح ( باروخ ) موظفاً ثرياً ، بالمعنى المعروف في تلك الأيام ، يقطن شقة أنيقة ، تحوى كل متطلبات العصر ، ويرتدى أفخر الثياب ، ويتعطر بأغلى العطور ، ويكفل أمه وشقيقته ( إيفيت ) وشقيقه ( ماير ) ، وكل شيء يسير معهم على ما يرام . ز حتى ظهرت ( فورتنيه ) .. كان هذا في عام 1955م ، عندما التحقت ( فورتنيه ) الفاتنة الشقراء بنفس المدرسة ، التي يعمل بها ( باروخ ) ، وأصبحت زميلته في العمل .. ومنذ اللحظة الأولى ، التي وقع فيها بصره على شعرها الذهبي وابتسامتها الساحرة ، غرق ( باروخ ) في غرامها حتى النخاع ، وراح يتقرب منها في لهفة

واضحة ، وهي تسمح له بالاقتراب إلى حدود مدروسة ، ثم تصده وتمنعه عن الاستطراد في حنكة وصرامة ، تمتازان برقة وإغراء يفتنانه ، ويخلبانه لبه وصوابه ، حتى إنه عرض عليها الزواج .. كان يتوقع منها انشعور بالمفاجأة ، أو الخجل ، أو حتى إشاحة رقيقة بوجهها ، ولكن ما فعلته كان مدهشاً للغاية .. لقد تطلعت إليه لحظة بابتسامة ظافرة ، وتألقت الزهو في عينيها واضحاً ، ثم لم تلبث أن حوكت كل هذا إلى ضحكة مجلجلة ، تموج بالانتصار والخيلاء ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رفضت عرضه ؛ لأن عائلتها كلها قررت الهجرة إلى ( إسرائيل ) .. حاول إقناعها بالبقاء في ( مصر ) مشيراً إلى أن كليهما يتمتع بوظيفة ممتازة ، ووضع مالي جيد ولكنها تشبثت برأيها ، وحسمت الأمر بأن الوسيلة الوحيدة هي أن يهاجر هو أيضاً إلى ( إسرائيل ) .. أو يفرقان تماماً ..

وتحت ضغط الهوى والحب ، أقتع ( باروخ ) أمه بالهجرة إلى ( إسرائيل ) ، وحملها رغماً عن إرادتها إلى السفينة ، التي حملتها إلى ميناء ( بيرييه ) وهما يذرفان الدمع مع غيار أضواء مدينة ( الإسكندرية ) خلف الأمواج ، في السادس من فبراير ، عام 1957م ، وبصحبتهما القاتلة ( فورتنيه ) وعلى

شفتيها ابتسامة ظافرة ، لم يدرك ( باروخ ) معناها ، حتى عندما التقى بمندوبي الوكالة اليهودية في ( بيريه ) ، ولاحظ استقبالهما الحار لصديقه ( فورتينيه ) ومعرفتهما الواضحة بها ، قبل أن ينتقل الجميع إلى باخرة أخرى حملتهم إلى ميناء ( حيفا ) ، حيث أرض الميعاد ، التي حلموا بها طويلاً ..

وهناك ، في قلب ( إسرائيل ) ، راحت الصدمات تتوالى .. كانت الصدمة الأولى هي أنه سينتقل مع أمه ، للعيش في مستعمرة ( معجان ميخائيل ) حيث تعمل أمه في حياكة الملابس ، ويعمل هو كفلاح أجيرو.. والصدمة الثانية هي أن حياته في ( أرض الميعاد ) ، لن تساوى ذرة من حياته في ( مصر ) ، إذ يكفيه أجره بالكاد ، ليعانى شظف العيش ، ويجد مأوى متواضعا ، ويتناول ثلاث وجبات أشد تواضعا .. أما الصدمة الكبرى ، التي زلزلت كيانه ، وحطمت كل أحلامه ، فهي أن زواجه من ( فورتينيه ) مستحيل ، لأن القوانين الإسرائيلية تحظر زواج اليهودي من فتاة ليست من أم يهودية ..

ولم تكن هذه نهاية الصدمات ، بل تواصل الأمر بانتقاله إلى ( حيفا ) ، وعمله هناك كرجل شرطة ، بأجر تافه ضئيل ، واضطراره للعيش في مسكن مشترك ، مع يهودى شرقى آخر ، ومعاناته من سوء معاملته ، باعتباره أحد يهود ( الإشكيزيم ) ،

من الطبقة الثانية ، وفي النهاية زواج ( فورتينيه ) من يهودى ثرى ، وانقطاع آخر أمل له فى الزواج منها .

وعلى الرغم من كل هذا ، لم يبق ( باروخ ) بلا زواج .. لقد التقى ، أثناء عمله فى شرطة الآداب ، بزميلته ( مرجريت ) ، فوقع فى حبها من أول نظرة ، وغرق فى بحر الهدوء المطل من عينيها الحائيتين ، وسرعان ما تزوجها ، وبدأ حياة أسرية جديدة ، ينفق عليها من الإتاوات والرشاوى ، التى يتقاضاها من قسط الليل ، لغض البصر عن نشاطهن .

وذات يوم ، استدعاه رئيسه ، وقال له فى لهجة أمرة حازمة أنه قد رشحه لعمل مهم ، وطلب منه أن يذهب غذا إلى مكتب المخابرات ، ويقابل رئيسه ( حاييم أيدولوفيتش ) .. ومن هنا كانت البداية .. لقد التقى فى الصباح التالى بمدير مكتب المخابرات المحلى ، البولندى الأصل الذى تفحصه بنظرات سريعة ، ثم أبلغه أنه تم تعيينه فى جهاز المخابرات الإسرائيلى ، وأسند إليه مهمة مراقبة نشاط بعض الشيوعيين ، فى قلب ( إسرائيل ) .. واتغمس ( باروخ ) فجأة فى هذا العالم.. كان يغمر رئيسه بتقاريره بالغة الخطورة عن نشاط الشيوعيين فى ( إسرائيل ) ويتقاضى مكافآت سخية مقابل هذا ، وبرع فى عمله كثيرا ، حتى استدعاه ( حاييم ) ذات يوم ، وأبسمه ابتسامة



كبيرة ، وهو يطلب من أن يذهب لمقابلة شخص مهم ، فى قهوة ( فيرد ) شمال شارع ( ديزنجوف ) فى ( تل أبيب ) ، فى تمام السادسة مساءً .. وذهب ( باروخ ) فى الموعد تماما .. وبدأ خطوته الثانية فى عام المخابرات.. فى البداية أسندوا إليه بعض أعمال الترجمة ، لتقارير واردة من العملاء الأجانب ، ثم استدعاه المدير ذات مرة ، وأخبره أنهم سيرسلونه ..

فى مهمة إلى ( هولندا ) حيث افتتحوا مكتبًا تجاريًا هناك ، كغطاء لأعمال التجسس ...

وفهم ( باروخ ) ما يعنيه الأمر ، وسافر إلى ( هولندا ) ، وهناك أقام علاقات جيدة مع المصريين المقيمين فى العاصمة الهولندية ، ونشطت علاقته بهم ، وجمع قدرًا كبيرًا من المعلومات ، جعله يؤكد أن مستوى الوعي الأمنى عند العرب منخفض للغاية ، فما أن يبدأ الحديث مع أحدهم ، حول موضوع ما ، حتى ينطلق مثرثرًا ، ويروى كل ما لديه عنه ، مهما بلغت سرية الأمر ..!!!!

وبعد النجاح الساحق لمهمته فى ( هولندا ) عاد ( باروخ ) إلى ( تل أبيب ) ، ولم تمض فترة قصيرة حتى استدعاه مديره مرة أخرى ، وقال فى لهجة تشف عن أهمية الأمر وخطورته :

إن المصريين قد ضربوا إحدى السفن الإسرائيلية ، أمام باب المنذب ، وهذا ما دفعهم إلى أن يسندوا إليه مهمة بالغة الخطورة ، يعلقون آمالًا كبيرة على نجاحه فيها ، وأن رئيسة الوزراء شخصيًا ، شديدة الاهتمام بما سيحققه فيها ؛ إذ سيسافر أولاً إلى ( عدن ) ثم اليمن الشمالية وبعدها إلى دولة الإمارات.. ويريدونه أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن هذه البلاد ، ويتابع نشاط منظمة التحرير الفلسطينية فيها ، ويريدون أن يعرفوا بالتحديد ، هل يتدرب الفدائيون هناك على ضرب ناقلات البترول الإسرائيلية فى البحر الأحمر ؟

وشعر ( باروخ ) بأهمية المهمة وخطورتها ، وهو يبداً رحلته ، بجواز سفر مغربى ، يحمل اسم ( أحمد الصباغ ) وعلى كتفه ، كإى سائح عادى ، آلة تصوير جيدة ، تساعده على التقاط صور الأهداف الحيوية ، وقبل أن يستقل طائرته بأقل من ساعة ، جال بخاطره أمر مقلق .. وماذا لو اكتشف الأمر ؟ وعندما صارح رئيسه ( مورداخى ) بهذا ،

اتفجرت عاصفة من الضحك فى مقر المخابرات ، وأخبروه فى ثقة ، أن الخطة التى يضعها عباقرة الموساد ، يستحيل أن يكشفها عرب متخلفون ...

67 روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

اليمن كانت قد أبلغت المخابرات المصرية بسقوط الجاسوس ،  
الذي حذرتها ( مصر ) من أنه سيصل إليها مسبقاً ، بعد أن نقل  
إليها أحد عيونها المعلومة ، من قلب إسرائيل ، وأرسلت  
( مصر ) ضابط المخابرات المصري الأسمر ، الذي واجهه ،  
وكشفه أمام نفسه ، ثم حمله معه إلى القاهرة ....

لم تكن رحلة الضابط المصري مع الإسرائيلي ( باروخ زكي  
مزارحي ) ، من ( اليمن ) إلى ( القاهرة ) سهلة أو هينة ، بل  
كانت مغامرة عنيفة ، تستحق مجلداً ضخماً لسردها ، خاصة مع  
محاولات ( الموساد ) المستميتة لاستعادة ضابطهم ، ولكنهما في  
النهاية وصلا إلى ( القاهرة ) ، وتسلمت السلطات ( باروخ )  
وقبل أن يبدأ ( إسماعيل مكى ) ، نائب المدعى العسكري العام ،  
تحقيقاته معه ، مال نحوه ، وأخبره بابتسامة هادئة ، إن زوجته  
( مرجريت ) رزقت بمولودة أسم ، وهي في حالة جيدة .. وهنا  
انفجر ( باروخ ) باكياً ، واعترف بكل شيء ..

ولم تكلل حياة ( باروخ ) بالانتصارات وأكالييل الغار ، كما كان  
يتوقع ، بل كان سقوطه عنيفاً مدوياً ، زلزل كيان جهاز حكماً  
بالسجن المؤبد ، في زنزانة عادية في ( القاهرة ) التي ولد  
فيها ، والتي شهدت صباه وشبابه ، وسقوطه ..

وهكذا غادرهم ( باروخ ) ، وهو يشعر بالزهو والغرور ، لأنه  
يعمل في جهاز خطير ودقيق ، مثل المخابرات الإسرائيلية ،  
وسافر إلى ( عدن ) ، وأنهى مهمته فيها بنجاح ، ثم إلى اليمن ،  
حيث أقام في فندق الأخوة في ( الحديدة ) ، وبدأ هناك عمله في  
ثقة وبساطة ، فراح يتجول في الأسواق ، وبالقرب من الميناء ،  
حاملاً آلة التصوير المعلقة بكتفه ، والتي يلتقط بها عشرات  
الصور للميناء ، والسفن الراسية فيه ، وإجراءات الأمن من  
حوله ، ثم يعود إلى حجرته في الفندق باسم الثغر ، شديد الزهو  
والهدوء ... ولكن فجأة ، وفي نفس اليوم الذي استعد فيه للسفر  
إلى ( أديس أبابا ) ، فوجئ بشابين من رجال الأمن اليمنيين في  
حجرته ، يسألانه في لهجة مهذبة تفتيش حجرته ، فحاول  
الاعتراض ، وثار ثورة مصطنعة ، وهدد بالاتصال بسفارة  
المغرب ، ولكن أحداً لم يعره انتباهاً ، وعثر الشابان على  
الأفلام ، فصاح فصاح مؤكداً أنها مجرد صور تذكارية للرحلة ،  
ولكن أحدهما دسّ يده في جيب ( باروخ ) ، وأخرج الرسوم  
الكروكية للميناء والمواقع العسكرية اليمنية ، وهو يتساءل:  
أهذه؟ .. رسوم تذكارية أيضاً؟! ..

وأسقط في يد ( باروخ ) ، واستسلم لهما وهما يقودانه إلى مبنى  
التحقيقات ، ولكنه ظلّ يصر على أنه مغربي الجنسية ، إلا أن

وقصص السقوط في تاريخ المخابرات عديدة ، لن تكفيها صفحات في صحيفة ، أو حتى صحيفة كاملة ، فمن ( إبراهيم سعيد شاهين ) و ( انشراح على موسى ) إلى ( سامى نافع ) إلى الدكتور ( إسرائيل ببير ) ، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي ، والذي لم يعرف ، حتى لحظة سقوطه ، أنه كان يعمل لحسابنا ، من خلال عشيقته ( كلارا ) ، إلى ( محمد العطار ) و ( محمد سيد صابر ) حديثاً ، ولكن عمل أجهزة المخابرات لا يقتصر على جمع المعلومات وزرع العيون ، وإسقاط الجواسيس فحسب ، بل يمتد أيضاً إلى حماية الأمن القومي بشتى الطرق ، ولقد تبين هذا قديماً ، من خلال النشاط المكثف لجهاز المخابرات ، في الفترة من نكسة يونيو ، وحتى نصر أكتوبر 1973م ، ففي تلك الفترة ، قرّرت المخابرات أنه من صميم عملها ، توعية المواطنين بضروريات المرحلة المقبلة ، وكان هذا إيذاناً ببداية الخطة ، التي تعتمد على شن حملة ضخمة ، على كل المستويات لتوعية الناس بضرورات الأمن ، وتعريفهم بأساليب العدو في جمع المعلومات ، ومنعهم من الإفشاء بما لديهم في كل مناسبة - وبدون مناسبة - وسد الثغرة التي تتسرب منها الأسرار.. وعندما بدعوا خطتهم ، كانوا يدركون جيداً أن الخطوة الكبرى والأولى ، بل والعمود الفقري للخطة كلها هي الدين ، فلا بد أن يدرك الناس ، من خلال جهات يمنحونها كل ثقتهم ضرورة كتمان الأسرار .. ولا توجد جهات لهذا الغرض ، أفضل من دور

العبادة ، فغالبيتها المواطنين يترددون عليها بانتظام ، ويؤدون فيها مناسكهم وصلواتهم ، والتوعية من خلالها ستجد حتماً الصدى المطلوب في نفوس الجميع .. ولتحقيق هذا الغرض ، كان من الضروري أن يفهم رجال الدين الفكرة ، ويستوعبوها ، ويقتنعوا بفائدتها وضرورتها ، حتى يمكنهم نقل هذا إلى مستمعهم .. وعلى الرغم من أن طبيعة العمل في أجهزة المخابرات لا تميل قط - بل وربما تتنافى تماماً - مع العلانية ، والاجتماعات الرسمية ، إلا أنه كان من الضروري أن يعقد الرجال اجتماعات موسعة مع رجال الدين ، من شيوخ وقساوسة ، ليتحدثوا إليهم مباشرة ، ويشروحوا لهم فكرتهم والأسلوب الأمثل لتعاونهم معه على تحقيقها.. وكانت الفكرة ناجحة بحق.. لقد اقتنع الجميع بالفكرة بسرعة ، ولقد أضفى قيام رجال مخابرات بشرح القضية جدياً وخطورة على الموقف ، فتفاعل معهم رجال الدين في حماسة ، واستوعبوا الموقف كله ، واتفقوا معهم في الرأي تماماً ..

وفي الأيام التالية بدأ من الواضح أن الفكرة كانت مدهشة وناجحة إلى حد مذهل ، فقد انطلق خطباء المساجد ، والقائمون على الوعظ في الكنائس ، ينبهون الناس إلى ضرورة التزام الصمت ، حتى لا يستفيد العدو من أسننتنا ، وكان إحماسهم وإخلاصهم أثره البالغ في استجابة جميع الشعب، المشكورة بسرعة مدهشة ، كما اتضح بشكل قاطع في السنوات التالية .. ولكن



الجعية لم تكن قد فرغت بعد .. فبعد رجال الدين ، جاء دور الطوائف الأخرى ، التي يمكنها التأثير في الجماهير ، التي تكتسب ثققتها واهتمامها ، مثل الأدباء والصحفيين ، ومؤلفي الأغاني ، ومع التمثيليات ، ومخرجي المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية ..

صحيح أن هذا يتعارض كثيرا مع نظم العمل في أجهزة المخابرات ، التي تحبذ السرية والصمت ، إلا أنه أروع ما في هذه النظم هو أنها ليست جامدة أو محتجرة ، وإنما يمكنها أن تتغير وتتبدل ، طبقاً للظروف ومقتضيات الموقف ..

ومن هذا المنطلق ، شرح الرجل الفكرة للحشد الذي اجتمع لينصت إليه ، وطلب منهم أن يعملوا على شد انتباه المواطنين ، من خلال ما يقدمونه من مقالات وكتب ، وروايات ، وأعمال فنية وترفيهية ، إلى الخطر الرهيب ، الكامن في الأحاديث غير المسنولة في الشوارع والمصانع ووسائل المواصلات ، وينبهوهم إلى مزايا الصمت والتكتم ، وحجب أنباء المنشآت والأسلحة والنوابي ..

ومرة أخرى آتت الفكرة ثمارها على نحو مدهش.. لقد انطلق سيل من الروايات ، والكتب ، والمقالات والمسلسلات ، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية يغمر وسائل الإعلام ويملا أسماع ويعون عقول الناس ، على نحو لم يسبق له مثيل .. وفي حماسة ، التف

الناس حول أجهزة الراديو ، لمتابعة مسلسل (كلاب الحراسة) الذي كتبه (كمال إسماعيل) ، ابن الراحل (محمود إسماعيل) ، وأخرجه للإذاعة الفنان (على عيسى) ، ثم لم يلبث المسلسل أن تحول إلى (التلفزيون) ، من إخراج (نور الدمرداش) ، فتضاعف نجاحه مرات ومرات .. وتواصل السيل ، ليكتب (محمود صبحي) في برنامج (عيلة مرزوق أفندي) ، ويكتب (رافت الخياط) (البعثة 69) ويقدم (محمد كامل) (المصيدة) ، في حين أخرج (محمد شرابي) عشر تمثيليات في برنامج (صور من الحياة) حول الفكرة نفسها ، وقدم (على عيسى) برنامجين ناجحين (من قصص الجاسوسية) ، و(الحرب النفسية) كما سارع (فائق إسماعيل) بمسلسلين (اللسان والجاسوس) ، و(لا أسمع.. لا أرى .. لا أتكلم) .. ومع تقديم هذه الأعمال تضاعف الحماس أكثر وأكثر ، وتصاعدت درجة الوعي ، وبدأ الناس يدركون أهمية إمساك الألسنة .. ولكن الحملة لم تتوقف .. والسيل لم ينقطع ..

لقد قدم (محمد سعيد) برنامج (جند الله) ، في حين تبنى مذيع البرامج الدينية الأشهر (أحمد فراج) الفكرة في برنامجه (نور على نور) ، وجذبت الإذاعة الأذان والعقول والقلوب بثلاث خماسيات ، لاقت نجاحا كبيرا في حينها ، وهي (تذكرة إلى أثينا) ، و(كمين) ، و(صراع حتى النهاية) .. وفي نفس

الوقت كان العشرات من أصحاب الأقلام يقدمون المقالات ، فى الصحف المختلفة ، مثل ( حسين فهمى ) ، و( أنيس منصور ) ، و( عبد السلام داود ) ، و( صلاح هلال ) ، و( جميل عارف ) ، و( عبده مباشر ) ، وغيرهم ..

وعلى الرغم من كل هذا النجاح ، ومن أن الدعوة قد وجدت طريقها إلى مختلف قطاعات الشعب على نحو شديد الإلحاح والاستمرارية ، إلا أن المخابرات كانت تشعر أن شيئاً ما ينقص .. صحيح أن الناس تدرك خطورة التشديق بالمعلومات ، والتباهى بالأهداف ، إلا أن العديد منهم ما زالوا يتخذون موقفاً عدائياً من جهاز المخابرات العامة بعد المناخ الذى ساد عقب نكسة يونيو 1967م ، والذى حاول البعض خلاله تشويه صورة الجهاز ، والانتقاص من قدره ، ونسب العديد من الأعمال المنافية للأخلاقيات إليه ، دون مبرر أو دليل .. وكان من الضروري أن يتم تحسين هذه الصورة ، وتعريف الناس بحقيقة عمل المخابرات العامة ، وبأنها الدرع الواقية للبلاد ، والسبيل الأمثل لحماية الوطن من أعدائه خارج الحدود وداخلها ، وفى سبيل هذا الهدف النبيل ، فإنها تسعى للحصول على معلومات عن العدو وتأمين أفراد الشعب ومعداته ومنشآته ، بمكافحة التجسس والتخريب ، وأنه لا صلة لها قط بأعمال القمع ، التى لم تدخل فى نطاق عمل المخابرات .. وفى سبيل تحقيق هذا

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 73

الهدف الجديد ، استعانوا بواحد من أوائل من توغّلوا أدبياً فى عالم المخابرات ، وهو الراحل (ماهر عبد الحميد) ، الذى بدأ يكتب مقالات أسبوعية ، فى إحدى الصحف الكبرى ، للتعريف بعمل المخابرات وأهميته ( السرى ) .

وكان لهذه الخطوة ، كسابقاتها ، تأثير مدهش على الناس ، الذين أدركوا وربما لأول مرة ، مقدار الجهد الذى يبذله رجال المخابرات العامة المصرية والمخاطر التى يتعرضون لها ويواجهونها ، وأهميتهم البالغة فى الحفاظ على أمن الوطن وسلامته ..

ونجحت الحملة أكثر وأكثر ، حتى إن جريدة ( جيروساليم بوست ) الإسرائيلية قد نشرت مقالاً ، فى عددها الصادر بتاريخ 1972/4/26م ، تحذر فيه بشدة من مغبة الحملة المكثفة ، التى تقوم بها الأجهزة المصرية والإعلام المصرى ، لتوعية الشعب وإقتاعه بضرورة الصمت وكتمان الأسرار ، وتقول إن تأثير هذه الحملة لن يودى إلى تقليص كمية المعلومات ، التى يجمعها عملاء المخابرات الإسرائيلية فحسب ، وإنما سيمتد إلى تغيير وتبديل مواقف بعض العملاء ، الذين يعملون ضد الدول العربية الأخرى أيضاً ، ثم تؤكد ضرورة أن تعيد المخابرات الإسرائيلية تقييم موقفها ، فى ظل هذه الحملة المكثفة

ولقد تواصل هذا الأمر حتى حرب أكتوبر، التي كان للمخابرات دور شديد الفاعلية في التمهيد لها، ولا نغنى هنا تجنيد العملاء وزرع العيون، وإسقاط الجواسيس أيضاً، ولكن دورها المميز في خلسة الخداع الاستراتيجي، التي سجلها التاريخ، كواحدة من أعظم وأنجح خطط الخداع كافة، إذ اعتمدت فيها المخابرات على مبدأ جديد، ألا وهو أن تترك العدو يرى ويسمع.... ولكن لا يفهم... وهنا تكمن العبقرية..

فعندما اقتربت ساعة الصفر، وبدأ العد التنازلي لحرب أكتوبر، وبلغت حرارة الرجال حدًا مخيفًا، على الرغم من انخفاض درجات الحرارة الفعلية، ووصولها إلى معدلات معتدلة، بالنسبة لهذه الفترة من العام.. فكل شيء ينبغي دراسته بمنتهى الدقة والعناية، حتى أدق التفاصيل بحيث تمضي الخطة في مسارها، دون أن ينتبه العدو، أو تلتقط عيونه لمحة واحدة، يمكن أن تفصح عما يديره جيشنا، وتعدّه له قيادتنا السياسية والعسكرية.. ولم يعد هناك وقت للنوم.. الجميع صاروا يعملون ليلاً ونهاراً، بلا انقطاع تقريباً، وكل فريق منهم يعيد دراسة الأمور، وتقييمها، في ظل ما يستجد من معلومات، يتولى عددًا من أمهر الجواسيس والعملاء جميعها بلا هوادة، من كل المصادر الممكنة، في قلب النسيج الأساسي للعدو.. وكلما برزت مشكلة، كان على الرجال أن يفحصوا ويمحصوا، ويجاهدوا للبحث عن أفضل الحلول لها، وبأكثر الوسائل سلامة وأمنًا..

وفي الوقت ذاته كانت هناك مشكلات معتادة وتقليدية، في كل الحروب يدركها ويعلمها العدو، تمامًا مثلما ندركها ونعلمها، ومن الضروري أن يجد الخبراء لها حلولاً مبتكرة وجديدة، بحيث لا ينتبه العدو إلى هذه الحلول التي تقوده بالطبع إلى وجود المشكلة وارتباطها الحتمي بقرب اندلاع الحرب.. ومن أكبر هذه المشكلات وأكثرها أهمية، مشكلة توفير أماكن العلاج للمصابين الذين قدر الخبراء أنهم سيبلغون خمسين في المائة في موجة العبور الأولى، ثم يتناقص العدد بعدها تدريجيًا.. وطبقًا لتقديرات الخبراء، كان من الضروري، بل من المحتم أن يتم إخلاء عدد من المستشفيات المدنية؛ حتى يمكنها استقبال كل هذا العدد الذي لن تستوعبه مستشفيات القوات المسلحة وحدها حتمًا..

ومن أجل هذه المشكلة، اجتمع الرجال كثيرًا وطويلاً، وراحوا يدرسون ويفكرون، ويناقدون ويتجادلون، حتى يمكنهم إيجاد سبب منطقي لإخلاء المستشفيات، دون أن يثير هذا العدو... سبب طبي بحت..

وبعد سبع ساعات واثنى عشرة دقيقة بالتحديد، وصل إلى إحدى الوحدات العسكرية في السويس قرار من إدارة شئون الضباط للقوات المسلحة، بتسريح ضابط طبيب من الخدمة، وعودته إلى الحياة المدنية.. ولما كان ذلك الإجراء نادر الحدوث، في تلك الفترة، فقد أظهر الضابط الطبيب فرحته



وسعادته ، وهمس للمقربين إليه بأن جهود خاله الذي يحتل مكانة رفيعة في القيادة ، هي التي منحت هذا الامتياز ، وأعادته إلى الحياة المدنية ، حتى يمكنه استكمال دراساته العليا ، التي توقفت مؤقتاً ، بسبب التحاقه بكلية ضباط الاحتياط منذ عدة سنوات ..

وكإجراء طبيعى ، لم يكد الطبيب ( ع ) يعود إلى حياته المدنية ، حتى تسلم وظيفته السابقة في وزارة الصحة ، التي تركته على قوتها ليومين أو ثلاثة قبل أن تمنحه خطاب التعيين فى مستشفى ( الدرمداش ) الذى وقع عليه الاختيار ليكون على رأس قائمة المستشفيات المطلوب إخلاؤها ، قبل أن تنشب الحرب .. والتحق ( ع ) بالعمل بالمستشفى ، وأبدى نشاطاً ملحوظاً ومهارة وكفاءة فى عمله فى قسم الجراحة ..

وقبل أن يمضى أسبوع واحد على تسلمه العمل ، حتى كان يتقدم بمذكرة إلى مدير المستشفى ، مؤكداً فيها أن حجرة العمليات ، ومعظم عنابر المستشفى ملوثة بميكروب التيتانوس .

كان الأمر شديد الخطورة ، ولم يخضع المدير له فى سهولة ، وإنما قرر القيام بفحص شامل ، وإجراء عدد من التحليلات ، قبل اتخاذ أى قرار فى هذا الشأن .. وتم جمع العينات المطلوبة ، وإجراء كل الفحوص الممكنة .. ثم أتت النتائج .. والدهش أنه وعلى الرغم من خلو المستشفى فعلياً من الميكروب ، إلا أن كل

النتائج إيجابية وكأنما تحول مستشفى ( الدرمداش ) إلى مزرعة نشطة لميكروب التيتانوس بالذات .. وصدر قرار بإخلاء المستشفى تماماً من المرضى لتطهيره من الميكروب ، وتم اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لهذا ..

وبسرعة ، ووفقاً لخطة المخابرات ، التي اعتمدت على تعاون الصحافة وتأثير الكلمة المطبوعة على مشاعر الجماهير ، وبخاصة لو كانت كلمة لكاتب يحترمه الجميع ، ويثقون بما يقول ويكتب تمام الثقة ، قرر الرجال تحويل ما حدث فى المستشفى ، إلى فضيحة صحفية ، ومن هذا المنطلق ، وفى السادسة صباحاً ، ارتفع رنين الهاتف فى منزل الكاتب الصحفى المعروف ( م ص ) الذى استيقظ على الفور ، والتقط سماعة الهاتف فى سرعة ، ووصله الخبر من مصدر مجهول .... وكانت الفضيحة ... المقصودة .. والمدروسة بدقة ..

وفى الصباح التالى مباشرة ، نشرت جريدة الأهرام خبر إخلاء مستشفى ( الدرمداش ) من المرضى ، بسبب تلوث معظم عنابره بميكروب ( التيتانوس ) .. ثم جاء دور الأستاذ ( م ) .. وفى مقال ملتهب استنكر ( م ) ما حدث فى مستشفى ( الدرمداش ) وعزاه إلى الإهمال والاستهتار ، ثم تساءل فى النهاية عما إذا كان الأمر يقتصر على هذا المستشفى وحده ، أم إن مسلسل الإهمال قد بلغ بعض المستشفيات الأخرى ١٢ وفى اليوم التالى خرج بمقال آخر ، حول الموضوع نفسه ..

ثم مقال ثالث .. ورابع .. ومع رد الفعل الجماهيري ، وبناءً على هذه الحملة الصحفية الساخنة ، أصدرت وزارة الصحة قراراً بإجراء تفتيش على باقى المستشفيات .. والطريف أنها أسندت هذه المهمة لطبيب ( ع ) نفسه ، من قبيل المصادفة !! .. وانطلق ( ع ) يواصل مهمته ، ويجرى التفتيش على عدد كبير من المستشفيات ، من ضمنها تلك التى تحتل القائمة ، التى وضعها رجال وزارة الدفاع والمخابرات العامة ..

ولم يكد أوّل أكتوبر يأتى حتى كان العدد المطلوب من المستشفيات قد تم إخلاؤه نهائياً ، ونشرت جريدة الأهرام تحقيقاً عنلياً حول هذا الأمر ، مع صور الأسرة الخالية ، وعمليات التطهير المستمرة .. والتقط رجال المخابرات أنفاسهم فى ارتياح لنجاح الخطة ، ثم عادوا يكتمونها فى قلق شديد ، خشية أن يكشف العدو الأمر ، قبل اندلاع الحرب .. ولكن هذا لم يحدث والحمد لله ..

فبعد ستة أيام بالتحديد ، نشبت حرب أكتوبر ، واندفعت موجة العبور الأولى تشق قناة السويس ، وتعبّر حاجز الهزيمة ، وتحتل أقوى خط دفاعى فى التاريخ ، وتحطم أسطورة الجيش الإسرائيلى ، الذى أشاع أنه لا يقهر أبداً ..

وخفقت قلوب الرجال فى حماس وزهو لا يخلوان من الدهشة والتقدير.. لقد تحقق عامل المفاجأة إلى أقصى حد ، وبوغت العدو تماماً لعملية العبور ، حتى إن معدلات الخسائر ، التى قدرها الخبراء بخمسين فى المائة فى موجة العبور الأولى ، انخفضت حتى لم تتجاوز العشرة فى المائة ، وهو أقل معدل خسائر عرفته الحروب الحديثة ، فى عملية عبور مائع مائى حصين كهذا .. وعندما تحركت كتاب الإسعاف ؛ لنقل المصابين إلى الخطوط الخلفية ، وتوفير أفضل عناية ورعاية لهم ، كانت كل المستشفيات المطلوبة خالية ، ومعدة لاستقبالهم ، وتوفير كل الخدمات الطبية لكل واحد منهم .. هذا لأن الخدعة قد نجحت نجاحاً منقطع النظير .. لقد شاهد العدو .. وقرأ .. وسمع .... ولم يفهم ..

هذا بالطبع ليس كل تاريخ المخابرات العامة فى مصر ، وليس حتى جزءاً منه ... إنه فقط لمحة ، من حرب اشتعلت منذ سنوات عديدة ، ولم ولن تتوقف لحظة واحدة ، حتى نهاية العالم ، لأنه فى عالم التخابر ، لا عين تغفل ، ولا أذن تنام ، ولا حتى لثائية واحدة ؛ فعلى الرغم من انتهاء الحروب الرسمية ، فعمل أجهزة المخابرات يستمر ويستمر ، لأن عملها فى فترة السلم ، يكون دوماً أكثر خطورة وضعية من عملها فى زمن الحروب ، على عكس ما يتصور الكثيرون ..

روايات مصرية الجيب

و نيتل فاروق

كوكتيل

٢٥٥٠

ثقافة الغد... لشباب اليوم

45

جريمة  
رقمية

Looloo

www.dvd4arab.com

وللتخاير أيضا... تاريخ (دراسة)

80

حماية الجبهة الداخلية من أعداء لا يسفرون عن عدائهم ، كما يفعلون في الحروب الصريحة ..

باختصار ، فالمخابرات أشبه بأنفاسك ، تلتقطها طوال الوقت ، ولكنك لا تشعر بهذا ، إلا لو عانيت مشكلة في التقاطها .. كذلك المخابرات ، تعمل طوال الوقت بكفاءة ، فلا تشعر بوجودها ، إلا لو أصابها قصور ما ... السؤال إذن هو : هل تعاني مشكلة ، في التقاط أنفاسك؟! ...

هل!؟



من حساسية صدرية ، منذ كان في الخامسة من عمره ، هو أشبه بحكم إعدام ، مع سبق الإصرار والترصد ، فأنا أستقل ذلك الشيء المتهالك ، الذى يقوده شخص هستيرى ، نصف مختل ، وحتماً مسجل خطر ، والمعروف باسم ( الميكروياص ) ، وأظل أدعو الله سبحانه وتعالى طول الوقت أن أصل بأمان ..

وأخيراً ، وبعد حرب أعصاب ، تستغرق عشرين دقيقة ، نظراً للزحام المرورى المعتاد ، أصل إلى المكتب ..

ويبدأ العذاب اليومي ..

الأستاذ ( حازم ) يصرخ ويأمر طوال الوقت ..

والآنسة ( حنان ) باردة كالثلج ، وطلباتها لا تنتهى أبداً

( و حسن ) عامل البوفيه لا يتوقف عن الحديث لحظة واحدة ..

( و حلمى ) زميلى الوحيد بالمكتب ، يتصرف طوال الوقت وكأنه ( شيرلوك هولمز ) فى زمانه ..

كلهم يبدعون بحرف الحاء كما ترون ..

فيما عدائى أنا ..

## 1- الزائر ..

بدأ ذلك الصباح عادياً كأي صباح ...

استيقظت تعباً مجهذاً كالمعتاد ، وكأننى كنت أعدو طوال الليل ، وبذلت جهداً خرافياً ، كالمعتاد أيضاً ، حتى انتزع نفسى من فراشى ، وأدس قدمى المكدودتين فى ذلك الشبشب القديم ، الذى أنوى تغييره ، منذ فترة طويلة للغاية ، ولا أضع هذا القرار أبداً موضع التنفيذ ، ورحت أزحف معه وبه ، حتى وصلت إلى حمام شقتى الصغيرة وأنا ألهث ، على الرغم من أن مساحتها كلها لا تزيد عن مساحة صالة الانتظار ، فى شقة الأستاذ ( حازم ) ..

وفى تكاسل هو سمة من سمات شخصيتى ، رحمت أحلق لحيتى ، التى يصر الأستاذ ( حازم ) على أن يراها ناعمة كل صباح ، وكأننا جنود فى ثكنة عسكرية ، ثم وضعت جسدى بالكاد فى ملابسى ، التى يفترض أن تبدو أنيقة ، بما يتناسب مع مكانة المكتب ، ثم دفعت نفسى دفعاً إلى الخارج ، لأبدأ يومي المعتاد الممل ..

والطريق من حيث أقيم إلى المكتب ، يستغرق ساعة من السير على الأقدام ، ولكن بالنسبة لشخص نحيل مثلى ، يعانى

آه .. معذرة .. كنت أتحدث طوال الوقت مثل (حسن) ،  
ونسيت تقديم نفسك لكم ، كما تحتم أصول اللياقة ..

الواقع أنني أزيد عن كل من فى المكتب ..  
أزيد عنهم بنقطة ..

كلهم يبدعون بحرف الحاء ، وأنا وحدى ، أبدأ بحرف الخاء ..  
اسمى هو ( خالد ) ..

( خالد خيرى ) ، أو ( خ خ ) .. كما أحب أن أسمى نفسي ،  
وكما أحب و أتمنى أن يناديني الآخرون وكلهم ينادونني به أحياناً ..  
من باب السخرية فقط ..

( حلمى ) يقولها باعتبار أنها اختصار ( خالد خايب ) ،  
وحنان تقولها ( خايب خيابة ) ، و ( حسن ) .. ( حسن ) عامل  
البوفيه ، يسألنى دوماً إذا ما كنت أرغب فى شرب ( خروب  
خشن ) ، وهو يبتسم فى خبث سخيف ..

أما الأستاذ ( حازم ) نفسه ، فيستخدم مصطلحاً ، أكره حتى  
أن أكتبه ، لما له من صلة بالفضلات الإنسانية ، و ...

إحم .... المهم أن اسمى الرسمى هو ( خالد خيرى ) ، وهذا  
يكفى ..

وأنا أعمل منذ سنوات فى مكتب الأستاذ ( حازم ) ، المحامى  
الجنائى المعروف ، الذى لم يخسر فى حياته كلها سوى ثلاث  
قضايا ، كنت أنا المسئول عن واحدة منها للأسف ..

وأنا فى الواقع لست محامياً لدى الأستاذ ( حازم ) ، ولكننى  
مساعدته ..

وكيل محامى لو شئنا استخدام المسميات الشعبية المعتادة ..

ولكن دعونا من كل هذا ، ولنعد إلى ذلك اليوم ، الذى بدأت  
فيه هذه القصة ..

كان كما أخبرتكم يوماً عادياً ككل يوم ، ولكننى عندما وصلت  
إلى مكتبى ، كانت هناك مفاجأة فى انتظارى ..

فعلى سطح المكتب ، وسط الملفات العديدة ، كانت هناك علبة  
مكعبة ، وردية اللون ، كتب عليها بحروف كبيرة أنيقة ، ذلك  
اللقب الخاص بى ..

حرفى خاء منفصلين ..

وتوقفت أهدق فى العلبة ، وأنا أدرك أنها مزحة من أحد  
العاملين فى المكتب ..

وبالأخص لأنهم جميعاً تظاهروا بأنهم حتى لم يلحظوا وصولي إلى المكتب ..

(حنان) كانت تبدو منشغلة بجهاز الكمبيوتر أمامها ، على الرغم من أن العمل لم يبدأ بعد ...

(ولحمى) يتظاهر بالانشغال في مراجعة بعض الملفات القديمة ..

(وحسن) في المطبخ ، الذي تفوح منه رائحة الخروب المغلى ...

ولكن أحدهم حتماً أحضر تلك اللعبة ..

والسؤال هو من منهم!؟ ..

من!؟ ..

\*\*\*

على الرغم من أنني لست ممن يتميزون بالجرأة في المعتاد ، فقد حسمت أمري في سرعة لم أعتدها في تعاملاتي ، واتجهت نحو الآنسة (حنان) ، وقلت ، محاولاً التظاهر بالثقة :

— أعجبتني هديتك .

التفتت إليّ ، وبراعة الأطفال في عينيها ، متسائلة :

— أية هدية!؟

ملت نحوها ، قائلاً بابتسامة ، أظنها تشبه ابنتامه (أحمد عز) ، في أفلامه :

— اللعبة الوردية .. من سواك يختار اللون الوردى والحرفين

الكبيرين لهديته!؟ .. (حمى) سيختار حتماً شيئاً أكثر تعقيداً

من مجرد لعبة مكعبة ، (وحسن) لن يختار اللون الوردى

حتماً ، لأن هذا لا يتناسب مع ثقافته ، فمن تبقى!؟

أجابتنى في سرعة :

— الأستاذ (حازم) .

مرة أخرى ، حاولت أن أبتسم ابتسامة (أحمد عز) ، وأنا-

أنظر في عينيها مباشرة ، على الرغم من أنني لا أشبه (أحمد

عز) على الإطلاق ، وعلى الرغم من أنها لن ترى منى شيئاً ،

عبر عدسات نظارتى السمكية ..

ولكن المدهش أن هذا قد أفلح ..

لقد أطلقت الآنسة (حنان) ضحكة عجزت عن كتمانها

طويلاً ، وهي تقول :



ولكن ماذا لو سقطت سهواً في سلة المهملات ، قبل أن يفرغ  
( حسن ) محتوياتها بلحظات !؟

لابد في هذه الحالة أن أكتسب موهبة ( خالد صالح ) في  
التمثيل ، وأتظاهر بالارتياح لفقدان الهدية !..

ولكن دعونا من كل هذا ، ولنندخل في صلب القصة ..

لقد باعت كل محاولاتي لتحاشى النظر إلى الزملاء بالفشل ،  
وخاصة عندما وصل الأستاذ ( حازم ) ، وبدأ عملية الصراخ  
والمطالب ، مما جعلنا نعدو طوال الوقت لتلبية مطالبه ، ونحن  
لا ندرى حتى لماذا هو غاضب ويصرخ باستمرار !!

وفجأة ، وبينما ننهمك في العمل ، اندفع إلى المكتب رجل  
أنيق ..

لم يكن من زبائن المكتب المعتادين ، ولكن كل لمحة منه كانت  
تؤكد أنه أحد نوى الشئان ...

كان يرتدى حلة رمادية بالغة الأناقة ، ومن الواضح أنه لم  
يشترئها من العتبة ، التي اشترت منها حلتى السوداء اليتيمة ،  
فقمناشها من النوع السميك اللافت للنظر ، وأناقتها وفخامتها  
واضحتان ، على الرغم من أن أحد أزرار كمها الأبيض مفقود ،

— هل أعجبك حقاً ، أم ... ؟ !

سألتها ، فى أسلوب لا يشبه أسلوب ( عز ) حتماً :

— ما رأيك أنت ؟!

ضحكت مرة أخرى ، وهى تجيب :

— أم ..

لم ترق لى إجابتها

ولا حتى ضحكتها ..

ولكن من أنا لأفصح عن مشاعرى وضيقى ، خاصة أننى قد  
ورطت نفسى فى تلك الهدية الإجبارية والاستفزازية ، فبعد أن  
شكرت الأنسة ( حنان ) ، لم يكن من التهذيب أن أتخلص منها ،  
ولا مناص من رؤيتى لها على سطح مكتبى طوال الوقت ..

كل ما استطعت فعله هو أن أتحاشى النظر إليهم ، وأدفن  
وجهى فى كومة الملفات أمامى ، وألعن تلك الهدية المستفزة فى  
كل لحظة ، وأضع الخطط للتخلص منها بأية وسيلة ..

المشكلة أنها مصنوعة من البلاستيك اللين ، الذى يصعب  
كسره ..

وفى خنصر يده اليسرى خاتم ذهبى ، به فص أسود ، وقميصه يلمع تحت ضوء المكتب ، ومن جيب سترته يطل مندبل قرمزى حريرى ، أكمل أناقة زيه ..

أما حذاؤه ، فقد جعلنى أكره ذلك الحذاء الذى أردتديه ، الذى اشتريته من العتبة أيضاً ..

المهم أننا فى نفس اللحظة ، التى ألتفتنا إليه فيها ، كان يهتف فى توتر بالغ الشدة :

— الأستاذ ( حازم ) .. أريد مقابلة الأستاذ ( حازم ) فوراً .. أين هو ؟!

أسرعت إليه محاولاً تهدئته ، وأنا أقول :

— الأستاذ ( حازم ) هنا ، ولكن أخبرنى لماذا تريده ، حتى أ...

قبل أن أتم عبارتى ، صرخ فى وجهى :

— لا .. لن أخبر أحداً .. أريد مقابلة الأستاذ ( حازم ) الآن .. أريد مقابله شخصياً .

التف الجميع حولنا صامتين ، وأنا أحاول تهدئته ..

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 91

( حلمى ) .. و ( حسن ) .. والآنسة ( حنان ) .. ولكنه صرخ بمنتهى العصبية :

— لماذا لا يقابلنى الأستاذ ( حازم ) بنفسه ؟ سادفغ له كل ما يطلبه .. أين هو ؟!

قبل أن أجيبه هذه المرة ، فتح الأستاذ ( حازم ) باب مكتبه ، وأطل منه بكرشه الضخم ، الذى يجعلنى دوماً أتذكر معدتى ، التى تلتصق بعمودى الفقرى من شدة نحولى ، كما يتندرون ، وصرخ كالمعتاد .

— ماذا هناك ؟! .. من يصرخ ؟!

كدت أخبره أنه الوحيد الذى يصرخ طوال الوقت ، ولكن ذلك الزائر سبقنى ، وهو يندفع نحوه ، ويتشبث به ، هاتفاً :

— أستاذ .. أنقذنى يا أستاذ .. أنقذنى .

وهنا حدث أمر عجيب ..

عجيب جداً .

على الرغم من أن الأستاذ دائم الصراخ ، إلا أنه ما إن يرى زبوناً ، تفوح منه رائحة الثراء ، حتى يتحول فجأة إلى حمل وديع ، وتعلو شفتيه ابتسامة لا تراها في غير تلك المناسبات أبداً ، لذا فقد استقبل زائره الثرى الملهوف في وداعة ، وهو يقول :

— اهدأ يا أستاذ .. اهدأ .. كل مشكلة لها حل .. كل مشكلة .

أجابته الرجل في عصبية شديدة :

— أنا ( منير ) .. ( منير صفوان ) .. صاحب مصانع ( صفوان ) للملابس .

شهقت الأنسة ( حنان ) مبهورة ، ومط ( حلمى ) شفتيه ، وكأنه قد فهم ما يحدث في حين مال عليه ( حسن ) ، يسأله عما يعنيه هذا ، أما أنا ، فقد أدركت عظمتها فقط ، لماذا بدا لى وجه الرجل مألوفاً منذ البداية ..

إنه ( منير صفوان ) ، صاحب مصنع الملابس الشهير ، وصاحب أكبر وأشهر فضيحة لهذا العام .

لقد لقيت سكرتيرته السابقة مصرعها في حادث سيارة ، بعد إصابتها وجود علاقة بينها وبينه ، واتخذته الصحف عندئذ مادة

دسمة للتوزيع ، حتى إن الشرطة نفسها قد أجرت تحقيقاً معه ، ثبت خلاله تواجده بعيداً عن مسرح الجريمة عند حدوثها ( هذا لو أنها جريمة ، وليست حادثة ) ..

المهم أنه قد تجاوز الاتهام ، وإن لم ينجح في فضيحة علاقته بسكرتيرته ، ولكن مثله سرعان ما يتجاوزون هذا ..

وسرعان ما يتورطون أيضاً في فضيحة جديدة ..

المهم أن الأستاذ ( حازم ) قد اصطحبه إلى مكتبه ، وهو يردد عبارته السابقة ، أنه لكل شيء حل ، ولكن قبل أن يدخل مكتبه ، التفت إلينا ، وقال في صرامة متجهمة :

— تعال

لم نفهم ساعتها من منا المقصود بالطلب !؟ ..

من !؟ ..

\* \* \*

وهل يمكنكم أن تتصوروا أن الأستاذ ( حازم ) كان يقصدنى أنا بندانه هذا !؟ ..

كيف لم أدرك هذا في اللحظة الأولى



كيف!؟..

لو أنه أراد الأنسة (حنان) ، لتحدث بلهجة أقل صرامة ، أو لما تجهم على الأقل ، ولو أنه أراد (حسن) ، لطلبها بلهجة أمرة ..

وهو بالطبع لن يدعو (حلمى هولمز) إلى المكتبة ، في وجود زبون ..

إنه سيختار حتماً أقل الموجودين بالمكتب شأنًا ، فقط لتدوين ما سيقوله الزبون ..

سيختارنى أنا ..

ولأنتى أخشاه طوال الوقت ، فقد لببت النداء فى سرعة ، وربما دخلت إلى المكتب قبل حتى أن يدخله هو ..

أو ربما بعده ..

لست أذكر بالضبط ..

المهم أن حجرته ، بعد أن أغلقنا بابها ، أصبحت تضم ثلاثة فحسب .. هو والزبون .. وأنا ..

وفى نفس اللحظة ، التى أغلقنا فيها المكتب ، تشبث الأستاذ (منير) بالأستاذ (حازم) هاتفاً :

- سأدفع لك كل ما تطلبه ، لو أخرجتنى من هذه الورطة .

جلس الأستاذ (حازم) بكرشه الضخم خلف مكتبه ، وقال بفخامة كعادته :

- لا بد لى من معرفة الورطة أولاً .

التقط الأستاذ (منير) لعبه فى صعوبة ، على نحو يوحي بتلك الصحراء القاحلة فى حلقة ، قبل أن يقول :-

- إنهم يتهمونى بقتله .

انتبهت حواسى كلها للعبارة ، واعتدل الأستاذ (حازم) على مقعده ، وهو يسأله فى اهتمام ، مشوب بالتوتر :

- قتل من!؟

كان الأستاذ (منير) يلهث ، كما لو أنه قد قطع نصف العالم جرياً ، وهو يقول :

- شقيق تلك السكرتيرة .. لقد عثروا عليه مقتولاً فى شقته ،

أمام جهاز الكمبيوتر ووجدوا إلى جوارهم أحد أزرار سترتى ،

وفى مكتبه رسالة أرسلتها إليه فى ساعة غضب ، أطلب منه فيها أن يتركنى وشأنى ، وإلا فهو الجانى على نفسه .

وبلا وعى ، وجدت نفسى أنقل بصرى ، إلى وجه الأستاذ ( منير ) الشاحب ، إلى زر كم سترته الناقص ، وودت لو أقول شيئاً ، ولكن الأستاذ ( حازم ) سبقتى وهو يسأله فى اهتمام :

— هل يمكنك أن تروى لى الأمور من البداية؟! .. من هى تلك السكرتيرة؟! .. وما الذى لم يتركك شقيقها فيه وشأتك؟! باختصار ، أريد أن أعرف القصة منذ بدايتها ..

التقط الأستاذ ( منير ) نفساً عميقاً ، وبدأ يروى .. ويمتتهى الاهتمام ، استمعت إليه صامتاً ..

كانت قصة نمطية ، أشبه بالأفلام العربية القديمة ، الأبيض والأسود ، حتى إننى تخيلت الأستاذ ( منير ) أشبه بالراحل ( زكى رستم ) وهو يرويها ..

القتيل هو شقيق تلك السكرتيرة ، التى ألقيت مصرعها قديماً ، فى ذلك الحادث الغامض ، ومنذ حدوثه ، وهو كىباقى المجتمع ، يتهم الأستاذ ( منير ) بقتلها ، وتلفيق الحادث ، ومثل باقى

المجتمع أيضاً ، لا يثق بتبرنه الشرطة له ، ويصر على أنهم عجزوا عن إثبات التهمة عليه فحسب ..

ومنذ ذلك الحين ، والشقيق ( صفوت ) ، يطارد الأستاذ ( منير ) فى كل مكان

وكل زمان

فى مكتبه ..

وبيته ..

وناديه ..

باختصار ، لقد أحال حياته إلى جحيم ، وجعله يكره استيقاظه كل صباح ..

عجباً!! ..

هناك تشابه إذن ، بين حياة الأثرياء وحياة الفقراء ، مع اختلاف الدافع ..

المهم .. لقد استمر ( صفوت ) فى مطاردته للأستاذ ( منير ) ، حتى أرسل إليه الأخير تلك الرسالة ، التى وجدوها فى درج مكتبه بعد مقتله ..

وكان من الطبيعي أن يصبح الأستاذ ( منير ) هو المشتبه فيه رقم واحد ، ولكن من الواضح أنهم لم يلقوا القبض عليه بعد ... لأنه يجلس هنا ..

يا للذكاء !!

« قل لى يا أستاذ ( منير ) .. أين كنت ساعة ارتكاب الجريمة ؟! »

ألقى الأستاذ ( حازم ) هذا السؤال في اهتمام ، فبدت حيرة متوترة على وجه الرجل ، وقلب كفيه قائلاً :

— ومن أدراى ما هى ساعة الجريمة ؟! .. أخبرونى فحسب أنه قتل ، وأننى المشتبه فيه رقم واحد .

« من أبلغك بالضبط ؟! »

كنت أنا من اندفع ملقياً السؤال هذه المرة ، فأدار الأستاذ ( حازم ) عينيه إلى فى غضب ، وبدأ لحظة وكأنه سينفجر فى وجهى ، حتى إننى انكمشت فى مكائى ، وتراجعت ملتصقاً بالجدار ، ولكن من الواضح أن الأستاذ ( منير ) لم ينتبه إلى هذا ، فقد التفت إلى ، قائلاً بنفس توتره :

— لست أدرى .. لقد كان .. كان ..

وصمت لحظة ، قيل أن يضيف مرتجعاً :

— كان مهيفاً .

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 99

تنحج الأستاذ ( حازم ) ، قبل أن يسأله فى خشونة ، كنت المقصود بها :

— رجل أم امرأة .

بدا الأستاذ ( منير ) حائراً ، وهو يجيب :

— ليس رجلاً .

قال الأستاذ ( حازم ) ، بلهجة توحى بالاستيعاب :

— هى امرأة إذن .

أدار ( منير ) عينه إليه فى سرعة ، قائلاً :

— وليس امرأة .

وهنا اتسعت عينا الأستاذ فى شدة ودهشة ، وهو يقول ، مستعيداً صراخه المعتاد :

— ليس رجلاً وليس امرأة ؟! .. ماذا يكون إذن ؟!

وقفز السؤال نفسه إلى ذهنى ؟! ..

نعم .. ماذا يكون ؟! ..

ماذا ؟!



## 2 - مسألة رقمية ..

على الرغم من أن كل هذا الجيل يعشق الكمبيوتر ، ويعشق إلى حد الجنون التعامل معه ، وعلى الرغم من أنني المسئول الرئيسي ، عن تحويل كتابات الأستاذ حازم ، بذلك الخط الشهير ، الشبيه بنبش الدجاج ، إلى شاشة الكمبيوتر فإني أعترف ، أنني وحتى هذه اللحظة ، تور الله في برسيمه ، في هذا الشأن ....

كل ما أعرفه عن الكمبيوتر ، هو أن أضغط زر تشغيله ، فور وصولي إلى مكتبتي ..

ثم أفتح برنامج ( الأوفيس ) .....

وبعدها أبدأ عملية الترجمة ....

ترجمة المنكرات ، من نبش الدجاج ، إلى اللغة العربية ...

ولا يمكنكم أن تتصوروا مدى العذاب الذي لاقيه ، في هذا الشأن ....

ولا مدى الغضب ، الذي يواجهني به الأستاذ حازم ، إذا ما نسيت حرفاً ، أو إذا أخطأت في ترجمة كلمة ، يستحيل حتى على خبراء الآثار قرأتها ، إلى العربية ..

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 101

المهم أنه ، وعلى الرغم من ضعفى الشديد في الكمبيوتر ، كنت قد سمعت منذ أيام ( حلمى هولمز ) وهو يتحدث مع الأنسة ( حنان ) عن أجهزة رقمية حديثة ، يطلق عليها أسم مغيرات الأصوات ، يمكنها تشويه الصوت البشرى ، أو تحويله إلى أية طبقة مخالفة ...

إلى صوت امرأة ....

أو طفل .....

أو شيخ طاعن في السن .....

بل لقد أكد ( حلمى ) أن باستطاعة الأجهزة الغالية منها ، أن تحاكي صوت أى إنسان تشاء .....

من الواضح أنني بعيد تماماً عن عالم الكمبيوتر ....

أو ربما عن القرن الحادى والعشرين كله ....

أو .....

« مغير أصوات » ....

تساءلت لحظة ، من نطق هذه العبارة ، ولكنى وجدت الأستاذ حازم يلتفت إلىّ ، قائلاً :

— أهذا ممكن !؟

— إذن فهناك من استخدم مغير صوتى رقمى ، لكى يبلفك  
بالجريمة

بدا الأستاذ ( منير ) حائراً ، وهو يقول :

— ولكن لماذا !؟

كان المفترض أن ألم لسانى داخل حلقي ، أو ابتلعه وأصمت  
تماماً ، ولكن عقلى المريض جعلنى أندفع ، قائلاً :

— لأنه شخص يمكنك تمييز صوته .

رمتى الأستاذ ( حازم ) بنظرة نارية ، كادت تشعل حلتي  
الوحيدة المسكينة ، التى لو أحترق ، لاحتجت إلى عام ونصف ،  
ببدل الجوع ، الذى نتقاضاه من المكتب ؛ حتى يمكننى شراء حلة  
أقل جودة منها ....

ولكن الأستاذ ( منير ) بدا شديد الاهتمام ، وهو يقول :

— فكرة معقولة جداً

اختفت نظرة الأستاذ ( حازم ) فجأة ، وقال فى حسم ، مع  
شئ من التباهى :

— كل موظف فى مكتبى يجد أفكاراً معقولة .

عندئذ فقط ، أدركت من نطق العبارة ....

لقد كان أنا ....

حماسى الداخلى جعله تفلت منى ، دون أن أدري ....

ومع سؤال الأستاذ ( حازم ) ، ارتبكت ، ووقفت لحظة أحنق  
فيه كالأبله ، مما رسم الغضب المعتاد على وجهه ...

أما الأستاذ ( منير ) فقد أتى رد فعله مختلفاً تماماً ....

لقد التفت إلى فى لهفة ....

لهفة غريق ، وجد قشة أكثر حولاً منى ؛ ليتعلق بها ....

وهنا ، لم يعد هناك بد من الإجابة ....

وقبل أن ينتقل الأستاذ ( حازم ) إلى حالة الصراخ ، اندفعت

أخبرهما بكل ما سمعته من ( حلمى ) ، عن مغيرات الأصوات ، التى

علمت فيما بعد أن اسمها بالانجليزية هو ( voice changers ) ....

والحقيقة انهما استمعا إلى فى اهتمام شديد ....

اهتمام ، ربما يكون أكثر بكثير من فهمى للأمر ....

وعندما انتهيت ، قال الأستاذ ( حازم ) فى جدية :

ثم لَوَّح بيده ، فى حركة مسرحية ، مكملاً :  
— إننى ألهمهم .

نطقها بنرجسيته المعتادة ، ولكن الأستاذ ( منير ) لم ينتبه  
إليها ، وربما لم يسمعه من الأساس ، وهو يقول :  
— ولكن لماذا ؟!

بدا لى أنه يكرّر سؤاله السابق ، فقالت :  
— أخبرتك أنه حتماً شخص ...  
قاطعنى فى توتر :

— لماذا أخبرنى بوقوع الجريمة أصلاً ؟!  
بدا لى سؤاله منطقياً للغاية ....  
وبدا لى أنه لا جواب منطقى له ...

وقبل أن أندفع لألقى سؤالاً جديداً ، بنفس أسلوبى العشيم ،  
قال الأستاذ ( حازم ) فى صرامة ، ليس لها فى المعتاد  
ما يبررها أبداً :

— ماذا فعلت بعد أن وصلت الخبر يا أستاذ ( منير ) ؟  
شحب وجه الأستاذ ( منير ) ، وارتبك ، وهو يقول :

— شككت فى الامر .

كرّر الأستاذ ( حازم ) ، فى لهجة أكثر صرامة :

— وماذا فعلت ؟!

ازداد ارتباك الأستاذ ( منير ) ، وهو يقول فى خفوت ، وكأنه  
يخشى ما سينطق به :

— كان لابد أن أتأكد !

قال الأستاذ ( حازم ) :

— وذهبت إلى مسرح الجريمة ..

أعجبنى المصطلح ، وربما لأننى من هواة التمثيل والمسرح  
والسينما ، وتخيكت الأستاذ ( حازم ) على خشبة مسرح ، يؤدى  
دور ( عبد الفتاح القصرى ) وأمامه ( محمود المليجى ) فى دور  
الأستاذ ( منير ) ، الذى بدا كأنه سينكمش فى مقعده ، وهو  
يغمغم فى اضطراب :

— كان لابد أن أتأكد .

مطّ الأستاذ ( حازم ) شفقيه ، فبدا أشبه به ( علاء ولى  
الدين ) رحمه الله ، فى فيلم ( الناظر ) ، وهو يقول :

— خطأ .



اندفع الأستاذ ( منير ) ، وهو يقول فى توتر شديد :

— ولكنه كان قتيلاً ، عندما ذهبت إلى هناك .

مطّ الأستاذ ( حازم ) شفّتيه مرة أخرى ، وقال فى صرامة ،  
وكانه يؤنب طفلاً فى العاشرة ، ارتكب شقاوة كبيرة :

— ولكنك تركت آثارك فى مسرح الجريمة .

هتف الأستاذ ( منير ) ، كتلميذ يدافع عن نفسه :

— لم ألمس شيئاً ... لقد وجدته صريعاً ، فهربت من المكان  
فوراً .

سألته أنا بنفس الاندفاع الطائش ، الذى سيكون وثيقة فصلى  
من المكتب ذات يوم :

— وماذا عن زر سترتك !!

هتف ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

— لم أره هناك ... ولم أفقده هناك أيضاً ... هناك من دسّه  
فى مسرح الجريمة حتماً ...

غمغم الأستاذ ( حازم ) ، وكأنه يفكر فى عمق :

— نفس الشخص ، الذى استخدم مغيّر الصوت الرقمى ،  
ليخبرك بالجريمة .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفاً :

— القاتل الحقيقى .

بدأ لى هذا أشبه بمشهد من فيلم بوليسى قديم ، والفنان الراحل  
( سراج منير ) يلعب دور المحامى ، وابتمت دون أن أدرى ،  
ثم أفقت من ابتمامتى على نظرة قاتلة من الأستاذ ( حازم ) ،  
فتحنحت فى ارتباك ، وقلت أيضاً بذلك الاندفاع العبيط :

— وهل رآك أحدهم ، وأنت تفر من مسرح الجريمة .

شحب وجه الأستاذ ( منير ) فى شدة ، وانكمش أكثر وأكثر  
فى مقعده ، وهو يجيب بهمهمة غير مفهومة ، فمال الأستاذ  
( حازم ) نحوه متسائلاً :

— عفواً !؟

ارتفع صوت الأستاذ ( منير ) قليلاً ، وهو يغمغم فى توتر :

— البواب .

وتراجع الأستاذ ( حازم ) فى حركة حادة ، فى حين اتسعت  
عينائى أنا حتماً ....

فبالنسبة لما سمعته ، يبدو أن هذه ستكون القضية الرابعة ،  
التي سيخسرها المكتب ...  
حتمًا .

\* \* \*

لم يكن من السهل على أبدأ ، في أية مرحلة من عمري ، أن  
أعرف ما يفكر فيه الآخرون وبالأذات الأستاذ ( حازم ) ، الذي  
كلما تحدث أحدهم عن عقلي ، وصفني ساخرًا بأنني أمتلك مخ  
البازلاء .....

وهذا المصطلح يدهشني دومًا ، لأنني كنت أقرأه من لسان عم  
( ذهب ) ، وهو يصف به ..

( بطوط ) ، على صفحات مجلة ( ميكى ) ، التي أداوم على  
قراءتها بانتظام ، وتستنزف جزءًا من دخلي المحدود ....

واستخدام الأستاذ ( حازم ) لهذا المصطلح ، يعنى أنه يداوم  
على قراءتها مثلى ، ولعله يدسها بين صفحات المراجع القانونية  
الضخمة ، التي نراه يطالعها طوال الوقت ....

آه ..... لنيم هو ( حازم ) بك هذا .....

لنيم كمحام عقر .....

المهم أنه ، عندما أكد الأستاذ ( منير ) أن يواب عمارة  
( صفوت ) قد رآه ، انكمش هو فى مقعده ، أمام الأستاذ  
( حازم ) ، الذى كاد يحترق جسده بنظرة كأشعة الليزر ، وأنا  
فى الواقع أجهل ما يمكن أن تفعله أشعة الليزر هذه ، سوى أنها  
تصلح عيوب الإبصار ، كما سمعت فى التلفزيون ، ثم لم يلبث  
أن هدا ، وتراجع فى مقعده ، وضم راحتيه أمامه ؛ ليمنح نفسه  
ذلك المشهد الوقور ، قبل أن يقول :

— إنها قضية صعبة يا أستاذ ( منير ) .

ولأن الأستاذ ( منير ) لا يعرف من هو الأستاذ ( حازم ) ،  
ولا يدري شيئًا عن أساليبه ، فقد ازداد انكماشه فى مقعده ،  
وهو يغمغم ، فى صوت أشبه بالضياح :

— أعلم هذا .

وهنا تتحنح الأستاذ ( حازم ) ....

وما أدراك ما هى تحنحة الأستاذ ( حازم )

أنها ليست نحنحة عادية ....

بل نحنحة سوبر ....

أنها تنفخ فيه كل شيء ...

وجنتاه تنتفخان ، ليصبح وجهه كبالون من بالونات الأعياد ...

وينتفخ كرشه ، ليفسح مكاناً لما سيطلب به ....

وينتفخ لسانه حتماً ، لمنحه ذلك الصوت الفخم الغليظ ، والذي سمعته يقول به :

— سيكلفك دفاعي عنك ثروة .

بدا الأستاذ ( منير ) أشبه بفأر في مصيدة ، وهو يقول :

— أعلم هذا أيضاً .

انطلقت الكلمات من بين شفتي الأستاذ ( حازم ) كالرصاصة :

— مليون جنيهه .

بدا كأنه قد أفرغ في الكلمة كل انتفاخه ، حتى خُيلَ إلى أنه قد أطلق عاصفة هوائية ، في وجه الأستاذ ( منير ) ، وأن كرشه الضخم قد اتخض بعدها ....

أما الأستاذ ( منير ) ، فقد غمغم في اتكسار :

— أنا مستعد .

تألقت عينا الأستاذ ( حازم ) ، وهو يضيف في ظفر :

— ومثلها بعد البراءة بإذن الله .

111 روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

اعتدل الأستاذ ( منير ) ، وكأنما أعاد إليه لفظ البراءة الأمل ، وقال في حماس :

— اتفقنا .

وهنا انتفخ الأستاذ ( حازم ) مرة أخرى ، وقال :

— بقى إجراء واحد .

كنت أعلم ما يقصده ، قبل أن يسأله الأستاذ ( منير ) :

— وما هو ؟!

أجابته في حزم :

— أن تسلّم نفسك للقانون

وعاد الأستاذ ( منير ) ينكمش ....

وبشدة....

\* \* \*

نقذ الأستاذ ( منير ) تعليمات الأستاذ ( حازم ) بمنتهى الدقة . فبعد ساعة واحدة من المواجهة ، سلّم نفسه للشرطة ، التي اتهمته رسمياً بقتل صفوت ، وألقت القبض عليه ، وعملت على تسليمه للنياية ....





وطبعاً لا يوجد في المكتب كله من يدور في كل الدوائر ،  
ويدوخ السبع دوخات في هذا الامر ، سوى أنا ...

فالآنسة ( حنان ) سكرتيرة ....

( حسن ) ساع ....

( حلمي هولمز ) هو الذي يراجع كل ملفات القضايا ، ويكتب  
كل المذكرات القانونية ....

والأستاذ ( حازم ) هو البك صاحب المكتب ....

وأنا .... أنا طبعاً مر مطون المكتب ....

وهكذا سرت وراء الأستاذ ( منير ) ، من القسم ، إلى  
الترحيلات ، إلى النيابة ....

وهناك فقط ، ظهر الأستاذ ( حازم ) بكرشه الضخم ، الذي  
يبدو أنه يمنحه شيئاً من الأهمية والوقار ، يجبر رجال النيابة  
والقضاء على معاملته باحترام كبير ....

ولقد جلس أمام وكيل النيابة في وقار وفخامة ، وطلبه  
بالإفراج عن موكله ، بضمان محل إقامته ، وكيانه كعضو بارز  
في المجتمع ....

وعلى الرغم من رصانته ، ابتسم وكيل النيابة في سخرية ،  
وهو يقول :

— أنه اتهام شبه كامل يا أستاذ .... عشرات سمعوا الشجار  
بين القتل والأستاذ ( منير ) ، وتهديدات كل منهما للآخر ،  
والمعمل الجنائي أكد وجود بصمات حديثة له ، على باب شقة  
القتيل ، ووجود زر منترع من كم سترته في مسرح الجريمة ،  
أضف إلى هذا شهادة البواب ، الذي رآه يعدو خارجاً ، عقب  
الحادث مباشرة ، وأمكنه تعرّفه بمنتهى الدقة .

فنفخ الأستاذ ( حازم ) أوداجه مرة أخرى ، وقال في فخامة :

— الناس تتشاجر كل يوم ، وانفلات الأعصاب يجعل كلاً منهم  
يوجه إلى الآخر ألف تهديد وسباب ووعيد ، ولكن كل هذا ليس  
مبرراً للقتل .

اعتدل وكيل النيابة يقول :

— وماذا عن ملاحقة القتل المستمرة له .... أليست مبرراً  
كافياً ، لتخلص الأستاذ ( منير ) منه .

ابتسم الأستاذ ( حازم ) ، وأشار بيده في حركة مسرحية ،  
قائلاً :

— ومع كل هذه الأدلة؟! .... مستحيل !

دون أن أدري ، وجدت نفسي أندفع ، قائلاً :

— أستاذ ( منير ) ، ألا يوجد شاهد واحد ، على وجودك بعيداً عن مسرح الجريمة ، وقت حدوثها؟!

استدار إلى الأستاذ ( حازم ) بنظرة غاضبة صارمة ، والتفت إلى وكيل النيابة فى دهشة ، فى حين هزَّ الأستاذ ( منير ) رأسه ، قائلاً فى أسى :

— لست أدري حتى متى حدثت الجريمة :

مال وكيل النيابة نحوه ، يقول :

— ما بين الثالثة والخامسة ظهرًا .

هزَّ الأستاذ ( منير ) رأسه مرة أخرى ، ثم فجأة ، تألقت عيناه ، وهتف :

— ما بين الثالثة والخامسة؟! ... بالطبع .... بالطبع ....

— ليس شاهداً واحداً .... بل شهوداً .

وهنا تألقت عينا الأستاذ ( حازم ) بدوره ، واعتدل فى مقعده ، وأشار إلى قائلاً :

( قصة العدد ) جريمة رقمية

— حتى لو كانت مبرراً ، هل سيعجز مليونير ، مثل ( منير صفوان ) ، عن .. استئجار من يقوم بالمهمة بدلاً منه؟! قال وكيل النيابة ، نى لهجة بدت لى أقرب إلى التحدى :

— وربما دفعته ثقته بنفسه ، إلى تنفيذ جريمته ذاتياً ، حتى لا يشاركه أحد .. سره .

مال نحوه الأستاذ ( حازم ) قائلاً :

— وهل سيخطط لهذا ، ولتنفيذه بنفسه ، ثم لا يرتدى قفازين ببضعة جنيهات ؛ ليخفى بصمات أصابعه؟!

تراجع وكيل النيابة ، وبدا كأن منطق الأستاذ ( حازم ) قد أثار داخله موجة من التفكير ، وغمغم مرتبكاً :

— لم يحدث أبداً ، أن تم الإفراج عن متهم ، فى جناية قتل بضمان محل إقامته ، أو حتى شخصيته فى المجتمع .

قال الأستاذ ( حازم ) فى سرعة :

— ربما بكفالة مالية .

هزَّ وكيل النيابة رأسه ، وهو يقول فى خفوت :

— ( خالد ) .... سأعطيك عشرين جنيهاً مكافأة .

وهنا أيقنت من أنه يتابع مجلة ( ميكي ) ، ويتأثر بشخصياتها  
أيضاً ، لأنه في هذه اللحظة ، كان يلعب دور أحد شخصياتها ...  
عم ( ذهب ) .

\* \* \*

### 3- الشهود ..

منذ بدأت عملي مع الأستاذ ( حازم ) ، بمرتب أخجل أن  
أذكره ، أو حتى أتذكره ، تعلمت حقيقة مهمة جداً ، خالفت كل  
ما كنت أتصوره ، عن المحاكم والقضايا ...

وعن السينما أيضاً ...

ففي الأفلام القديمة ، كنت أشاهد ( حسين رياض )  
أو ( عماد حمدي ) ، وهو يترافع في قضية ما ، مرافعة بليغة ،  
ثم يأتي بشاهد إثبات في اللحظة الأخيرة ، فيقلب الأمور كلها  
رأساً على عقب ، ويدفع حكم البراءة إلى فم القاضي دفعا ،  
وتلتهب عيوننا بالبكاء ، وأكفنا بالتصفيق ، و ...

وينجح الفيلم ...

وفي آخر فيلم شاهدته ، كان أحمد عز يحل اللغز في  
المحكمة ، ويبرئ ( غادة عادل ) ، ويضع نور في السجن ،  
ونحن محتارون ، هل نفرح لأنه برأ ( غادة ) الرقيقة ، أم نبكي  
لأنه أدخل نور الجميلة السجن؟! ..

ولكن في المحاكم الحقيقية ، نعلمنا أن الصورة تختلف تماماً ...



وبالذات فى الجنائيات ...

فرجال القسانون يؤكدون دومًا ، أن القضاء المدنى قضاء مستندات ، فى حين أن القضاء الجنائى قضاء وجدان ...

وبالطبع لم أفهم هذا فى البداية ...

لم أفهم بالضبط ما يعنيه ...

وخصوصًا أن لى جارة اسمها ( وجدان ) ، تنتظر عودتى كل ليلة ، وأنا منهنك مهدود ومكدود ؛ من العمل المضى فى مكتب عم ( دهب ) ، الشهير بالأستاذ ( حازم ) ، فقط لتلقى على تحية المساء ، وهى تبتسم ابتسامة واسعة ، كما أخبرنى أهل الخير؛ لأنه لا نظرى ، ولا الحالة التى أعود عليها ، يسمحان لى بروية أى شىء ، عندما يأتى المساء ...

ولقد أدهشنى فى البداية أن يكون لـ ( وجدان ) صلة بالقضاء ، ولكن ( حلمى هولمز ) أفهمنى فى صبر ، ما تعنيه العبارة ...

ففى القضاء الجنائى ، قد يأتى المتهم بعشرات الشهود ، الذين يحلفون ألف يمين ، على أنهم يشهدون بالحقيقة ، ولكن وجدان المحكمة ، المتمثلة فى القاضى ، لا يطمئن لشهادتهم ، فلا يأخذ بها ، وكأنك يا أبا زيد ما غزيت .....

روايات مصرية للجبب ... ( كوكتيل 2000 ) 119

لهذا ، فأى محام قديم ، مثل الأستاذ ( حازم ) ، لا يمكن أن يلقى ثقله أبدًا على أقوال الشهود فقط ...

ولكن فى حالة الأستاذ ( منير ) ، لم يكن هناك سبيل آخر ...

وجاء الشهود إلى النيابة ...

والشهود كانوا فى الواقع سكرتيرته الجديدة ( ماسى ) ، وبعض عملاء مكتبه ، الذين كانوا موجودين فى حجرة السكرتيرة ، فى نفس الموعد ، الذى حدده الطبيب الشرعى ، لوقوع الجريمة ...

ما بين الثالثة والخامسة ظهرًا ...

ولقد استمعنا جميعًا لأقولهم ... بمنتهى الدقة ...

السكرتيرة ( ماسى ) أكدت بشدة أن الأستاذ منير لم يغادر مكتبه فى ذلك اليوم ، من منتصف النهار حتى الخامسة والنصف ، على الرغم من أنه كان شديد العصبية طوال الوقت ، ورفض أن يقابل مخلوقًا واحدًا ...

« هذا يعنى أن أحدًا غيرك لم يره ، فى ذلك اليوم .. » ..

ألقي عليها وكيل النيابة السؤال على نحو مفاجئ ، فقالت مصدومة :

— كلا بالطبع .

ثم استدركت ، فى سرعة وعصبية :

— ولكنهم جميعاً سيشهدون بأنه كان هناك .

لم أفهم سر تأكيدها ، ومن الواضح أن الأستاذ حازم ووكيل النيابة أيضاً لم يفهماه ، فقد سألتها الأخير فى صرامة :

— وكيف هذا؟! ..

أشارت بيدها فى حماس سينمائي ، قائلة :

— لقد اتخذت قرارات حاسمة ، فى كل ما يخصهم ، وبعضهم سمعه بنفسه ، وهو يصرخ فى؛ لإغلاق الباب خلفى ، و ....

استفاضت فى الدفاع عن موكلها ، الذى ظل صامتاً منكسراً طوال الوقت ، حتى اكتفى منها وكيل النيابة ، واستدعى باقى الشهود ، الذين أكدوا كلهم ما قالته ، وأضاف إليه بعضهم أنهم يعرفون صوت الأستاذ ( منير جيداً ، وأنه من المستحيل ألا يكون هو من سمعوه ، حتى مابعد الخامسة بقليل ...

وبناءً عليه ، صار الأمر متأرجحاً ، بين جهات أمنية ، تصرّ على اتهام الأستاذ ( منير ) ، وشهود يؤكدون براءته ، ولم يعد أمام وكيل النيابة عندئذ ، سوى أن يصدر قراره بالإفراج عنه بكفالة مالية كبيرة ، وتحويل الأمر برمته للقضاء ..

« لست أدرى ماذا أقول !!... هذا أفضل ما كنت أتمناه » ...

هتف بها الأستاذ ( منير ) ، فور خروجنا من النيابة ، بعد أن دفعت ( ماسى ) كفالتة ، فرسم الأستاذ ( حازم ) على وجهه ملامح الصرامة والرصانة ، وهو يقول :

— الأمر لم ينته بعد ياأستاذ ( منير )؛ فمازالت هناك قضية ، ومازالت الجهات الأمنية تصرّ على اتهامك .

اندفعت ( ماسى ) قائلة فى حماس حار :

— أنا واثقة من براءة الأستاذ ( منير ) .

بدا لى حماسها زائداً عن الحد ، ولكننى أعزيتة لحظتها للظروف ، ولأنه مخدومها ، فى وظيفة جديدة ، ولكننى ، وكالمعتاد ، اندفعت أقول :

— هذا لا يهم .

توقّف الأستاذ حازم ، والتفت إلى بتلك النظرة النارية ، التى تبدو لى دوماً ، كأنها تقول : « كيف لتافه مثلك أن يتدخل ، فى عمل أساتذة؟؟!!... » ، مما جعلنى أبحث ببصرى عن أقرب بالوعة ، يمكننى أن أختبئ فيها؛ لأن ما سأجده داخلها ، سيكون حتماً أفضل مما سأجده ، فى المكتب عند عودتى ...

ولكن العجيب أن الأستاذ ( منير ) سألنى فى اهتمام بالغ ،  
ودون أدنى ضيق :

— لماذا تقول هذا ؟!..

اختلفت نظرة إلى الأستاذ ( حازم ) ، الذى أشاح بوجهه عنى  
فى ازدراء ، وهو يركب سيارته ، التى فتح الأستاذ ( منير )  
بابها الآخر ، وهو مازال ينظر إلى فى اهتمام ؛ منتظراً الجواب ،  
مما جعلنى أجيب فى خفوت :

— لأنه ليس المهم أن تثق سكرتيرتك فى برائتك ... المهم أن  
يثق فيها القضاة ..

ركب السيارة ، فى المقعد الخلفى ، وهو يهز رأسه مفكراً  
ومتفهماً ، وركبت إلى جواره ( ماسى ) ، فى حين ترددت أنا  
لحظات ، حتى قال الأستاذ ( حازم ) ، فى لهجة صارمة ،  
أعرفها ، وأدرك تبعاتها جيداً :

— اركب .

وركبت ...

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 123

وبعد أن رحل الأستاذ ( منير ) وسكرتيرته ، وصعدنا إلى  
المكتب ، استقبلنا الجميع بنظرات فضول وتساؤل ، حوكتهما  
الآنسة ( حنان ) وحدها إلى لغة مسموعة ، وهى تقول :

— إذا تم فى النيابة ؟!..

أجابها الأستاذ ( حازم ) فى صرامة ، وهو يتجه مباشرة إلى  
مكتبه :

— كيف يمكنك أن تقلقى ؟ ..

ثم استدار إلينا ، قبل أن يفتح باب المكتب خلفه مباشرة ،  
وأكمل :

— لقد كان الأستاذ ( خالد ) معى هناك .

قالها ، وضحق الباب بكل قوته ...

وران على المكان كله صمت رهيب ....

صمت نطقت خلاله العيون بألف ألف اتهام ....

ثم فجأة تحوكت كل هذه الاتهامات الصامته ، إلى صوت

مسموع ...

بل متفجر ...



« ماذا فعلت أيها التعس؟! ..! » ..

هتف بها ( حلمي ) في استنكار ، في نفس اللحظة التي صاحت فيها الأنسة ( حنان ) ، في لهجة مدرسة ، تؤنب تلميذاً خانياً :

— كنت أعلم أنك ستفسد الأمر! .. غمغم ( حسن ) : إعدام!؟

— قلت في سخافة متعمدة :

— إفراج بكفالة ..

— هزّ ( حلمي هولمز ) رأسه في رصانة ، وهو يقول :

— هذا يعني أن هناك قضية .

— أجبته في شيء من الإحباط ، أردته معبراً :

— وهل كنتم تتصورون غير هذا؟! .. مالت الأنسة حنان

نحوى ، قائلة :

— المهم ماذا فعلت بالأستاذ!?! ..!

قبل أن أفتح فمي لأجيب ، فتح الأستاذ باب مكتبه ، وقال في

هدوء شديد :

— تعال .

وامتقع وجهي ، وأنا أنهض إليه؛ فمن طبيعة الأستاذ ، أنه إذا ما تحدث بهدوء شديد ، إلى شخص يغضب منه ، فهي دلالة على أنه أعد له انتقاماً رهيباً ...

— وبقدمين مرتجفتين ، دخلت مكتبه ، ولم أنطق بحرف واحد ....

— ونطق هو ....

— وعندئذ أدركت أنني كنت على حق فيما توقعته ...

— الأستاذ ( حازم ) لم يعد يلعب دور عم ( ذهب ) ...

— إنه يلعب الآن دور ( عادل أدهم ) ...

— في فيلم ( المنتقم ) .

\*\*\*

من باب التأديب والتهذيب والإصلاح ، أعطاني الأستاذ ( حازم ) ملف قضية

( منير صفوان ) كله ، وهو يقول ببطء شامته ، وابتسامة كبيرة متشقية :

قلت ، وأنا أجلس خلف مكتبي في إحباط :

— للأسف .

هتف في غضب :

— وماذا عنى أنا؟! ... هل سأكتفى بكتابة مذكرات الدفاع فحسب .

غمغمت الأنسة ( حنان ) في خبث :

— هذا ما تجيده .

صاح بها محتدًا :

— هل نسيت من أنا؟! .. أنا ( حلمى ) ... ( حلمى هولمز ) ...  
أنا العقل النشط في هذا المكتب .

أجابته بنفس الخبث :

— حسنًا أيها العقل النشط ، لا ترهق عقولنا معك بهذا الصراخ ...  
أكمل مذكراتك في صمت .

قالتها ، والتفتت إلى بنظرة مشجعة ، ربما لأشاركتها هذا  
العبث ، ولكننى أشحت بوجهى ، مع ما أشعر به من إحباط ،  
ونفور شديد من فكرة المزاح ، فى نفس الوقت الذى انحنى فيه  
( حسن ) على أذنى ، وسألنى :

— أريدك أن تراجع كل شيء بنفسك ... ادرس الملف حرفًا  
بحرف ، وليس كلمة بكلمة ، وراجع شهادات الشهود ،  
وشهادة السكرتيرة ( ماسى ) ، وأذهب إلى مسرح الجريمة ،  
واستجوب كل من تجده هناك ... أريد أية معلومات ، يمكن  
أن تقودنا إلى دليل براءة ... هل تفهم؟! ... أية معلومات .

خرجت من مكتب الأستاذ ، وأنا أحمل الملف كله ، ونظرة  
يأس مريرة تطلُّ من عينيَّ بوضوح حتمًا ، لأننى وجدت الجميع  
يحدقون فىّ ، وسمعت الأنسة ( حنان ) تغمغم فى أسى :

— يا للمسكين !

وسألنى ( حلمى ) فى توتر :

— ماذا ستفعل بهذا الملف؟! ..

أجبتة فى يأس :

— كل شيء .

بدا عصبيًا وهو يسألنى :

— هل أسنده إليك الأستاذ كله؟! ..

— أترغب في كوب خروب خشن ؟

التفتُ إليه بحركة حادة ، وأنا أنوى الانفجار في وجهه ، ولكن نظري ارتطم بوجه الأستاذ ( حازم ) وكرشه الضخم ، وهو يزمجر كغوريلا غاضبة ، هاتفاً :

— أما زلت تجلس هنا !؟ ..

قفزت من خلف مكتبي ، واختلطت الملف ، وأنا أعدو نحو الباب ، هاتفاً :

— كنت في سبيلي للانصراف فوراً.

خرجت من المكتب مهزولاً ، وكأن الأستاذ ( حازم ) سيعدو خلفي ، على الرغم من ثقتي في أنه لن يستطيع هذا ، مهما كانت لديه الرغبة فيه ، فمع كرش كمنطاد صغير ، سيعد المشي في ذاته مغامرة ، غير مأمونة العواقب ...

كل ما فعلته هو أنني تشبثت بالملف ، حتى لا أفقده ، أو أفقد ورقة واحدة منه ، حتى وصلت إلى الشارع ، فوقفت أمام المبنى ألهث لوضع لحظات ، قبل أن أسترد أنفاس ، وأغمغم في حق شديد :

— ألا يوجد سواي في هذا المكتب !؟ ..

لم يجبني أحد بالطبع ، ولا حتى نفسي ، فالتقطت أنفاسي مرة أخرى ، وبدأت أحسبها ..

مسرح الجريمة في ( مصر الجديدة ) ، ومكتبنا في المهندسين ، وهذا يعني أنني أحتاج إلى مواصلة خاصة ....

وهذه مشكلة ....

فعم ( ذهب ) .... أقصد الأستاذ ( حازم ) ، يمكن أن يكلف السفر إلى المريخ ، والعودة في اليوم نفسه ، ولكن من رابع المستحيلات أن يدفع ولو حتى ثمن تذكرة أتوبيس ...

المفترض إذن أن أحصل على أقل القليل ، وأنفق نصفه على الانتقالات في الوقت ذاته ..

وبحسبة بسيطة ، قررت أن أستقل الميكروباص ، من المهندسين إلى محطة رمسيس ، ثم أنتقل إلى مترو ( مصر الجديدة ) من هناك ...

كان هذا كفيلاً بتوفير نصف جنيهه ، يكفي لشراء باكو بسكويت ، إذا ما قرصني الجوع ..

هذا لأننا لا نحصل على بدل تغذية



المهم أننى ، تحت الشمس الحارقة ، قطعت هذه الرحلة ، التى جعلتنى أشبه بالرحالة ( إنديانا جونز ) ، وهو يبحث عن الكنوز الأثرية المفقودة ، وإن كنت أتمنى طبعاً ألا أواجه تلك الأحوال ، التى يواجهها فى أفلامه ....

فمن ناحية النشاط والحركة ، ولقطات الأكشن ، أنا أقرب إلى ( إسماعيل ياسين ) ، فى فيلم ( ابن حميدو ) ، على أقصى تقدير ...

المهم أننى فى النهاية ، سواء كنت ( ابن بطوطة ) أو ( بطوط ) نفسه ، وصلت إلى مسرح الجريمة ...

كان المكان مغلقاً ، والبواب يتابعنى بنظرة شك ، وكأنه يدرسنى جيداً ، وأنا أتجه إلى شقة ( صفوت ) القاتل ، ومن الواضح أنه قد استشف من مظهرى أننى ضئيل الشأن ، إلى حد يستحيل معه أن أكون أحد ضباط الشرطة ، أو حتى أحد خبراء المعمل الجنائى ، فقد هتف بى فى خشونة :

— ماذا تريد يا أستاذ؟! ...

أجبتّه ، محاولاً وضع أكبر قدر ممكن من الغطرسة والتعالى والصرامة فى صوتى :

— هذه شقة القاتل ... أليس كذلك؟! ...

واضح أن أسلوبي لم يفلح قط ، فقد أجابنى فى خشونة أكثر :

— ماذا تريد منها؟! ...

أجبتّه فى سرعة :

— أنا محامى المتهم .

كنت أتصور أن هذه العبارة ستكفى ؛ لكى يمنحنى شيئاً ، ولو قليلاً من الاحترام ، ولكنه زمجر زمجرة أشبه بزمجرة وحيد القرن ( وإن كنت لم أسمع زمجرة وحيد القرن ) وهتف :

— اذهب إلى النيابة إذن ، واحصل على إذن بدخولها .

وقفت حائراً مرتبكاً ...

كيف فاتنى هذا؟! ...

كيف فاتتى أن دخول شقة ، كانت مسرحاً لجريمة قتل ،

سيستلزم حتماً تصريحاً من النيابة ...

وهذا التصريح يحتاج إلى يوم كامل للحصول عليه ، مما يعني أن هذا اليوم ، مع كل رحلة العذاب فيه ، قد ضاع هباءً .... إلا إذا ....

فقرت الفكرة إلى رأسى فجأة ، فسألت الرجل فى اهتمام :  
— قلت : إنك رأيت الأستاذ ( منير ) يخرج من هنا مسرعاً ، قبل اكتشاف الجريمة ... أليس كذلك ؟

زفر فى توتر ، وكأنه مضطر لتكرار أمر يبيغضه ، وقال :  
— كان يجرى وكأنه قد فعلها للتو .  
سألته :

— ومتى تم كشف الجريمة بعدها ؟  
هزّ كتفيه ، قائلاً :

— الأستاذ ترك باب الشقة مفتوحاً ، مع سرعة فراره ، ولقد أفلقتى هذا ، فطرقت الباب ، ورننت الجرس عدة مرات ، ولم يستجب أحد ، جعلنى أدخل فى حذر ، ففوجئت بالحال .  
أدهشنى قوله ، فسألته ، فى اهتمام أكبر :

— هذا يعنى أنك قد دخلت الشقة ، قبل حضور رجال الشرطة .

أشار إلى صدره ، قائلاً :  
— أنا أبلغت رجال الشرطة .

فسألته ، وكأننى أحاول الإيقاع به :

— ولكنك اتهمت الأستاذ ( منير ) مباشرة ، فهل أمكنك تعرّفه بهذه السرعة ، على الرغم من أنها أوّل مرة تراه فيها؟! ..

بدت عليه الحيرة ، وهو يقول :

— أوّل مرة؟! ... كلا .... إنها ليست أوّل مرة .

انتقلت حيرته إلى أنا ، وأنا أسأله :

— هل رأيتة قبلها؟! ...

أجاب فى سرعة :

— بالطبع ... إنه يدفع إيجار شقة الأستاذ ( صفوت ) منذ أكثر من عام

ومن المؤكّد أن ملامحى صارت صورة مجسّمة للבלاهة حينذاك ..

فقد كانت المفاجأة مدهشة ...

إلى أقصى حد .

\*\*\*

## 4 - المفاجأة ..

ليست هناك ذرة واحدة من الشك ، فى أن بؤاب البناية قد تأكد ، فى تلك اللحظة من أننى شخصية بلهاء ؛ فهذا ما أقوله لنفسى كل صباح ، عندما ألتقى بوجهى فى مرآة الحمام ذات الزاوية المكسورة ....

فما بالك بملامحى ، فى موقف كهذا ....

لقد هدقت فى وجه الرجل على نحو عجيب ، جعله يسألنى فى قلق :

— ماذا بك يا أستاذ !؟

حاولت بسرعة استعادة ملامحى القبيحة ، متصورًا أن هذا حتمًا أفضل من ملامحى البلهاء ، وأنا أقول ، فى شىء من الحدة :

— ولماذا لم تقل هذا لرجال الشرطة !؟

قلب كفيه ، مجيبًا فى بساطة :

— لم يسألنى أحد .

ثم استعاد شعوره بالحذر وعدم الاحترام ، وهو يضيف .

— أنت محامى الأستاذ ( منير ) ، أم عائلة المرحوم .

أجبتّه فى سرعة ، محاولًا اكتساب لمحة من احترامه :

— محامى الأستاذ ( منير )

بدت عليه دهشة حقيقية ، وهو يسألنى :

— لماذا تطلب منى إبلاغ الشرطة بهذا إذن !؟

أربكنى سؤاله ، وجعلنى أفيق من أوهامى ، وأدرك أننى

مجرد وكيل محام ، لكرش الأستاذ ( حازم ) ..

أو لجزء منه على الأقل ....

هناك نقاط عديدة تغيب عن ذهنى ...

نقاط حيوية للغاية ....

نقاط جعلتنى أجيبه فى عصبية :

— لم أطلب منك إبلاغهم ... فقط سألتك إذا كنت قد فعلت ..

مال نحوى ، متسائلًا فى شىء من الخبث :



— لماذا بالضبط !!؟

أشار بيده إشارة حادة ، وهو يجيب :

— كان يحيا على نفقة الأستاذ ( منير ) ، وعلى الرغم من هذا ، لم يدفع أجرى منذ شهر .

بدت لى هذه نقطة تستحق التوقف ، فسألته :

— ولماذا لم تطلبها من الأستاذ ( منير ) !!؟

هتف محنقاً :

— رفض أن يدفعها .

بدا لى الأمر عجيبيًا حقًا ...

الأستاذ ( منير ) يدفع أجر الشقة ، ويرفض أن يدفع جنيهاً قليلة أجرًا للبواب ...

فلماذا !!؟ ...

لماذا !!؟ ....

وفجأة ، خطرت ببالي فكرة ...

فكرة جعلتني أسأل البواب ، فى لهفة لم أستطع مداراتها :

— وهل تريد منى ألا أفعل !!؟

أدهشنى أسلوبه هذا ، ولكنه أعطانى لمحة عنم يكون ....

هذا حتى قبل أن يعتدل ، مكملاً بلهجة خاصة :

— أنا رهن إشارتك .

كان من الواضح أنه يطلب رشوة ، مقابل إغلاق شفتيه ،

وإخفاء المعلومة ....

رشوة لم أكن بقادر على منحه إياها ، حتى لو أردت ...

ففى جيبى الهزيل ، لم أكن أملك سوى أجر العودة إلى

منزلى ، بالإضافة إلى جنيهاً قليلة ، تكفى بالكاد للأيام الثلاثة

المتبقية ، قبل موعد قبض أجر الشهر التالى ....

وكمحاولة لمحاورته ، سألته فى حذر :

— وماذا عن العدالة ؟

قلب شفتيه فى غضب ، وقال :

— أية عدالة !!؟ .. ( صفوت ) هذا كان يستحق القتل ألف مرة .

أدهشنى رد فعله ، ودفعنى إلى سؤاله :

— منذ متى يقيم الأستاذ ( صفوت ) هنا ؟!

مط شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

— منذ ثلاثة عشر شهرًا .

ثم استطرد في حدة :

— ولم يدفع أجرى ، إلا خمسة أشهر منها فحسب .

اعتقد أن عبارته الأخيرة دخلت عقلى الباطن فقط ، فقد كان عقلى الواعي منشغلاً للغاية ....

ثلاثة عشر شهرًا ، أى نفس الموعد ، الذى لقيت فيه السكرتيرة السابقة للأستاذ ( منير ) مصرعها ...

السكرتيرة ، التى هى فى الواقع شقيقة ( صفوت ) ...

الأستاذ ( منير ) إذن يدفع إيجار شقة شقيق السكرتيرة ، التى اتهموه بقتلها ....

وذلك الشقيق يطارده ، ويتهمه بقتل أخته ...

ثم يموت !! ....

فما الذى يعنيه كل هذا ؟! ...

ما الذى يعنيه ؟! ....

\* \* \*

« أنت شخص غبى ... » ...

صدمنى الأستاذ ( حازم ) بهذه الصرخة ، بعد أن رويت له كل ما حدث ، وازداد احتقان وجهه على نحو جعلنى أشبهه بثمرة بطيخ بدون قشرة ، وهو يكمل :

— لماذا لم تنبه البواب أيضًا أن يفعله ، حتى يضمن خسارتنا لقضيتنا .

غمغمت ، محاولاً منع ارتجافتى :

— إنه لن يخبر الشرطة ؟! ..

هتف فى غضب :

— ومن أدراك ؟! ...

أجبتة مرتبكًا :

— هو قالها ؟! ...

صرخ ، وهو يضرب سطح المكتب فى قوة ، جعلته يبدو أشبه بالرجل الأخضر ... أو الأحمر على وجه الدقة :

— وماذا عن محامى الخصم ... هل سيعده أيضًا بأن يتحدّث .

اتسعت عيناى ، وأنا أغمغم مصدومًا :

محامى الخصم !؟

صرخ فى ثورة :

— ألم أقل لك : إنك غبى ... هل تصوّرت أن عائلة ( صفوت ) لن توكل محامياً ، لأدانة من قتل ابنها !؟

سألته فى توتر :

— ومن هو !؟

كاد يشد شعر رأسه ، أو ما تبقى منه ، وهو يصرخ

— غبى....غبى....غبى.

أدركت أن كل حرف أنطق به ، يأتينى برد فعل صارم غاضب ، لذا فقد آثرت الصمت ، وانكسحت فى ركن المكتب ، وهو يكمل كعاصفة ذات كرش ضخم :

— لا يهم من هو المحامى بالضبط ... المهم أنه سيكون هناك حتمًا واحد يقف ضدنا ، ولا بد أن نمنعه من معرفة ما قاله البواب ، الذى رفضت أن تعطيه رشوة ، أيها البخيل الأحمق ...

بخيل ... وأحمق !؟ ...

أنا !؟ ...

فكرت جدّيًا ، فى هذه اللحظة ، فى أن ألقى نفسى من نافذة المكتب ، لأتخلص من هذه الحياة البائسة ....

أو إلقاء نفسى تحت أوّل سيارة مسرعة ، فور خروجى من هنا ....

وماذا عن أسطوانة الغاز نصف الفارغة فى مطبخى ...

أو ذلك السكين اليتيم الوحيد الذى أملكه ....

أو الـ ....

« هل تسمعنى !؟ » ...

انتزعتنى صرخة الأستاذ ( حازم ) من أفكارى الانتحارية ، فأومأت إليه برأسى إيجابًا ، دون أن أنبس ببنت شفة ، فأخرج من جيبه رزمة نقود ، ألقاها فى عنف على سطح مكتبه ، وهو يقول فى حدة :

— هيا ... عد إلى البواب ، واشترى سكوتيه



أحنقتى المبلغ الضخم ، الذى سيرش به البواب ، وإن كنت أعلم أنه سيأخذ ضعفه من الأستاذ ( منير ) ، ولكننى عدت مستسلماً إلى ذلك البواب ، الذى استقبلنى فى برود عجيب ، وهو يسألنى :

— خيراً ..

ناولته المبلغ ، وأنا أقول فى حقد واضح :

— أهذا يكفى!؟...!

تفقد المبلغ فى لا مبالاة واضحة ، وكأنه اعتاد التعامل بمبالغ كبيرة ، ثم قال فى استهتار :

— هل تريد معرفة أى شىء آخر!؟..!

قلت فى حزم غاضب :

— هذا لكى تغلق فمك .

دس المبلغ فى جيب جلبابه ، وهو يقول :

— أنا رجل كريم .

أحنقتى أسلوبه أكثر ، وسألته ، من باب الاستفادة بكل قرش من المبلغ :

— هل كان هناك من يتردد على ( صفوت ) فى انتظام!؟

أجاب فى سرعة :

— فقط تلك الفتاة .

سألته فى دهشة :

— أية فتاة ؟

شمله حماس ، ليس له ما يبرره ، وهو يصف تلك الفتاة فى

دقة مذهلة ، كان وصفها ينطبق على فتاة أعرفها جيداً ....

( ماسى ) .... سكرتيرة ( منير صفوان ) الجديدة .

\* \* \*

وفقاً لما رواه لى بواب البناية ، فالسكرتيرة ( ماسى ) كانت

تردد بانتظام على ( صفوت ) ، مرة واحدة شهرياً على الأقل ،

وتقضى معه ما يقرب من نصف الساعة ، ثم تنصرف ....

وخلال الشهرين الماضيين ، زادت نسبة ترددها عليه ، على

نحو ملحوظ ، فقد أصبحت تزوره مرة أسبوعياً ، ولمدة ساعة

كاملة ، ثم تنصرف بعدها مسرعة ، متحاشية أن يراها أحد ....

ولقد كانت آخر زيارة لها ، قبل مقتل ( صفوت ) بيوم واحد بالضبط ....

وعلى الرغم من أنني لم ألق على البواب سؤالاً آخر ، فقد أطلق ما عرفته في ذهني سؤالاً خطيراً للغاية .....

ما علاقة ( ماسي ) بالقتيل بالضبط؟!؟ ...

وهل يعلم الأستاذ ( منير ) بهذه العلاقة؟!؟ ...

هل؟!؟ ....

تركت البناية ، وعدت أستقل مترو ( مصر الجديدة ) ، متجهاً إلى محطة ( رمسيس ) ، وذهني يموج بأسئلة فرعية ، كادت تلتهم رأسي بلا رحمة ....

ثم ، هل أخير الأستاذ ( حازم ) بهذا الجديد ، وأحتمل اتهامه لي بالغباء مرة أخرى ، أم أخفى هذا في أعماقي؟!؟ ...

لم يكن الجواب عسيراً ، فور أن تذكرت كيف كنت أقف أمامه مرتجفاً كالغار المدعور ، الذي ينكمش أمام أكبر قط بكرش ، في الدنيا كلها ، مرتجفاً مذعوراً ، ينتظر لحظة اتهامه ....

وأنا نحيل للغاية ، لن يشبع التهامي أحد ، اللهم إلا كلباً من الكلاب الشرهة ، التي تهوى قرقشة العظام .....

انتفض جسدي ، وأنا أتخيل صوت قرقشة عظامي ، ووجدت نفسي أهتف :

— يا للبشاعة !

التفت إلى كل ركاب المترو في دهشة مستنكرة ، وشعرت أنهم جميعاً يرددن الكلمة نفسها ، وهم ينظرون إلى وجهي القبيح ، وجسدي النحيل غير المتناسق ...

ولأنني قوى العزيمة شديد الحساسية ، فقد تركت المترو ، قبل أن يصل إلى محطة ( رمسيس ) ، قبل أن تخترقتي نظرات الركاب ، وتصم أذني همماتهم الساخطة ....

وعلى مسار محطتي مترو ، رحلت أسير في الطريق ، وأنا ألعن تلك الكلمة ، التي أفلتت مني ، دون أن أشعر ...

ولكن هذه التمشية الإجبارية ، كان لها تأثير كبير على ترتيب أفكارى في هذا الشأن

الأستاذ ( منير ) لا يعلم حتماً علاقة ( ماسي ) بـ ( صفوت ) شقيق سكرتيرته الراحلة ، والذي ظل يبتزّه بتهديداته المستمرة ، بأن يشوه سمعته ، عن طريق اتهامه المستمر بقتل شقيقته ، ولكي يتفاداه الأستاذ ( منير ) ويحافظ على سمعته ،

استجاب لتهديداته ، وراح يسدد عنه إيجار شقته فى انتظام ،  
وفقاً للاتفاق ...

لهذا رفض دفع راتب بواب البنائة ؛ لأنها خارج الاتفاق ...

أما ( ماسى ) ، فقد دسها ( صفوت ) على ( منير ) ، حتى تنقل  
إليه أخباره أولاً بأول ، فيظل تحت سيطرته طوال الوقت ....

تحليل ممتاز ، جعلنى أشعر وكأننى ( ماجد المصرى ) ،  
بجسده الضخم ، وعضلاته المقتولة ، وهو يلعب دور مخبر  
سرى عبرى ، و .....

وفجأة ، ارتطم ذهنى بسؤال ، حوئنى من ( ماجد المصرى )  
إلى ( ماجد الكدوانى ) دفعة واحدة ...

كل هذا جميل ، ولكنه لا يجيب السؤال الأساسى ...

من قتل ( صفوت ) ؟! ...

من صاحب المصلحة من قتله ؟! ...

الأستاذ ( منير ) لديه شهود عديدون ، على أنه كان بعيداً عن

مسرح الجريمة ، عند ارتكابها .....

( ماسى ) كانت معه ، ولا مصلحة لها فى مقتل  
( صفوت ) ....

والبواب ....

لحظة .... لماذا لم يتهم أحد البواب ؟! ...

إنه يكره ( صفوت ) ، وتشاجر معه أكثر من مرة ، وبصماته  
ستتواجد حتماً فى مسرح الجريمة ، وهو بررها بدخوله إلى  
هناك ، عقب انصراف الأستاذ ( منير ) مباشرة ....

فلماذا نفترض أنه صادق فى هذا ؟! ...

الأستاذ ( منير ) قال : إن ( صفوت ) كان صريغاً ، عندما  
وصل إليه ، فلماذا لا يكون البواب قد قتله قبلها ؟! ...

لماذا ؟! ...

انتبهت فجأة إلى أننى قد تجاوزت محطة ( رمسيس ) ،  
وأصبحت قريباً من ميدان التحرير ، دون أن أنتبه إلى هذا ، فى  
غمرة انشغالى بالتفكير فى الأمر ....

وفور انتباهى إلى هذا ، شعرت بآلام مبرحة فى ساقى  
النحيلتين ، وبدت الرؤية مشوهة أمام عينى ، فتوقفت مستنداً  
إلى جدار قديم ، وأنا أسب الأستاذ



لولا تقمصه لشخصية عم ( ذهب ) ، لوجدت ما يكفي لأستقل سيارة تاكسى إلى منزلى ...

وعلى الرغم منى ، أكملت السير حتى ميدان التحرير ، ومن هناك استقلت ميكروباصاً إلى منزلى ....

ونمت ...

لا أستطيع أن أصف إلا بأننى قد نمت ، فما أن وصلت إلى منزلى ، حتى أقيت ملابسى ، وقفزت إلى السرير .... ونمت ...

وعندما استيقظت فى الصباح التالى ، شعرت بثقل كبير يجثم على صدرى ، ويرهق أنفاسى ...

لم يكن مرضاً والحمد لله ، وإنما كان شعورى بأنه يجب أن أبدأ كل شىء من جديد ....

وبمنتهى الإرهاق ، أنهيت الروتين اليومى ، وغادرت منزلى فى تكاسل معتاد ، وانتظرت الميكروباص التقليدى ، وركبته ، وأنا أقاوم رغبتى الشديدة فى استمرار النوم ، حتى لافقد نقطة

نزولى ، وقررت التركيز على الطريق ، حتى وصلت إلى قرب المكتب ، فاتجهت إليه ، وأنا أشعر بضيق شديد ؛ لأننى سأواجه

الأستاذ ( دراكيولا ) ...

أقصد الأستاذ ( حازم ) مرة ثانية ، و....

وفى بلاهة ، كادت تصيح سمة من سمات شخصيتى ، وقلت أهدق فى باب المكتب المغلق ....

إنها التاسعة إلا ست دقائق ، ومن غير الطبيعى أن يكون الباب مغلقاً حتى هذه اللحظة ..

صحيح أن ( حلمى ) والآتسة ( حنان ) يصلان فى التاسعة ، أو بعدها بقليل .... أو كثير ، ولكن ( حمن ) يصل دوماً فى الثامنة ؛ ليقوم بتنظيف المكتب ، وترتيبه ، وإعداده لوصولنا ، و ....

توقفت أفكارى دفعة واحدة ، عندما وقع بصرى على تلك اللوحة الصغيرة ، المعلقة على باب المكتب ....

اللافتة التى تحوى مواعيد العمل الرسمية ....

وشعرت فى أعماق بغضب ، ما بعده غضب ....

المكتب ، كمعظم مكاتب المحامين ، يحصل على إجازته الأسبوعية يوم الخميس ، باعتبار أن الجمعة إجازة محاكم ، والسبت يوم عمل ، ومعظم العملاء لا يحضرون المستندات

المطلوبة لقضيتهم ، إلا فى آخر لحظة ، مما يستتبع أن تكون

مكاتب المحامين ، فى أغلبها مفتوحة أيام الجمع ، ومغلقة أيام الخميس .....

وأنا لم أنتبه إلى هذا ، وانتزعت نفسى من فراشى ، وتحملت زحمة وضوضاء الميكروباص ، وجنت إلى مكان أبغضه .... فى يوم الإجازة ...

مرة أخرى ، شعرت أننا داخل مجلة ( ميكى ) ، وأنى واحد من أهم وأشهر شخصياتها ..  
( بندق ) ....

\* \* \*

أرجوكم ، لا تسألونى كيف حدث هذا ، ولا كيف قادتنى قدمائى إلى هناك ، ولكننى وجدت نفسى فجأة ، فى مكتب الأستاذ ( منير ) ، فى شارع جامعة الدول العربية ....

ولقد استقبلتنى السكرتيرة ( ماسى ) فى دهشة ، وهى تقول :  
— أستاذ ( خليل ) .... يالها من مفاجأة !  
قلت مصححاً :

— ( خالد ) ... اسمى ( خالد ) يا آنسة ( ماسى ) .

ألقت نظرة طويلة علىّ ، من أعلى إلى أسفل ، قبل أن تمط شفيتها ، قائلة :

— ( خليل ) يناسبك أكثر .

لم أفهم بالضبط ما تعنيه بهذا ، واشتممت فيه رائحة سخرية من نوع ما ، ولكننى كتمت هذا فى أعماقى ، وأنا أقول :

— والدائى لم يوافقك الرأى .

ابتسمت ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

— ربما لم يتوقعا ما ستكون عليه ..

هضمت هذا أيضاً فى صعوبة ، وشعرت أنه أصابنى بشيء من عسر الهضم ، وهى تضيف ، فى لهجة أشبه بالتحذير :

— هل تريد مقابلة الأستاذ ( منير ) ؟! ..

تجاهلت سؤالها تماماً ، وأنا أسألها مباشرة :

— منذ متى تعملين هنا يا آنسة ( ماسى ) ؟!

بدا كأن السؤال قد فاجأها ، فتراجعت بحركة حادة ، وهى تقول فى عصبية :

— وما شأنك بهذا ؟!

كنت أهم باختراع جواب ما ، عندما سمعت صوتاً هادراً يهتف  
في غضب :

— ماذا تفعل هنا !؟

وكاد قلبي يتوقف بالفعل ....

فالصوت كان صوت ( دراكيولا ) ....

الأستاذ ( حازم ) ..... شخصياً .

\* \* \*

## 5- دراكيولا ..

كنت أنوى أن أروى لكم ما فعله بي الأستاذ ( حازم ) ، الذي  
ذهب لمقابلة الأستاذ ( منير ) ؛ ليحصل على شيك من شيكاته ،  
عندما فوجئ بي هناك ، ولكن كرامتى تأبى عليّ أن أروى  
هذا ....

أو هي تلك الإصابة في فكي ....

أو كلاهما ....

المهم أنني لن أروى ما حدث ، وسأكتفى بأن أقول : إن  
المواجهة مع مصاص الدماء ( دراكيولا ) ، كانت ستبدو أشبه  
بفيلم كوميدي ، مقارنة بما حدث ....

المهم أنني غادرت مكتب الأستاذ ( منير ) ، وأنا أجر أذني  
الخبيثة ، وساق مصابة بركلة مباشرة ، وركبت الميكروباص  
اللعين ، الذي لا يحترم أى قاعدة من قواعد المرور ، ولا حتى  
قاعدة ( أرشميدس ) ، والذي يسير في الطرقات في سرعة ،  
متصوراً أنه

( موتوسيكل ) ....



المهم أنه قد أوصلني إلى منزلي ، الذي لم أكد أدخله ، حتى أطلقت العنان لتأوهات الألم ، التي كتبتها في أعماقي طوال الطريق ، وتركت دموعي تنهمر على وجهي ، من شدة القهر والألم ، وحاولت أن أصنع لنفسى كوبًا من الشاي ، لكنني واجهت عقبتين رئيسيتين ....

لم يكن لدى سكر ...

ولم يكن لدى شاي ....

لذا ، فقد اكتفيت بالاستلقاء على فراشي ، الذي لم أغير ملاءاته منذ ستة أشهر ، وأنا أسترجع كل شيء ....

بالطبع لم أسترجع ما فعله بي الأستاذ ( دراكيولا ) ؛ لأنني بطبعي أكره الخوض في الأمور المحزنة والمؤلمة ....

لقد استعدت فقط تفاصيل قضية الأستاذ ( منير ) .... واستوقفتني بضع نقاط أساسية ....

لماذا لم يواجه أحد أي اتهام للبوَّاب ...

ولماذا انزعجت ( ماسي ) ، عندما سألتها متى بدأت عملها ،

عند الأستاذ ( منير ) ؟! ...

وهنا أدركت أنني قد أخطأت ، عندما وجهت هذا السؤال إلى الأنسة ( ماسي ) ، فقد كان ينبغي أن أوجهه إلى الأستاذ ( منير ) نفسه ، ولكن أسلوبها الاستفزازي معي ، هو الذي دفعني إلى توجيه هذا السؤال إليها ....

ثم إن وصول ( دراكيولا ) أفسد كل شيء ....

وما فعله معي سيمنعني من دخول مكتب الأستاذ ( منير ) مدى الحياة ...

أو ربما بعد هذا أيضًا ....

غرقت طويلاً في هذه الأفكار ، وأنا راقد على فراشي ، و .... استيقظت فجأة ....

لم أدر حتى متى استغرقت في النوم ، ولكنني استيقظت على رنين هاتفى المحمول الصغير جداً ، صاحب الرنين المرتفع جداً ، فقفزت من فراشي مذعوراً ، وصرخت صرخة عالية ؛ لأنني هبطت على ساقي المصابة ، ولكنني تحاملت على نفسي ، والتقطت الهاتف ، قائلاً في صوت امتزج فيه الألم بالفضول :

— من؟! ..!

وجاعني آخر صوت أتخيل سماعه في الدنيا ، وهو يقول :

— أستاذ ( خالد ) ..

خَيْلٌ إلى في البداية إننى لم أميز الصوت جيداً ، ثم لم ألبث أن تعرفته ، فقلت فى لهفة و حماس :

— الأستاذ ( منير ) ؟!

قال فى هدوء ، لا يتناسب مع شخص متهم بارتكاب جريمة قتل :

— دعنى أولاً أعتذر عما حدث فى مكتبى .... لقد حاولت منع الأستاذ ( حازم ) ، ولكنه كان ثائراً للغاية ، ولست أدرى لماذا ؟!

غمغمت فى مرارة ، مسترجعاً العلقة كلها :

— أنا أعرف .

لم يبد لى أنه حتى قد سمع ما قلته ، وهو يقول :

— الأستاذ ( حازم ) لا يعرف لماذا جئت إلى مكتبى ، ولعل هذا سبب ثورته ، فهل تسمح لى بسؤالك عن هذا ، دون أن أسبب أى حرج ؟!

أدهشنى أسلوبه شديد الاحترام والتهديب ، ربما لأننى لم أعتده لا منه ، ولا من أى شخص آخر ، فهتفت فى حماس :

— بالطبع .

سألنى فى اهتمام شديد :

— لماذا زرت مكتبى ، يا أستاذ ( خالد ) ؟!

خَيْلٌ إلى أن لهجته قد فرغت من ذلك التهذيب اللطيف ، واكتسبت رنة شرسة إلى حد ما ، فأجبت فى تردد :

— أردت فقط أن أسالك ، منذ متى تعمل الآتسة ( ماسى ) لديك ؟!

جاوبنى صمت مطبق لعدة ثوان ، قبل أن يقول الأستاذ ( منير ) ، فى شراسة واضحة هذه المرة :

— ولماذا أردت هذا ؟!

قلت مرتبكاً :

— أردت فقط أن أعرف ، لو أن ....

قاطعنى فى توتر عصبى :

— هل تشك فى ( ماسى ) ؟!

من المؤكَّد أن صمتى قد أصابه بالمزيد من التوتر ، فقال فى حدة :

— فيم تفكر ؟!

أدهشني بشدة ذلك التحول الشديد في أسلوبه ، فقلت مرتبكاً  
بشدة :

— أستاذ ( منير ) .... أنا أدرس كافة الاحتمالات فحسب .

قال في حدة :

— لا يوجد أى احتمال ... ( ماسى ) كانت معى هنا فى  
المكتب ، فى الموعد الذى حددتموه لوقوع الجريمة .

قلت مندهشاً :

— ولكننى لم أتهمها قط بارتكابها .

سألنى فى لهجة ، أقرب إلى الصراخ :

— فيم تشك فيها إذن ؟!

لم أجد بدأ من أن أصارحه بالموقف ، وأنا أقول :

— أستاذ ( منير ) ، هل كنت تعلم بوجود علاقة بين

سكرتيرتك والأستاذ ( صفوت ) ؟!

طال صمته هذه المرة ، قبل أن يقول ، فى صوت واضح

الغضب :

— من أخبرك بهذا ؟!

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

159

أجيبته متردداً :

— بواب بناية ( صفوت ) .

طال صمته ، وطال ، وطال ، حتى إننى سألته فى قلق :

— أستاذ ( منير ) ..... أمازلت هناك ؟!

أجابنى بصوت مختنق :

— أشكرك يا أستاذ ( خالد ) .... أشكرك كثيراً .

وقبل أن أسأله عما يعنيه ، أنهى الاتصال دفعة واحدة ...

وانعقد حاجبى فى توتر ....

لقد كان الأستاذ ( منير ) يتحدّث من تليفون مكتبه ، وعندما  
أنهى المحادثة ، ظل الخط بعدها مفتوحاً لحظة ، سمعت بعدها  
صوت إغلاقه ....

وكان هذا يعنى شيئاً واحداً .....

هناك من كان يستمع إلى المحادثة ....

ومن داخل مكتب الأستاذ ( منير ) ...

وكرد فعل غريزى ، قفز إلى اسم واحد .....

( ماسى ) .....



لتناول كوب من الشاي ، وصل ثمنه إلى جنيه كامل ، وأمرى إلى الله ....

فعلتها ، وغادرت المنزل ، وبدأت أهبط في درجات السلم ، لخمسة طوابق كاملة ، و ...

التقيت بهذين الرجلين على السلم ....

اثنان ليسا من سكان البناية ، ويبدو أن أشبه بالمصارعين ، رمقاني بنظرة شرسة ، وأحدهما يسألني خشونة :

— أتعرف أين شقة ( خالد خيرى ) ؟!

أدهشني سؤالهما ، فقلت فى تردد :

— أنا ( خالد خيرى ) .... من يريدني ؟!

لم ينطق أحدهما بحرف واحد ...

فقط انقضا على ، وحملاني كورقة شفافة ، ودون أية مناقشة ، ألقيا في بئر السلم

من الطابق الرابع ..

\*\*\*

وشعرت بقلق شديد ....

فلو أنها من كان يستمع إلى حديثي مع الأستاذ ( منير ) ، فهذا يعنى أنها تعرف أمرين مهمين الآن .....

أوكلهما أننى قد كشفت علاقتها بالقتيل ( صفوت ) .....

وثانيهما أننى أخبرت الأستاذ ( منير ) بهذا ....

فكيف سيكون رد فعلها إذن؟! ...!

كيف؟! ....

شغلنى الأمر كثيرًا ، حتى إن الوقت مرَّ سريعًا ، وهبط الليل ، وتوغَّل ، حتى بلغت الساعة منتصف الليل تقريبًا .

ولسبب ما ، شعرت برغبة عارمة فى شرب كوب من الشاي ، فى هذا الوقت المتأخر ، على الرغم من معرفتى أننى لا أملك السكر ، أو حتى الشاي ....

فكرت أن أقترض بعض الشاي والسكر ، من جارى الأستاذ ( على ) ، ولكننى تذكرت كيف ترمقتى زوجته بنظرات نارية ملتهبه ، كلما رأتنى على السلم ، وتصوّرت ما يمكن أن تفعله بى ، لو دقت بابهم ، فى هذه الساعة .....

ولما كانت رغبتى فى شرب الشاي ملحةً ، قررت أن أحامل على نفسى ، وأهبط إلى ذلك المقهى ، عند ناصية الشارع ،

منذ طفولتي ، وأنا مصاب بهلع مرضى من المرتفعات ، حتى  
أننى أعجز عن مجرد النظر من مكان مرتفع ....

وعندما بدأت رحلة البحث عن شقة صغيرة ، فى قلب  
القاهرة ، كنت أبحث باستمامة عن شقة فى الطابق الأرضى ، أو  
حتى تحت الأرضى ، ولكن من الصير ، بل من المستحيل ، فى  
بلد مثل ( مصر ) ، وفى عاصمة تعد من أكثر عواصم العالم  
ازدحاماً ، مثل ( القاهرة ) ، أن تسكن فى شقة تناسبك ، وخاصة  
لو كنت مثلى ، تبحث عن شقة صغيرة ، تناسب إمكانياتك ، شبه  
المنعدمة .....

وللأسف ، لم أجد سوى شقة صغيرة ( جداً ) ، من حجرة  
واحدة ، فى الطابق الخامس من بناية نصف قديمة ، ارتفاعها  
خمس طوابق فحسب ....

ولا أصف الشقة بالطبع ، فهى مجرد حجرة واحدة ودورة مياه ،  
وقليل جداً جداً من الأثاث ، ولها نافذة واحدة ، لم أفتحها منذ  
ما يقرب من ثلاثة أعوام ، هى كل فترة إقامتى فى الشقة ....

تصور الآن حال شخص مثلى ، يلقيه مصارعان قويان ، من  
الطابق الخامس !! ...

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 163

الأمر كله لم يتجاوز لحظات ، بدت بالنسبة لى أشبه بدهر  
كامل ، وأنا أسقط ....

وأسقط ....

وأسقط ....

ويمكنك أن تكرر هذا السطر الأخير ، إلى ما لا نهاية ،  
وتضيف إليه أننى كنت أصرخ .... وأصرخ ، ويمكنك تكرار  
الكلمة إلى أبد الأبدىين ....

كنت واثقاً من أننى أشهد آخر لحظات حياتى البائسة ، ولم  
أدر لحظتها هل ينبغي أن يفرحنى هذا ؛ لأننى سأنتهى عمراً من  
الفشل والإحباطات المتتالية ، أم يحزننى ؛ لأننى لم أحظ بكوب  
الشاي بعد !!? ....

وعلى أية حال ، فالوقت لم يكن يكفى للشعور بهذا أو ذاك ؛  
فقبل حتى أن أتخذ قرارى ..

ارتطم جسدى ....

ولم أصدق نفسى حينذاك .....

لقد كان أشبه بما يحدث فى  
تمتلئ بالمصادفات المدهشة ، دون أى تبرير منطقي ....

فأنا لم ارتطم بالأرض ....

بل بكومة كبيرة من الأثاث والمفروشات ، التي أحضروها  
لفرش شقة العروس الجديدة ، فى الطابق الأول ....

فجأة ، شعرت بجسدى يرتطم بمرتبة أسفنجية سميكة ، ثم  
يرتفع بضعة سنتيمترات ، ويرتطم بها مرة ثانية ، ثم ينزلق  
عنها إلى كنية كبيرة ، ومنها إلى الأرض ....

كانت صدمتى بالأرض مؤلمة ، ولكنها لن تقارن طبعاً بما  
يمكن أن تكون عليه ، لو ارتطمت بالأرض ، فى غياب هذا  
الأثاث ....

المهم أنتى ، وأنا ملقى أرضاً ، سمعت صوت المصارعين  
يهيطنان فى درجات السلم فى سرعة ، فمتحنى هذا قوة مدهشة ،  
جعلتنى أقفز واقفاً على قدمى ، وأعدو بكل قوتى خارجاً ....

ولأن الشارع الذى أسكنه صغير ، وفى حى شعبي معروف / متاخم  
لمنطقة المهندسين ، فقد هبّ الجميع إلى فى دهشة وقلق ، والتفوا  
حولى يسألوننى عن سبب كل هذا الذعر الذى يملونى ....

وبكل رعب وارتجاف الدنيا ، أخبرتهم ....

ولثوان ، حدق فى الجميع ، كما لو كنت مجنوناً ، ثم فجأة ،  
وكما يحدث فى الأحياء الشعبية كلها ، اندفع الجميع فى حماسة  
وشهامة نحو منزلى ؛ بحثاً عن المصارعين ....

والمدهش أنهم لم يعثروا لهم على أدنى أثر !!!...

من الواضح أنهما قد استغلا حالة الهرج والمرج فى الحى ،  
ولذا بالفرار بأقصى سرعة ....

ولكن عملية البحث استغرقت ما يقرب من ثلاث ساعات  
كاملة ، فى المبنى والمباني المجاورة ، قبل أن يقول المعلم  
( ماجد ) ، صاحب المقهى فى استخفاف :

— يبدو أنه كان كابوساً يا أستاذ ( خالد ) .

كان ينطقها دوماً بتفخيم حرف الخاء ، على نحو مستفز ،  
جعلنى أتول ، فى شىء من الحدة :

— وهل سيلقيني الكابوس من الطابق الخامس؟! ..

نظروا إلى بعضهم فى حسرة ، كما لو أنهم يسمعون  
قصة مجنونة كصاحبها ، ثم ربت المعلم ( ماجد ) على كفتى ،  
قائلاً :



صحيح أننى أسعد كثيراً بلعب دور ( شيرلوك هولمز ) ،  
إلا أننى لست مستعداً أبداً للعب دور ( جيمس بوند ) ....  
مهما كانت الأسباب ....

صحيح أن ( شون كونورى ) يمتلك جاذبية خاصة ، وكذلك  
( روجر مور ) و( تيموثى دالتون ) ، و( بيرس برسنان ) ،  
وحتى ( دانيال كريج ) ، إلا أن أحداً منهم لا يشبهنى قط ....  
كلهم لديهم لحم يكسى عظامهم على الأقل ....

ثم لماذا حاول هذان المصارعان قتلى؟! ...  
لا ريب فى أننى قد عرفت سراً ، لم يكن ينبغى أن أعرفه ....  
سر عرفوا أننى أعرفه ....

أهى علاقة ( ماسى ) بالقتيل؟! ...

أم إن الأستاذ ( منير ) كان يدفع إيجار شقة صفوت؟! ...

بحسبة بسيطة ، أدركت أن الاحتمال الأول هو الأكثر منطقية ،  
خاصة أننى واثق من أن ( ماسى ) قد سمعت حديثى مع الأستاذ  
( منير ) ، عندما أخبرته بهذا ....

— عد إلى منزلك يا أستاذ ( خالد ) ، وتأكد من إحكام الغطاء  
حولك هذه المرة ...

لم أحاول حتى مناقشته ، أو معاتبته على ما قاله ، ونسيت  
حتى أن أتناول كوب الشاي ، وأنا أعود إلى شقتى ، وأغلق بابها  
على فى إحكام ، وأضع خلفه المنضدة اليتيمة التى أملاكها ،  
والتي سيزيحها هذان المصارعان كلعبة صغيرة حتماً ،  
إذا ما عادوا مرة أخرى ....

كانت الساعة قد تخطت الثالثة صباحاً ، فحاولت أن أنام ، حتى  
يمكننى القيام بالواجبات المعتادة ، وتحمل سخافات كرش الأستاذ  
( حازم ) ، عندما أذهب إلى المكتب ، بعد بضع ساعات ....  
ولكن هيهات ....

هيهات أن يزور النوم عيناً رأيت ما رأيته أنا ، فى هذه الليلة  
الليلاء ....

هيهات ...

ولخمس ساعات كاملة ، وذن أن أرفع عيني عن باب الشقة ،  
رحت ألعن ذلك الذى تورطت فيه ....

ولكن هل يمكن أن تمتلك ( ماسى ) هذه العقلية الإجرامية ،  
التي تدفعها إلى استتجار قاتلين محترفين ؛ لقتل شخص ضئيل  
مثلئى ، كان يكفيه كلبًا من نوع اللولو ، لأداء المهمة نفسها  
بكفاءة؟!....

أم إن لها شريكًا آخر!؟

كانت الساعة تدق تمام الثامنة ، عندما قفزت إلى ذهني هذه  
الفكرة ، وقفزت أنا بدورى من فراشى ، وأنا أرتجف حماسًا ....  
نعم ... هذا يفسر كل شيء ....

( ماسى ) لها شريك .....

شريك قتل ( صفوت ) ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه هى  
تثبت وجودها فى المكتب ، مع الأستاذ ( منير ) .....

لهذا أكدت حجة غيابه فى حماس ....

فحجة غيابه ، تعتبر فى الوقت ذاته ، حجة غيابها هى ....

ولكن من هذا الشريك؟!....

من؟!....

\*\*\*

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 169

كان صباحًا مرهقًا منذ بدايته ....

الميكروباص صدم سيارة شرطة ، والتف المخبرون حوله ،  
وسمعنا صوت رنين أكفهم على قفا السائق ، واضطررنا  
للنزول ، وإيقاف ميكروباص آخر ، ووصلت إلى المكتب متأخرًا  
نصف ساعة كاملة ، والأسوأ أننى وجدت الأستاذ ( حازم )  
هناك ، بكرشه الضخم ، ووجهه البطيخى الغاضب ، وصراخه  
الذى كاد يلقينى خارج المكتب كعاصفة من النار ، فور  
دخولى ....

وعلى غير المعتاد ، وبخنى الأستاذ ( حازم ) أمام الجميع ،  
ولكنه لم يستخدم يديه أو قدميه كالمعتاد ، والحمد لله ،  
ثم طردنى تقريبًا من المكتب ، ليس بصفة دائمة ، ولكن  
لكى أكمل جمع ما يريد من معلومات ، وهو يصرخ فى  
وجهي :

— نريد معلومات لصالح الموكل ، وليس ضده أيها الغبى .

خرجت من المكتب مسرعًا ، حتى أهرب من نظرات الزملاء ،  
وما إن أصبحت فى الشارع ، حتى شعرت براحة عجيبة ....

## 6 - الشريك ..

ربع الساعة ، قضتها ( ماسى ) تتحدث إلى بواب البناية ، فى مودة شديدة ، توحى بأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن ، وفى نهاية المحادثة ، رأيتهما يتصافحان ...

لم تكن مصافحة بالمعنى المعروف ، ولكن ( ماسى ) كانت تضع فى يده رزمة مالية ، من فئة المائتى جنيه ، التقطها هو متظاهراً بمصافحتها ، قبل أن يدس الرزمة فى جيبه فى سرعة ، وتنصرف هى ....

زمن طويل مضى ، منذ أن رأيت ورقة مالية من فئة المائتى جنيه ، فما بالك برزمة كاملة منها؟! ....

ثم إننى ، ودون أن أشعر ، وجدت نفسى أحمق على ذلك البواب ، وأتساءل : لماذا أخطأت فى اختيار مهنتى؟! ... لماذا؟! ....

كانت ( ماسى ) تقرب من حيث أختبئ ، وهى تتحدث عبر هاتفها المحمول ، فتواريت خلف كشك صغير ، وشعرت بها تمر إلى جوارى ، وهى تقول عبر الهاتف :

— إنه يعلم ، ولكنه لن يخبر أحداً ... اطمئن .

راحة جعلتني أستقل أول ميكروباص صادفنى ، واتجه به إلى محطة ( رمسيس ) ، فى طريقى إلى ( مصر الجديدة ) ، حيث منزل القتيل ....

وعندما وصلت إلى المكان ، وقبل أن أتجه إليه مباشرة ، رأيت مشهداً جعلنى أتسمر فى مكانى لحظة ، ثم أسرع بالاختفاء ....

لقد كانت ( ماسى ) هناك ، تقف مع البواب ، وتتحدث إليه فى مودة مذهشة ....

مودة جعلتني أدرك الحقيقة ....

حقيقة شريك ( ماسى ) .

\*\*\*



أدهشتني تلك العبارة تماماً ، فمنذ لحظات ، تصوّرت أنني قد حللت اللغز ، وعرفت من هو شريك ( ماسي ) ....

كنت أتصوّر أنه البوّاب ، ثم انسحق هذا التصوّر سحفاً بعبارتها هذه ، والتي تشير إلى أنها كانت ترشيه ، ولا تتحدّث فقط معه ....

هناك شريك آخر ... شريك خفي ...

تبعتهتاً سرّاً في حذر ، في محاولة لمعرفة شيء عنها ...

أى شيء ....

وهناك ... عند الناصية التالية ، كانت هناك سيارة تنتظرها ، وبدخلها شاب وسيم قوى ، مقتول العضلات ، يحاول إخفاء ملامحه بنظارة شمس ضخمة ....

وفي خطوات سريعة ، اتجهت ( ماسي ) نحو السيارة ، وقفزت داخلها ، فانطلقت بها السيارة على الفور ....

وكما ينبغي أن يفعل أى مخبر يقظ ، أسرعت ألتقط وأدوّن رقم السيارة ، قبل أن تختفي عند نهاية الشارع ....

ودون إضاعة ثانية واحدة ، استقللت ميكروباصاً آخر ، إلى إدارة المرور مباشرة ....

لم تكن السيارة مسجّلة في إدارة مرور القاهرة ، ومشكلة الأرقام الجديدة ، ذات الحروف الثلاثة والأرقام الثلاثة ، أنها لا تحدّد إلى أية إدارة مرور تنتمي السيارة ....

والمشكلة في أنها لا تتبع إدارة مرور ( القاهرة ) ، أنني مضطر لركوب ميكروباص آخر ، حتى إدارة مرور ( الجيزة ) ....

كان الامر يستلزم دفع إكرامية ، التهمت تقريباً كل ما تبقى من راتبى ، حتى أحصل على اسم وعنوان مالك السيارة ....

( أحمد منصور شوكت ) ....

كان الاسم يظهر لأول مرة في القضية ، ولكننى حملت الورقة ، التى تحمل اسمه وعنوانه ، وعدت إلى المكتب ؛ لأستدين خمسة جنيهاً من الآنسة ( حنان ) ، التى رمقتنى بنظرة ساخرة ، وهى تسألنى :

— ماذا أصابك ؟ ... هل تلعب القمار هذه الأيام ؟! ...

أجبتها فى حيرة :

— بمرتب كالأذى نتقاضاه هنا ، يمكن أن يفلسنا إدمان القول السودانى واللب .

ضحكت بشدة ، وراقبت لها عبارتي ، على الرغم من مرارتها ، ولكن الأهم هو أنها قد أعطتني الجنيهاات الخمسة ، التي اختطفتها من يدها اختطافاً ، وأنا أعدو خارجاً كالمجنون ...  
كان الأمر قد سيطر عليّ تماماً ، حتى لم يعد بالنسبة لي مجرد قضية ، من قضايا المكتب ، بل صار قضية شخصية ...  
وشخصية جداً أيضاً ....

فبعد محاولة قتلى أمس ، أصبح حل لغز القضية بالنسبة لي ، مسألة حياة أو موت ، فما داموا قد فعلوها مرة ، لن يمنعهم أي شيء من فعلها مرة ثانية ، أو حتى ثالثة ، حتى يضمنوا سكوتي ....

إلى الأبد ....

مرة أخرى حقدت على ذلك البواب ؛ لأنهم اكتفوا برشوته ، حتى يغلّق فمه ، ولم يحاولوا رشوتي ، بدلاً من قتلي !!! ..  
بالأوغاد !!! ..

خرجت من البناية ، ورأيت لحسن الحظ سيارة ميكروباص تتجه نحوي ، فأسرعت أعبّر الطريق ، وأنا أهتف بسائقها :

— قف ...

وفجأة ، سمعت صرير إطارات قوية يقترب مني ....  
ثم شعرت بالصدمة ....

صدمة عنيفة ، طار معها جسدي في الهواء بمعنى الكلمة ، ودون أدنى مبالغة ، وارتطم بذلك الميكروباص ، ثم سقط على الأرض ... « لقد فعلوها مرة أخرى » ...

كان هذا آخر ما جال بخاطري ، قبل أن تنظم الدنيا من حولي ...  
تماماً ...

\* \* \*

للمرة الأولى في حياتي ، أعرف ما هي الغيبوبة ، التي تحدث كثيراً لأبطال معظم الروايات التي أقرأها طوال عمري ....  
للمرة الأولى أمر بها ، وأفقد وعيي فجأة ، وأفتَح عيني ، وأحدق في الوجوه التي مالت تتطلع إليّ ، وأنا ما زلت أرقد على أرض الشارع ، مما يعني أنني لم أستغرق وقتاً طويلاً ، بين فقدان الوعي واستعادته ....

كانت هناك وجوه عديدة مجهولة بالنسبة لي ، وبينها وجهان فقط أعرفهما .... ( حسن ) ، و ( حلمي هوليغ ) ...  
www.dvdarab.com

كانا مذعورين حقاً ، ولقد هتف الثاني في لهفة ، في نفس اللحظة ، التي فتحت فيها عينيّ :

— أنت بخير !؟

سالته في دهشة :

— ألم أمت بعد !؟

ابتسم ( حلمي ) وهو يقول :

— للأسف !

وأضاف ( حسن ) ، في لهفة متوترة :

— لقد كنت تعبر الشارع مسرعاً ، فصدك ميكروباص آخر .

هتفت في دهشة :

— ألم يحاولوا قتلي !؟..

سمعت صوتاً يهتف في غضب :

— ولماذا نحاول قتلك يا أستاذ !؟.. أنا لا اعرفك أصلاً !

كان سائق الميكروباص الذي صدمني ، يدافع عن نفسه ؛ فقلت في سرعة ، وأنا أحاول النهوض :

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 177

— لا بأس ... أنا المخطئ ... لقد عبرت الشارع في سرعة ، ودون أن أنتظر .

عاونني ( حلمي ) على النهوض ، وهو يقول للسائق مهدداً :

— نحن مكتب محام ، وسلاحك قضائياً .

راح السائق يحاول الدفاع عن نفسه ، وعن رعونة قيادته ، واستهتاره بكل قوانين المرور ، وتجاهلته أنا تماماً ، وأنا أستند إلى ذراعي ( حسن ) و( حلمي ) ، الذي هتف بنفسى اللهجة التهديدية ، ونحن نتجه إلى البناية :

— لقد حصلنا على رقمك ، وستبيع هذا الميكروباص ؛ لتسد التعويض الذي سنطلبه .

هتف السائق بعبارتين ساخطتين ، كل ما فهمته منهما هو أن كل الركاب قد غادروا الميكروباص بعد الحادث ، دون أن يدفعوا الأجرة ، و ...

وفجأة قفزت إلى ذهني فكرة ، بدت لي آنذاك عبقرية ، فتملصت من ذراعي ( حسن ) و( حلمي ) ، وأنا التفت إلى السائق ، قائلاً :

— إلا إذا ....



رمقنى ( حلمى ) بنظرة صارمة غاضبة ، و ( حسن ) بنظرة مندهشة حائرة ، فى حين تساعل السائق فى لهفة :

— إلا إذا ماذا!؟

أجبتة فى حزم ، تقمصت خلاله شخصية ( رضى أباطة ) :

— إلا إذا أوصلتني إلى شارع الثورة فى ( مصر الجديدة ) .

وتفجرت دهشة الجميع ....

بلا استثناء ....

ولكنه فعلها ....

وأوصلنى إلى هناك ....

إلى عنوان ( أحمد منصور شوكت ) ....

كان يقيم فى الطابق الثالث من بناية جديدة ، فى منتصف شارع الثورة تقريبًا ، وأسفله مطعم شهير ، ألمت الروائح المنبعثة منه معدتى ، وذكرتها بالجوع الذى أعانيه منذ الأمس ، وبأن الجنيهات الخمس فى جيبى ، لن تكفى حتى ثمن ساندويتش صغير منه ..

المهم أنتى قاومت جوعى ، وسددت أنفى ، وأنا أسرع إلى البناية وأتجه مباشرة إلى مصعدها الفاخر ، وحارس البناية يلاحقنى ، هاتفًا :

— إلى أين يا أستاذ!؟

تظاهرت بالدهشة ، وأنا أقول :

— ألم يخبرك ( أحمد بك شوكت ) ، بأننى قادم إليه!؟...

لقد طلب منى الحضور على وجه السرعة

أجابنى فى صرامة :

— لا بد أن أتصل به أولاً .

أتجه نحو الهاتف الداخلى ، فأسرعت أستقل المصعد إلى الطابق الثالث ، وأنا أسمعه يهتف خلفى :

— انتظر يا أستاذ

لم يكن العثور على شقة ( أحمد ) عسيرًا ، فى الطابق الذى يضم أربع شقق ؛ فقد كانت تحمل لافتة باسمه ، فأسرعت أضغط جرس الباب ، وسمعت خطوات تقترب ، و ....

وووفتح الباب ....

وكدت أشهق بمنتهى القوة ....

فالذى فتح الباب لم يكن ( أحمد ) ....

كان ( ماسى ) ....

السكرتيرة ( ماسى ) .

\*\*\*

لو أنك لم تر أبداً ذلك الذهول المصدوم ، الذى تقرأ عنه فى الروايات البوليسية ، لكان ينبغى أن تشاهد وجه الأنسة ( ماسى ) ، عندما فتحت الباب ، فوجدتني أمامه ...

لقد اتسعت عيناها على نحو ، لم أتصوره أبداً ممكناً ، ومال عنقها برأسها إلى الأمام ، وسقطت شفتها السفلى على نحو مضحك ، فى حين سمعت صوتاً شائباً من الداخل ، يسألها :

— هل وصل !؟

ابتسمت وأنا أقول :

— مساء الخير يا آنسة ( ماسى ) .

لم تنطق ( ماسى ) بحرف واحد ، من شدة صدمتها ، فى حين ظهر ذلك الشاب ، الذى كان ينتظرها فى السيارة خلفها ، وتطلع إلى فى دهشة حذرة ، وهو يقول :

— من أنت !؟

أجبتة ، محاولاً بث أكبر قدر من الحزم فى صوتى :

— أنا ( خالد ) يا أستاذ ( أحمد ) .... ( خالد ) من مكتب

الأستاذ ( حازم ) .

انعقد حاجباه فى توتر شديد ، وهو يهتف :

— من !؟

أجابته ( ماسى ) ، فى عصبية شديدة :

— ( خليل ) يعمل فى مكتب المحامى ، الذى حدثك عنه

قلت فى غضب :

— ( خالد ) يا آنسة ( ماسى ) .... ( خالد ) .

عادت تحدق فى وجهى على نحو عجيب ، فى حين هتف

( أحمد ) فى غضب :

— وماذا تفعل هنا !؟

أشرت إليه ، قائلاً :

— هل تحب أن أتحدث هنا ، أم فى الداخل ؟

بدا من الواضح أنه سينفجر في وجهي غضبًا ، ولكن ( ماسى ) استوقفته بحركة صارمة ، تشف عن مدى سيطرتها عليه ، وهى تقول فى عصبية :

— أستاذ ( خليل ) ... لا يمكننا استقبالك الآن ، فنحن فى انتظار قريب لنا ، و ...

قاطعته وأنا أقول فى صوت ، تعمدت أن يبدو مرتفعًا :

— كنت هنا فقط لسؤالك : هل يعلم الأستاذ ( منير ) بعلاقتك بالقتيل ( صفوت ) ، وبيوآب بنايته؟! ... وهل يعلم أساسًا بوجود الأستاذ ( أحمد ) ، وبأته ....

قاطعتهنى هى هذه المرة ، وهى تفسح أمامى المدخل ، قائلة فى عصبية شديدة :

— ادخل .

كانت فرصة ، يصعب أن أضيعها ، لذا فقد أسرعت أدخل الشقة ، التى أغلق ( أحمد ) بابها خلفى ، وهو يقول فى صرامة :

— من الواضح أنك تعرف الكثير!؟

قلت ، محاولاً أن أبدو صارمًا :

— ألهذا حاولتما قتلى أمس!؟

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 183

كنت أريد عبارتى صارمة ، إلا أنها جاءت مرتعشة مرتجفة ، ناقلة ما أشعر به ، فى كل خلية من جسدى ، فانعقد حاجبا ( ماسى ) فى شدة ، فى حين هتف ( أحمد ) مستنكرًا :

— قتلك!؟

ثم التفت إلى ( ماسى ) ، مكملاً فى عصبية!؟

أجابته فى بطء أقلقنى جدًا :

— إنه مجنون .

ثم أمسكت هاتفها المحمول ، وضغطت أزراره ، قائلة :

— سأتصل بالشرطة .

حاولت أن أبدو هادئًا ، وأنا أقول :

— أفعلى : فلدئ الكثير لأخبرهم به.

هتفت عبر الهاتف فى توتر :

— الشرطة ... أرجوكم ، احضروا بأقصى سرعة .

ثم أنهت المحادثة ، وهى تقول لى فى عصبية

— لست تملك ما تقوله لهم .



قلت ، محاولاً التظاهر بالقوة ، وكل ذرة فى كيانى ترتجف فى رعب :

— يكفى أن أخبرهم ما أعرفه .

راح ( أحمد ) ينقل بصره بينى وبينها فى عصبية ، فى حين هتفت هى :

— كل شيء له أكثر من تفسير ... ما ستقوله لهم مجرد معلومات ، يستحيل عليك تأكيدها ، وحتى لو فعلت ، فلدى تفسير لكل لحظة منها ..

هتف ( أحمد ) عندئذ ، فى عصبية شديدة :

— أريد أن أفهم ما يحدث هنا .

سمعنا فى تلك الفترة طرقاً قوياً على الباب ، فاعتدلت هى ، وبدا كأنها قد اكتسبت فجأة قوة وثقة ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة :

— لقد وصلوا .

قالتها ، واتجهت نحو الباب لتفتحه ، و ....

وفجأة ، انتبهت إلى أمر ، لم أدر كيف لم أنتبه إليه لحظتها ....

إنها لم تخبر من أجرت اتصالها بهم ، بعنوان منزلها ....

وهذا يعنى أمراً واحداً ....

إنهم يعرفون المكان .....

ويعرفونها ....

وهذا يعنى بالتبعية أنهم ليسوا من رجال الشرطة ....

حتمًا ....

قفزت من مكاتى ، وتلفتت حولى فى توتر ، بحثاً عن مهرب ، فى حين فتحت هى الباب ، وهى تقول ، فى شيء من الارتياح :

— وصلتكم فى الوقت المناسب .

وعند الباب ظهر المصارعان ، اللذان ألقياتى من الطابق الخامس بلا تردد ....

واتجهنا نحوى مباشرة ....

وبدون تفكير ، وعلى الرغم من جهلى بالمكان ، انطلقت أعدو

فيه بكل قوتى ....

والمدهش أننى ، من فرط رعبى ، نسيت حتى ساقى المصابة ، أو أننى لم أبال بها ، وأنا أسعى للحفاظ على ما هو أهم ....

على حياتى ....

ولقد كان المشهد ، على الرغم من كل الرعب الذى أشعر به ، أشبه بمشهد هزلى ، فى فيلم من أفلام ( شارلى شابلن ) القديمة ...

كنت بحجمى الضئيل أجرى داخل المكان ، ومصارعان قويان يطارداننى كما لو كنت فأراً صغيراً ، يطارده قطان ضخمان لافتراسه ، وأنا أفقر من مكان إلى آخر ، بالضبط كما لو كنت ذلك الفأر ....

أما ( أحمد ) ، فقد راح يصرخ :

— ماذا يحدث هنا !؟

وعلى الرغم من حالة الذعر والهلع الشديدين ، التى كنت أمر بها ، انتهيت إلى حقيقة مهمة جداً ....

( أحمد ) لا يعرف شيئاً عما يحدث ....

( ماسى ) متورطة فيه حتى النخاع .....

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 187

وهذا جعل الحقيقة تضىء فى ذهنى واضحة جلية ....

( ماسى ) هى التى دبرت كل شىء منذ البداية ، وبمعاونة بواب البنائية ، ومن الواضح أن كليهما كان يكره ( صفوت ) بشدة ....

وكان من الطبيعى أن يتعاونوا على قتله ....

( ماسى ) أقامت علاقة ما معه ، حتى اطمأن إليها ، وحصلت على كل أسرارها ، ثم دبرت الأمر بإحكام ، مستغلة عملها فى مكتب ( منير ) ... علمت البواب كيف يستخدم مغير الصوت الرقمى ، وأثبتت وجودها فى مكتب ( منير ) ، عندما كان البواب يقتل ( صفوت ) ..

ولأنها تعرف ( منير ) جيداً ، بحكم عملها معه ، كانت تعرف أنه سيهرع إلى شقة ( صفوت ) ، فور تلقىه الاتصال ....

ومن المؤكد أنها قد حصلت على زر كم سترته مسبقاً ، وجعلت البواب يضعه هناك ، فى مسرح الجريمة ، ثم يشهد بوجود ( منير ) ، فيصبح المشتبه فيه رقم واحد ....

كنت أرغب فى الاستطراد فى الشرح ، لولا أن المطاردة الداخلية وصلت لما كان متوقفاً لها ...

لقد وقع الفأر فى برائن القطين الضخمين ....

هل سمعتم فى حياتكم عن فأر نحيل ، استطاع الفرار من قطين هائلين؟! ..

بالطبع مستحيل ....

ولقد كنت ألهث فى شدة ، عندما وضعانى عنوة على الأريكة ، فى مواجهة ( ماسى ) ، و( أحمد ) مازال يصرخ :

— أريد أن أعرف ماذا يحدث؟! ..

أجابته ( ماسى ) فى برود مخيف :

— مجرد مشكلة ، سننتهى منها خلال لحظات .

قال فى صرامة :

— دعيني أفهم أولاً .

استدارت إليه فى شراسة مخيفة ، جعلتها أشبه بالأفعى (سونيا جراهام) فى روايات (رجل المستحيل) ، وهى تصرخ :

— اخرس .

تراجع ( أحمد ) مصعوقاً ، فى نفس اللحظة التى سمعت فيها صوت دوران مفتاح فى الباب ....

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 189

وتحركت ( ماسى ) فى عصبية ، فى نفس الوقت الذى فُتح فيه الباب ، ودخل منه شخص يقول :

— ماذا يحدث؟! ..

وانتفض جسدى بمنتهى ، منتهى العنف .

فذلك القادم كان آخر شخص يمكننى توقعه ... على الإطلاق .

\* \* \*



## 7- ختام ..

الأستاذ ( منير ) ....

ذلك الذى فتح باب الشقة بمفتاحه ، ودخلها فى بساطة ،  
وكانه اعتاد هذا طويلاً ، كان الأستاذ ( منير ) .....

ولقد وقع بصره علىّ ، ووقع بصرى عليه ، وانتفض كلانا  
فى قوة ، وألجمت المفاجأة لسائى ، فى حين هتف ( منير )  
ذاهلاً :

— أنت !؟ ...

أجابته ( ماسى ) فى عصبية :

— لقد كشف تقريباً كل شىء .

هتف وهو يشير إلى مستنكراً :

— هذا !؟

أحنقتى استنكاره هذا ، خاصة أن وصوله قد أضاء الحل  
الحقيقى فى ذهنى دفعة واحدة ..

الأستاذ ( منير ) هو المدبر الحقيقى لكل هذا ...

ربما قتل سكرتيرته السابقة أو لم يقتلها ، ولكن شقيقها  
( صفوت ) كان يبتزه فى كل الأحوال ، ويجبره على أن يدفع له  
مبالغ مالية شهرية ، بالإضافة إلى تهديداته المستمرة بالإساءة  
إلى سمعته فى السوق ، حتى سئم هو كل هذا ، وقرر التخلص  
من ( صفوت ) ....

وعلى عكس ما فهمت ، كان ( منير ) هو الذى دسّ  
( ماسى ) فى شقة ( صفوت ) ، حتى تنقل إليه تفاصيل حياته ،  
ثم اختار لحظة رتباها معاً ، ليضرب ضربته .....

لم يكن هناك مبلغ مجهول ، أو أجهزة تغيير صوت رقمية  
أو غيره ، فقد ذهب ( منير ) إلى ( صفوت ) فى شقته ،  
وهناك ، وأثناء عمل هذا الأخير على جهاز الكمبيوتر ، باعته  
بضربة قاتلة ، سقط معها زر قميصه فى مسرح الجريمة ،  
قبل أن يقرأ منها ، ويراه البواب ، مما استلزم اعترافه  
بالذهاب إلى هناك ، معتمداً على خطة رقمية ، أثبت بواسطتها  
وجوده فى مكتبه ، ساعة ارتكاب الجريمة ، وبشهادة عدد من  
الشهود ....

وهنا تكمن اللعبة .....

الشهود جميعهم سمعوا صوت ( منير ) فقط ، وهو يتفاعل معهم .....

( ماسى ) وحدها شهدت بأنها قد رآته ...

ولكن الواقع أنه لم يكن فى مكتبه من الأساس ....

كان يرتكب جريمته ، التى ما أن ارتكبها ، حتى أجرى اتصالاً بكمبيوتر مكتبه ، عبر شبكة الإنترنت ، وباستخدام أحد برامج التخاطب والرؤية المباشرة ، وهى كثيرة ، كما تقول الأتسة ( حنان ) دوماً ، راح يتحدث مع ( ماسى ) ويتفاعل معها ، وسماعات الكمبيوتر الكبيرة تنقل صوته فى وضوح للجالسين فى الخارج ، والذين تصوّروا أنه داخل مكتبه ، يتفاعل معهم مباشرة ....

أما البواب ، فهو مجرد رجل طماع ، وجد لديه فرصة لابتزاز أحد رجال الأعمال الكبار ، فاغتمتها .....

« ماذا سنفعل به !؟ ...! »

ألقي ( منير ) السؤال فى تويتر ، فقالت ( ماسى ) فى عصبية :

— لن يفسد كل ما فعلناه .

صرخ ( أحمد ) هذه المرة فى عصبية شديدة :

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 193

— أخبرونى ماذا يحدث هنا ..

صرخت فيه ( ماسى ) فى غضب مماثل :

— هل تتظاهر بالغباء !؟ .. ألم تفهم كل شيء منذ البداية !؟ ..

هل تصوّرت أن ( منير ) سيعطينا مائة ألف جنيهه ، فقط لنراقب ( صفوت ) ...

امتقع وجهه ، وهو يقول :

— أتعنين أننى شاركت فى ....

قاطعته بنفس الغضب :

— فى قتل ( صفوت ) .... نعم ... سواء كنت تعلم أم لا ،

فأنت شريك متضامن معنا ، ولقد قبضت الثمن مقدماً .... هل تذكر هذا !؟

ازداد امتقاع وجه ( أحمد ) ، وتراجع مرتجفاً مصدوماً ، حتى سقط على مقعد كبير ، وأخفى وجهه بين كفيه ، وراح ينتحب بصوت مكتوم وهو يردد :

— ماذا فعلت بنفسى ... ماذا فعلت بنفسى ..

قال ( منير ) فى عصبية :

— شقيقك هذا يمكن أن يكشف أمرنا بضعفه .

قالت فى عصبية :

— ليس شقيقى ....إنه أخى من أمى فحسب .

أشار إلىّ ، قائلاً :

— وماذا عن هذا ؟!

انعدت حاجباها فى شدة ، وأشارت إلى المصارعين ، قائلة فى لهجة شرسة :

— أريد أن يبدو الأمر كحادثة .

لم تكن حتى قد أتمت عبارتها ، حتى انترعنى المصارعان من مكائى فى عنف ، واتجهاً بى نحو الشرفة ، و ....

عاودنى رعب المرتفعات ....

بعنف ....

\*\*\*

حتى فى أفلام السينما التى عشقت متابعتها منذ طفولتى ، لم تسير الأمور بدقة على هذا النحو المدهش ...

ففى نفس اللحظة ، التى همّ فيها المصارعان بإلقائى من شرفة المنزل ، سمعنا تلك الطرقات العنيفة على باب الشقة ...

وعلى نحو أجمل مما يحدث على شاشة السينما ، اقتحم رجال الشرطة المكان ، وهتف ضابطهم بكل الصرامة :

— ارفعوا أيديكم جميعاً ...

وصرخ ( أحمد ) واتسعت عيننا ( منير ) عن آخرهما ، فى حين امتقع وجه ( ماسى ) فى شدة ، وهى تهتف :

— مستحيل !..... مستحيل !!!

أما ( حلمى هولمز ) فقد اندفع نحوى ، من بين رجال الشرطة ، وهو يهتف :

— ( خالد ) ... أنت بخير ؟!

وعندئذ ، وللمرة الثانية فى حياتى .... فقدت الوعى ....

\*\*\*

« ( خالد ) لعبها بعبقريّة يا أستاذ ( حازم ) ... »

عقد الأستاذ ( حازم ) كفيه خلف ظهره فى صعوبة ، ومد كرشه إلى أقصى الأمام ، وعقد حجابيه فى صرامة ، وهو



يستمع إلى ( حلمى ) ، الذى وضع يده على كتفى فى فخر ، شاركته إياه بالطبع ، مكملاً فى حماس :

— قبل أن يذهب إلى شقة ( أحمد ) هذا أعطاني عنواتها وطلب منى أن أنتبه طوال الوقت ، وعندما بدعوا مطاردته هناك ، طلب رقمى من هاتفه المحمول ، وترك الخط مفتوحاً ، وكنت أنتظره فى أوّل الشارع كطلبه ، فسمعت كل ما حدث ، وأبلغت الشرطة فوراً ..

قالت الأنسة ( حنان ) ، ما بين الانبهار والحيرة :

— وكيف وصلت الشرطة بهذه السرعة؟! ... بل وكيف أقنعتمهم باقتحام شقة ( أحمد ) ، على هذا النحو الذى وصفته؟! .. ضحك ، قائلاً :

— أخبرتهم أن بها إرهابيين ، يستعدون لتفجير المبنى .

وقفت صامتاً طوال الوقت ، مكتفياً بابتسامة زهو ، باعتبارى ، ولأوّل مرة فى حياتى ، ألعب دور البطولة ، بعد سنوات طوال من لعب دور الكومبارس الصامت ....

ولقد بدا ( حسن ) ، ولأوّل مرة مبهوراً بما يسمعه عنى ، فى حين ربّيت ( حلمى هولمز ) على كئفى ، قائلاً :

— الواقع أن ( خالد ) كان عبقرياً هذه المرة .

غمغمت الأنسة ( حنان ) :

— ولآخر مرة .

لم أفهم تعليقها ، وأنا أنظر إلى الأستاذ ( حازم ) فى لهفة ، منتظراً رد فعله ، خاصة أن وجهه بدا منتفخاً محمراً كالمعتاد ، وهو يقول بصوته الضخم الفخم :

— ما فعلته يا ( حلمى ) أنقذ حياة ( خالد ) ، ولكنه سيعرضك لتهمة البلاغ الكاذب ، ولما كان بلاغك الكاذب يتعلّق بالإرهاب ، فأعتقد أن هذا سيعرضك للمساءلة ، فى مباحث أمن الدولة .

أمتقع وجه ( حلمى ) ، وشعرت بيده ترتجف ، وهو يرفعه عن كئفى ، فى حين التفت إلى الأستاذ ( حازم ) ، قائلاً :

— أما بالنسبة إليك ، أتعلم ماذا فعلت بالمكتب؟! ...

سألته ، وابتسامتى ما زالت تملأ وجهى :

— جعلته شهيراً؟! ..

صرخ بكل الغضب :

— بل جعلته يخسر أكثر من مليون جنيه

والآن ، ومنذ ذلك اليوم ، مازلت أطمح فى شرب كوب من الشاي ، ومازلت لا أملك السكر أو الشاي .....

فهل لدى أحدكم وسيلة ، لإقناع الأستاذ ( حازم ) ، بإعادتي إلى عملي ، قبل أن أمتهن التسول ، أمام جامع الحسين !!

هل !!؟

( تمت بحمد الله )



هذا العدد من مجلتنا ، عدد خاص جداً ..

عدد يستحق اسمه ..

المبدعون ..

فهذا العدد يضم ثلاثاً من قصص الخيال العلمي ، كتبها شباب مثلكم ..

شباب فازوا فى الموسم الأوّل ، من مسابقة الخيال العلمى ..

شباب قدّموا الجديد ..

أقلاماً شبابية ..

أفكاراً شبابية ..

أفكاراً جديدة ..

أساليب مختلفة ..

لذا ، فقد استحقوا الفوز ، بين من أرسلوا أعمالهم ..

دعونى أقدمهم لكم الآن ، لعلهم يتولون مهمة تقديم آخرين ( ربما لم يولدوا بعد ) فى المستقبل ..

ودعونا نبدأ بهم رحلة ، أتمنى أن تكتمل ، حتى نضع مغاً أدب الخيال العلمى ، فى المكانة التى يستحقها ، بين الأدب العربى ..

ولنبدأ بهم رحلة عالم المستقبل والخيال ..

الخيال العلمى ..

الجديد ..

\*\*\*

الأعمال الفائزة بمسابقة

د . نبيل فاروق

لأدب الخيال العلمى للشباب

\*\*\*



## يوچينيا

خرجت الحافلة الصغيرة ( الميني باص ) من شارع 4ب الواسع الزلق إلى شارع جانبي ضيق نسبياً يفضى إلى مشارف الحى الخامس ( ج ) .. شعرت بالقدرة على التنفس تعاودنى من جديد .. ساعات طويلة ومرهقة تلك التى قضيتها خارج ذلك الحى الذى أظننه منذ مولدى ، تحديداً خارج بيتى الذى اتخذته مخبأً لا أغادره إلا لأقضى عملاً ما يدر على ريعاً أتعيش به أنا وأمى العجوز ..

أغمضت عيني وأرحت رأسى على قمة ظهر المقعد الذى تمزق جلده وبرز من تحته الإسفنج الخشن الملوث الذى يحشو المقاعد .. شبكت أصابعى بقوة حول زجاجة الدواء فى يدي ، وشرعت أبحث عن بعض الاسترخاء الذى بالتأكيد أستحقه بعد أن غامرت بنفسى بذلك الشكل الفاضح من أجل أن أحضر ذلك الدواء لأمى المريضة .. وكلما اقتربت السيارة من تخوم الحى ، كلما شعرت بخدر الراحة يسرى فى خلايا أعصابى قوياً لذيذاً ، حتى إننى بدأت أدخل فى حالة وسن جذابة .. عندها شعرت بالحافلة تبطئ سرعتها حتى تتوقف .. فتحت عيني لأجد حالة من الارتباك والتوتر تسود راكبيها ، والسائق يندفع مغادراً إلى وجهة ما .. حاولت أن ألقى نظرة من النافذة المجاورة ، ولكن زحاما شديداً من السيارات ملأ الشارع حجب عنى الرؤية ..

ارتجف قلبي داخل صدرى وقد توقعت أن أسوأ كوابيسى قد تحقق فى تلك اللحظة .. فكرت أن أقفز عبر النافذة إلى الشارع وأركض فى أى اتجاه متاح أمامى ، ولكن الفرجة المتاحة من النافذة كانت ضيقة جداً لا تسع لمرور جسدى .. انكشمت فى مقعدى متوقفاً أسوأ الأمور ، وتعصف بى أفكار سوداء تركيها أصوات البكاء والعويل المكتوم التى تخرج من أكثر من فم ملتاع حولى .. هذا العويل الذى تطور إلى صرخات هلع قصيرة لا إرادية تناثرت من أكثر من فم أنثوى عندما أطل علينا ذلك الشرطى من باب السيارة كشبح الموت .. فقد كان سبب توقفنا - وكما توقعت - لجنة الشرطة تلك التى تسد الطريق .. بصوت بارد لا حياة فيه أمرنا الشرطى :

- فليهبط جميع الرجال من الحافلة فى صف واحد ، ثم من بعدهم النساء ..

بالطبع لم يستطع أحد رد الأمر ، فهذا ينطوى على الموت .. فى حين أن الطاعة لن تؤدى - على الأقل فى حالتى - إلا إلى بعض المتاعب التى لا تقارن بالموت .. لم أكن قد ارتكبت جرماً ما ، لذا فانا لا أخشى على حياتى ولا على جريتى ، سيقومون باستكمال إجراءات المواطنة الخاصة بى ، تحديداً الإجراء الذى أتهرب

من تأديته منذ عامين ، ثم سيطلقون صراحي وينتهي الأمر ..  
بينما هناك غيرى - بالتأكيد - من ركاب الحافلة من هم مطلوبون  
فى قضايا قد تؤدى بهم إلى غرفة الإعدام .. فأخر إحصائية  
سمعتها فى التلفزيون تقول إن ثلاثة أشخاص من كل خمسة من  
مواطنى الفئة ( ج ) مطلوبون للشرطة فى قضايا متنوعة ..  
وهذا يفسر رعشات الأجساد والبكاء الحار والوعويل ، وكل ما حظ  
على ركاب الحافلة فى تلك اللحظة من فرح ..

هكذا شجعت نفسى ونهضت مستسلماً أتبع الحشود فى صف  
طويل .. هبطنا من الحافلة حيث كان شرطى آخر ينتظرنا ليقودنا  
إلى نقطة ما فى جانب الطريق ، حيث ذلك الضابط المتحفظ  
ينتظرنا لفحص أوراقنا .

بدأت رحلة الفحص لتتهم الأعداد الوفيرة المتراسة فى الصف ..  
وعندما وصل الدور إلىى كان الفحص قد مر على ثمانية رجال  
أمامى ، أفلت منهم خمسة ، فى حين تم القبض على الثلاثة  
الباقين لتتهم مختلفة ، أحدهم كانت حالته مثل حالتى تماماً ..

مد الضابط يده بحركة حادة يختطف بطاقة هويتى من يدى  
الممدودة له ، تفحصها بعناية فوجد بالتأكيد الخطأ الواضح بها ،  
فنظر إلى وجهى نظرة نارية وهو يقول بصوت قاس :

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

— هذه البطاقة لم تجدد منذ عامين .. لماذا ؟

بالطبع لم أجب .. عاد يلقي نظرة سريعة إلى واجهة البطاقة ،  
حيث حرف ( ج ) يملأ ثلث مساحتها مطبوعاً داخل مثلث أحمر  
اللون ، ثم عاد يخترق عيني مصدر الأمر الذى كنت أنتظره :

— اكشف عن ساعدك الأيمن ..

بإذعان صامت فككت ببطء الزر الذى يعلق نهاية كم القميص  
الطويل على رسغى ، ويتردد بدأت أثنى الكم كاشفاً عن ساعدى  
ببطء ، ولكن الضابط لم يستطع الانتظار ، فانقض على يدى يجذبها  
بقسوة ، وأماط جزءاً من الكم المنسدل على كامل ذراعى ، جزء كاف  
لتبين ساعدى الأيمن النظيف تماماً والخالى من أى أختام .. عندها  
التمعت فى عينيه نظرة وحشية ، وهو يصيح كاشفاً عن أنيابه :

— أين ختم يوجينيا ؟

لم أرد مرة أخرى تاركاً له الاستنتاج .. أوما برأسه إلى شرطى ،  
فانقض علىّ وكبّل ذراعى ، والضابط يصيح فى بروتينية :

— المواطن يسرى محمد عمار .. أنت موقوف لتهربك من  
تطبيق قانون يوجينيا ..

لا أدري كم من الوقت مر على هنا .. فقد كان مرور الوقت غير محسوس بلا ساعة أو حتى نافذة .. فقط مواعيد الطعام هي التي تنبئني بصورة تقريبية عن الوقت ، فعندما يدفع لى من الفتحة أسفل الباب بصينية طعام تحتوى على قدر من اللحوم ، أدرك أن هذا هو الغداء ، إذن فنحن فى فترة ما من منتصف النهار .. وعندما تأتى الوجبة التالية فذلك دليل قاطع على أننا صرنا فى الليل .. ومن ثلاث وجبات غداء أدرك أنني هنا منذ ثلاثة أيام ، وحيداً فى تلك الغرفة البيضاء .. كل شيء أبيض ، حتى الفراش أبيض ، والإضاءة بيضاء لا تنطفئ أبداً حتى فى الليل ، والملابس المعقمة التي جعلوني أرديها أيضاً بيضاء .. حجرة أشبه بزناينة حبس انفرادى مطبورة ، ولكننى لم أكن فى سجن ، فالمتهرب من قانون يوجينيا عندما يسقط يقتادونه إلى ذلك المختبر الحكومى الضخم على حدود القاهرة ، والذي تطلق الحكومة عليه اسم ( المعهد القومى لدراسات البيولوجيا الاجتماعية ) ..

واليوم ، وقبل أن يحين موعد الغداء الرابع لى فى هذا المكان ، فتح الباب لأول مرة منذ أن وضعت هنا ، وأطل على وجه صارم يبدو عسكري الملامح وإن ارتدى صاحبه ملابس بيضاء من قطعة واحدة كرائدى الفضاء .. أمرنى بأن أتى معه ، ومن ثم اصطحبني عبر طرقات طويلة ممتلئة بأبواب زنازين مشابهة لزنازنتي ،

وهناك بعض أشخاص يروحون ويجيئون بملابس بيضاء كالتي يرتديها الرجل القابض على ذراعى .. فى النهاية دفعنى إلى حجرة خالية - بيضاء اللون بدورها - إلا من طاولة بلاستيكية ومقعدين من البلاستيك أيضاً على جانبيها ، أجلسنى على أحدهما ثم خرج .. بعد ثانية دخل ذلك الشاب فى حلة سوداء تنافى فى شذوذ فح اللون الأبيض الذى يغرق كل شيء فى المكان .. كان يتحرك حولى فى بطء واثق يثير الأعصاب .. يحمل فى يده اليمنى شريحة بلاستيكية رقيقة يضرب بها على أطراف يده اليسرى محدثاً إيقاعاً موترًا .. بعد قليل توقف أمامى مباشرة وسدد نظره إلى الشريحة البلاستيكية فى يده وهو يقول :

- يسرى محمد عمار .. 33 عاماً .. عامل .. مواطن من  
الفئة ( ج ) ::

ثم ألقى بالشريحة - التي أدركت أنها بطاقتى - على الطاولة أمامه وهو يتابع :

- أليس كذلك ؟

هزرت رأسى بالإيجاب ، فأخرج من جيبه علبة سجانره وأشعل منها سيجارة ، فى معارضة صارخة لجو التعقيم الذى نتنفسه .. ازدرت لعابى قلقاً وقد وصلت إلى الرسالة كاملة ؟



فهاهو يقول لى : أنا أقوى من القانون ذاته ، لا تسرى على أية نظم أو تعليمات ، فلا تحاول العبث معى .. نفتت دخان السيجارة ثم .. أخيراً .. جلس على المقعد المواجه لى ..

تطلع إلى عيني بنظرات باردة لا مبالية وهو يتلوعلى قرار الاتهام بصوت ألى :

— أنت متهم بالتهرب من تطبيق القانون رقم 104 لعام 2012 والذي أقره البرلمان بالإجماع ، والذي يقضى بإجراء القواعد البيوجينية على المجتمع المصرى ، بإجراء انتخاب صناعى على عناصر المجتمع بغرض السماح للعناصر المرغوب فيها فقط بالتكاثر .. وينص القانون على إجراء تعقيم إجبارى للذكور والإناث من المصنفين كمواطنين من الفئة ( ج ) مقابل الحصول على تعويضات مادية مجزية .. وذلك للقضاء على الفقر فى البلد ، وجعله بلا مستقبل ..

صمت الشاب وهو يلتقط أنفاسه ، ويسحب أنفاس متتالية من سيجارته ، ربما بفعل الملل ، فهو بالتأكيد قد كرر تلك الدباجة عشرات المرات ربما اليوم فقط .. ثم قال لى :

— ما ردك على التهمة ؟

قلت بصوت مبسوح من انعدام الكلام طوال الأيام الماضية :

— مذنب ..

أنا الآن بين أيديهم ، فمن الأفضل ألا أضيع الوقت ، فليجروا عملية التعقيم سريعاً ويعيدونى إلى أمى المريضة ، لا فرق عندى ، أنا أصلاً لا أعرف حتى هذه اللحظة لماذا تهربت من إجراء التعقيم؟! هل يفرق معى أن يكون عندى أولاد من عمه ، وأنا أصلاً لا أجد مალأ لكى أتزوج .. وحتى لو تزوجت ، فمن أين سأنتفق على أطفالى ؟ وماذا سأترك لهم بعد وفاتى سوى الفقر وقلة الحيلة .. صراحة لقد كنت أشعر بداخلى أن هذا القانون يحمل بعض الراحة لنا نحن الفقراء .. هم لا يريدون لنا أن ننجب ، ليكن .. طالما أنهم لا يريدون لنا أن نغادر الفقر .. لقد حكموا علينا أن نظل فقراء حتى الممات بعد أن اعتمدت وزارة السكان قراراً ينص على اعتبار الفقر وراثياً ، والفقير سيورث فقره لأبنائه .. قبات الفقر كالمرض الذى لا شفاء منه أبداً .. فما الضير إذن بعد أن حولونا إلى مرضى ، فى أن حولونا إلى عمماء ، طالما لم يعد لدينا أمل فى حياة أفضل ..

— اسمع يا يسرى ..

عدت من خواطرى على نبرات لهجته الرقيقة وهو يحاول أن يلعب معى دور الصديق الناصح قائلاً

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 211

— ودعنى أخبرك بسر .. لقد صدرت لى أوامر مشددة بألا أقوم بتسجيل الهاربين المقبوض عليهم فى تلك الحملة الأخيرة حتى يصدر القانون الجديد ، لكى يسرى عليهم .. وأنت واحد من هؤلاء المعنيين .. أى أنك من هذه اللحظة فى حكم المحكوم عليه بالإعدام ..

ارتجفت تلقائياً وحاولت أن أقول شيئاً ما لا أدرى كنهه ، ولكنه أجبرنى على الإلتصاف له وهو يقول مبتسماً بركة :

— ولكن أنا لا أحب هذا .. حتى ولو غامرت بتكسير أوامر القيادة . لقد حققت طوال اليومين الماضيين مع العشرات .. ومنهم من قمت بتسجيله رسمياً بالتاريخ الحقيقى للقبض عليه .. بل ومنهم من أجرى تعقيمه بالأمس وعاد إلى بيته سليماً معافىً يحمل ختماً صغيراً على ساعده الأيمن .. وأنا أريد لك أن تكون واحداً من هؤلاء الناجين . فما رأيك ؟

قلت بسرعة وقد فهمت مسأومته :

— ما المطلوب منى ؟

قال :

— مجرد معلومة بسيطة .. وبعدها تجرى لك العملية وتكون فى بيتك مساء اليوم .. لن يضرك شيئاً .. مجرد عملية غير

— لقد حققت مع العشرات خلال اليومين الماضيين ، وصدقا لم يعد لى مزاجاً للألاعيب .. لذا سأكون صريحاً معك إلى أقصى درجة .. توقف برهة للتعامل مع سيجارته ثم تابع :

— أنت تعرف أن الحكومة أعلنت منذ عامين عن إتمام إجراءات التعقيم القسرى على كل مواطنى الفئة ( ج ) ، وقد حصلوا على ذلك الختم الخاص على سواعدهم دلالة على ذلك .. واعتبرت الحكومة أن كل من لم يحصل على هذا الختم ، أو لم يجدد بطاقته ليسجل بها خضوعه للتعقيم كاستكمال لشروط المواطنة ، منتهرباً من القانون ، وكانت عقوبته هى أن يجرى عملية التعقيم دون الحصول على الحافز المادى ..

بالطبع كنت أعرف هذه المعلومات ولا أجد أى داعٍ لتكرارها .. ولكنه واصل :

— ولكن الحكومة ترى الآن أنه لابد من وضع عقوبة حقيقية ورادعة للتهرب من قانون يوجينيا .. وفى هذه اللحظة التى نتحدث فيها ، البرلمان يناقش مشروع قانون سيصدر خلال يومين رسمياً ، ينص على إعدام من يضبط بتهريبه من هذا القانون ..

تقلصت أحشائى على وقع كلمة « إعدام .. » ، وشعرت بدوار خفيف يضرب رأسى .. فى حين تابع الشاب وهو يطفى ما بقى من سيجارته بقدمه على الأرض :

جراحية بسيطة ، فقط ستعرض لدفقات بسيطة من الموجات فوق الصوتية ستطلق الوعاء الناقل للحيوانات المنوية من خصيتيك إلى السائل المنوي ، فتفقد القدرة على الإجاب دونما المساس بقدرتك الجنسية بأى شكل من الأشكال ..

صمت ملاحظاً آثار كلماته على وجهي ، فقلت :

— أية معلومة تريد ؟

قال مبتسماً :

— أريد اسم ومخبأ كل متهرب من قانون يوجينيا تعرفه ..

قالها واتسعت ابتسامته أكثر مضغية على وجهه تأثيراً شيطانياً هو بالتأكيد يقصده .. بينما زاد توترى وفقدت القدرة على التفكير السليم .. وأنا أقول بصوت متحشرج :

— ولكنني لا أعرف أحد ..

بقى محافظاً على ابتسامته وهو يقول :

— إنها حياتك تلك التي تراهن بها .. فاحذر ..

نجحت كلماته في إثارة المزيد من الذعر في قلبي وأنا أردد :

— صدقتي .. صدقتي أرجوك .. أنا لا أعرف أحداً سواي متهرباً ..

هنا وجدته شديد العملية بالفعل ، لا يحب الكلام الكثير ، بينما أنا في موقف أحتاج فيه للكلام الكثير ، على الأقل لكي أجد الفرصة لترتيب أفكارى والوصول إلى قرار مناسب .. ولكنه نهض متجهاً إلى الباب بسرعة وهو يقول :

— كما تشاء .. فليكن الإعدام إذن ..

هنا لم يكن أمامي إلى أن ألقى بأول كلمة تأتي على بالي ، كنت كمن يحاول إدراك الأمل الأخير الذى يبتعد مسرعاً .. فصحت :

— انتظر ..

وعندما التفت إلى وجدت الكلام ينساب من فمى بسهولة وثقة وكأننى لست قائله :

— أنا أعرف خمسة من المتهربين .. أعرف أسماءهم ، وعناوينهم ، وأماكن اختبانهم ..

عاد يقترب منى وهو يقول :

— رابع .. أخبرنى إذن ..

لا أعرف كيف وجدت فى نفسى تلك القدرة على المراوغة قتلاً :

— ليس بهذه السرعة .. أنت كنت ستقتلنى من الإعدام .. ولكن

ستجرى لى التعقيم مقابل أسماء هؤلاء الخمسة لئلا يبين كذلك ؟



أدرك وقتها أنني أتلاعب به بشكل ما ، فضيق عينيه مركزاً على أعماقي وهو يقول :

— هو كذلك ..

فقلت :

— ماذا ستعطيني إذن مقابل ما هو أكثر أهمية بمراحل من مجرد أسماء بضعة متهربين ..

عندها عاد للجلوس أمامي مرة أخرى ، وأشعل سيجارة جديدة قائلاً :

— هات ما عندك ..

قلت مبتسماً وقد استشعرت لذة السيطرة :

— قلت لك : ليس بهذه السرعة .. دعنا نتفق على المقابل أولاً ..

هنا أطلق ضحكة عالية مجلجلة اهتز لها جسده ، ثم قال :

— أنت لن تساومني يا هذا .. أخبرني بما لديك وسنقرر بعدها مكافأتك على ضوء أهمية معلوماتك ..

أغاظتني طريقته الواثقة المتعالية أكثر مما أرهبتني ، فقد بات لسدي شعور قوى بأنني لن أخسر شيئاً ، حتى الإعدام الذي

يساومني به أستطيع أن أفلت منه ببساطة إذا ما منحتة ما لذي ، هذا لو كان أصلاً موضوع الإعدام هذا ليس كذبة للضغط على وإجباري على الكلام .. من هنا قررت أن على أن أحاول الاستفادة قدر الإمكان من مغامرتي تلك ، وإلا فلن أخسر شيئاً ..

— وأنا لن أتكلم إلا بشروطي .. وإلا فليكن هو الإعدام إذن ..

حاول أن ينطق ولكنني عاجلته بلهجة حادة :

— هل تعتقد حقاً أن الموت يخيفني ؟ .. أنت ساذج إذن .. حكومتك حكمت على بأن أبقى فقيراً طوال حياتي مهما فعلت ، حولت فقري من ظرف يمكن تجاوزه ببعض الاجتهاد ، إلى قدر إلهي لا هروب منه ، والآن تقرر أن تحرمني من الإيجاب خوفاً من تلويث البلاد بالمزيد من الفقراء .. فهل تعتقد أن الموت ليس أفضل من حياة كتلك التي نحياها ؟ . ربما بالنسبة لك .. ولكن ليس بالنسبة لمن قضى عمره في أحباء الفقراء ..

ومع لهجتي الهجومية غير المتوقعة ، لاحظت ملامحه تفقد تدريجياً تلك الثقة المتغترسة التي كانت تكسوها .. وأدركت مدى الوقوع الذي تركته كلماتي في نفسه ، فقررت أن أطرق الحديد فوراً :

— لكي تحصل على ما عندي من معلومات — وأؤكد لك أنها معلومات سنذهلكم — يجب أن تلبى لي طلباً بسيطاً ..

هنا تبلور التحول في اتجاه تفكيره نحوى في شكل سؤال جرى على لسانه بهدوء :

— وما هو ؟

فقلت وقد تملكنتى الثقة :

— يتم نقلنا أنا وأمى من الفئة ( ج ) إلى الفئة ( ب ) ، وأحصل على كل مقومات تلك الفئة ؛ وظيفة محترمة بدخل شهري مجز ، فربما تعرف أنتى خريج كلية التجارة ، على الرغم من عملى كعامل فى ورشة كهرباء ، ولكن هكذا شاء لى تصنيفى تبعاً للفئة ( ج ) ، الذى حرمنى من حق العمل سوى فى الأعمال البدنية والفنية .. وذلك طبعاً كان قبل أن يصدر قرار حرمان مواطنى الفئة ( ج ) من التعليم العالى . وأريد أيضاً شقة نظيفة فى حى من أحياء التصنيف الثانى .. وبالطبع أريد أن أحتفظ بقدرتى على الإلجاب ..

نظر طويلاً إلى وجهى بلا أى تعبير ، فقط جذوة من النار تألقت هناك فى حدقتيه لثانية جعلتني أدرك كم الغضب الذى يعتمل فى نفسه .. وفى النهاية هب واقفاً وهو يقول :

— القاتون سيطبق بعد يومين .. وهذه هى مهلتك للتفكير .. إما المعلومات التى لديك ، وإما الإعدام .. فقط اعلم أننا غير قابلين للمساومة يا غبى ..

روايات مصرية للجيب ... ( كوكيل 2000 ) 217

هم بالانصراف فتابعت جسده المنطلق بصوت حاد :

— بل هى فرصتك أنت لكى تبلغ رؤسائك بما سمعته وتجيبنى ..

وعندما امتدت يده لتقبض على مقبض الباب ، كنت أصيح :

— شىء آخر ..

التفت إلى بوجه متسائل ، فقلت :

— يجب أن تعلم أن تهديك لم يخفى .. فأنا أعلم جيداً أنك لو شئت قتلتى فلن تنتظر قانوناً .. فمنذ متى تقيمون للقوانين هذا الاحترام ..

شعرت به يريد أن يمزق أحشائى ، ولكنه تراجع وغادر الحجرة ..

وعندما جاء الشرطى ليعيدنى إلى زنزانتى كنت قد صرت فى حالة مرتفعة من الثقة ، وقد أدركت أن الشىء الوحيد الذى منع الشاب من إيدائى ، هو أننى قد ضربت ضربتى بشكل صحيح ..

\*\*\*

قضيت فى زنزانتى يومين أفكر فى السبب الذى دفعنى لتلك المغامرة .. لماذا أبديت بهذه البساطة الاستعداد لإفشاء السر الذى يحافظ عليه مواطنى الفئة ( ج ) كأرواحهم .. ربما هى

حالة اللامبالاة التي اعتدت أن أقيم بها هذا الموضوع .. فأتنا لم أر للمشروع أية فائدة ، حتى وأنا أذهب للاشتراك به بناءً على نصيحة سامى ابن خالتي ..

كان هذا قبل عامين مضيا .. اصطحبتنى سامى بعد أن اتقنتنى بجدوى الأمر إلى حيث المقر عيادة الدكتور يوسف الجبروى ، وصراحة أقول أنني من البداية لم أكن مقتنعا بأية جدوى لهذا الإجراء ، أنا فقط ذهبت لأن الأمر لن يكلفنى شيئا ، وحتى أتخلص من إلحاح سامى ..

فى العيادة انتظرنا دورنا ، وعندما جاء دخلنا حجرة الكشف حيث ذلك الطبيب قصير القامة بادى الوقار ، كان يعرف سامى كما أكد لى هذا الأخير .. عرفه سامى بى وأخبره عن رغبتى فى الانضمام للمشروع ، وأكد له مرارا أنني أهل للثقة .. أطلق الطبيب العنان لابتسامه واسعة واجهنى بها وهو يقول :

— نعم القرار .. فهذا هو السبيل الوحيد لمواجهة ذلك الزحف اليوجينى الكافر الذى سيفرق البلاد ..

ولكن ما لا يعرفه الطبيب هو أنني لا أتخدع بتلك العبارات الرنانة التى اعتدت سماعها طوال حياتى تجرى على السنة المعارضين الحكومة ..

— ما هى اليوجينيا ؟

سألته لأفهم ، فكونى صاحب شهادة عليا لا يعنى أن أعرف هذا المصطلح الغريب الذى دخل مجتمعنا منذ بضعة أشهر فقط .. عندها بدأ الطبيب يلقي محاضرتة :

— اليوجينيا كلفظ مشتق من أصل إغريقى يعنى ( نبيل المحتد ) .. وكتعريف ( هى علم تحسين الإنسان عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة للتكاثر على حساب السلالات الأقل صلاحية ) .. وهو العلم الذى سماه ونادى به فرانسيس جالتون منذ عام 1883 ، واتخذت منه دول عدة فى بداية القرن العشرين سياسة لها تقضى بتخليص البلاد من الذين يمتلكون صفاتاً وراثية غير مرغوبة ، مثل الأمراض الوراثية ، وضعف العقل ، وحتى الشواذ والمومسات المحترفات والمجرمون .. أحيانا كان يتطور الأمر ليشمل أجناس معينة ، كما فعل هتلر مع كل من هو غير آرى .. ولكن المعروف أن الولايات المتحدة قد اعترفت بدستورية الإجراءات اليوجينية عام 1927 .. ومنذ ذلك الوقت وأهم سلاح عند اليوجينيا هو التعقيم الإيجابى ، لمنع هؤلاء غير المرغوب فيهم من التكاثر .. وقد اعتقد العالم كله أن الفكر اليوجينى قد انتهى مع سقوط النازية ، ولكن هذا لم يحدث .. فقد بقى



اليوجينيون يعملون ربما بشكل أنشط ولكن في الخفاء ، لدرجة أنهم وصلوا للأمم المتحدة ببرامج يوجينية الطبع تدعوا لتقويض خطر الانفجار السكاني في دول العالم الثالث تحديداً ، ودعوا بتشجيع الإجهاض ، بل وحتى التعقيم الاختياري كوسيلة لتنظيم النسل .. حتى كانت بداية القرن الواحد والعشرين ، عندما تشرب العالم من جديد بأفكار عنصرية تدعوا لمحاربة أجناس معينة ، كما حدث في الغرب تجاه المسلمين .. عادت اليوجينيا للسطح بشكل مكشوف مرة أخرى عن طريق دعوة صريحة أطلقها ريتشارد لين في كتابه ( اليوجينيا : إعادة تقييم ) عام 2001 .. ومنذ ذلك التاريخ تطور الأمر بسرعة رهيبه ، حتى صدر عام 2010 قرار تاريخي من الأمم المتحدة يقر بدستورية الإجراءات اليوجينية ، وحرية أى بلد في استخدامها ، ومن ثم سارعت دول كثيرة في العالم الثالث ، تحت ضغط قوى دولية ، أو قوى داخلية منتفعة ، بإصدار قوانينها اليوجينية ، والتي اعتمدت أكثرها على فكرة قديمة تعود إلى بدايات اليوجينيا تقول بأن الفقر نتاج لعوامل بيولوجية وراثية متعلقة بانخفاض في معدل الذكاء ، والقدرة على العمل والمثابرة ، وما إلى ذلك .. وبالتالي طالبت الفقراء القوانين اليوجينية ..

عندما انتهى كنت مازلت أوك كم المعلومات الذى ذكره محاولاً هضمها ، حتى قررت أن أقفز مباشرة إلى النقطة التى كانت تملأ عقلى منذ أن سمعت بمشروعه السرى ..

— وبماذا سيستفيد الفقراء من مشروعك هذا ؟

ابتسم مرة أخرى ، وهو يقول بود زائد :

— يا بنى ، لا يوجد حق أعز على الإنسان من حقه فى الإنجاب .. وهذا الحق لا يجب أن نصمت وهو يسلب منا بهذه الطريقة .. ويكفى ما أمرنا به الرسول الكريم عندما قال : ( تناسلوا .. ) . وطريقتنا فى المقاومة ، هى ذلك المشروع ..

استفزتنى كلمة ( منا ) التى قالها ، فقلت له :

— أنت مواطن من الفئة ( ج ) ؟

ابتسم وقد فهم مرادى ، وقال بجرعة أكبر من الود الذى شعرت به يخفى حنقا بالغا :

— كلا ، فالأطباء من الفئة ( ب ) دائماً .. ولكن يابنى ، ما أوصلنا لهذه الحالة هو أننا لا نتحرك إلا إذا وقع الأذى علينا فقط .. ألا يمكن أن نثور من أجل بعضنا ولو لمرة من باب التغيير ، ونكف عن سياسة ( ما شئى أنا ؟ ) التى نمرتنا ..

قررت أن أقتنع بكلامه مؤقتاً .. بعدها حدد لنا موعداً في المقر السرى للمشروع بعد يومين .

كدت أسترسل أكثر في ذكرياتي تلك عندما فتح باب الزنزانة ودخل ذلك الرجل بملابس التعقيم البيضاء ، يحمل في يده مقص طبي صغير ويقول لى :

— نريد خصلة شعر من رأسك ..

غريزياً ففرت مبتعداً عن متناول يده وأنا أقول :

— لماذا ؟

جاعنى الجواب من فم الشاب ذو الحلة السوداء الذى اقتحم الزنزانة فى تلك اللحظة :

— لكى ننفذ لك طلبك .. ألا تريد أن تنتقل للفتنة ( ب ) ؟

قررت ألا أستسلم لهما قبل أن أفهم الصورة كاملة ، فقلت بطريقة حادة :

— وما دخل عينة الدم بهذا ؟

بنفاد صبر قال الشاب :

— لكى تنتقل من فئة أدنى إلى فئة أعلى — وهذا أمر لم يحدث من قبل — يجب أن نفحص حمضك النووى ..

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 223

الـ DNA لتتأكد من خلوك من أى أمراض وراثية ، لأنك ستنتقل من فئة غير مسموح لها بالتكاثر لأخرى مسموح لها بالتكاثر ..

وقال الرجل فى ملابس التعقيم مؤكداً :

— هذا إجراء لا بد منه ..

هنا سلمته رأسى ليسلب منها عدد الشعيرات الذى ترضيه .. بعدها غادر فى حين بقى الشاب ذو الحلة السوداء معى فى الزنزانة ، تقدم وجلس بجوارى على طرف الفراش وهو يقول :

— إذن .. ها نحن قد وافقنا على طلبك ، فهات ما عندك ..

قلت له دون أن أنظر إليه :

— على العكس ، كلامكم عن فحص الحمض النووى أولاً مقلق .. فماذا لو اكتشفتم وجود أمراض وراثية ؟

قال الشاب :

— على الأقل أنبتنا حسن نيتنا ، لماذا لا تفعل المثل وتعطينا المعلومة حتى نتأكد من أنك لا تتلاعب بنا ..

أطرقت لفتره مفكراً .. هنا فقط أدركت كم أن التلاعب بهؤلاء الناس مستحيل ، فأننا لا نستطيع أن نحصل منهم على ضمانات ،

— حتى لو كانت زوجتى — إذا ما قدر لى الزواج أصلاً — تم تعقيمها بدورها ؟

قال الطبيب :

— تعقيم النساء يتم عن طريق سد أو قطع قناة فالوب التى تنقل البويضة من المبيض إلى الرحم ، ولكن المبيض يبقى قادراً على إنتاج البويضات ، ونستطيع أن نحصل على البويضة منه مباشرة ثم نلقحها بالحيوان المنوى ونزرعها فى الرحم ..

هنا شعرت أن وقت السؤال الأهم قد جاء :

— ولكن هذا يتكلف أموالاً طائلة ..

بابتسامه فخر لا أدري ما سببها قال :

— بالطبع هذا المشروع يتكلف الكثير .. ناهيك بأننا نجهز حالياً ما يشبه مستشفى سرى للنساء الذين سيحملون بتلك الطريقة .. لأن رؤية امرأة من الفنة ( ج ) حاملاً ، سيفتح أبواب الجحيم ..

واصلت استفسارى :

— ومن أين لك بتلك النقود ؟

أجاب بنفس الابتسامه :

وفى نفس الوقت لا أستطيع أن أتلاعب بهم إلى حد إغصابهم ، فهم لم يصيروا بعد بتلك الرقة التى تمنعهم من تمزيق أطرافى للحصول على ما لدى .. من هنا قررت أن أقدم تنازلاً جزئياً ، فقلت :

— الموضوع متعلق بوجود مشروع سرى لتوليد مئات — وربما آلاف — الأطفال لمواطنى الفنة ( ج ) بالتلقيح الصناعى ..

لم أدرك الأهمية الحقيقية لتلك المعلومة حتى شاهدت تعبير الذهول الذى ارتسم على وجهه فى تلك اللحظة ..

\*\*\*

خرجت من تلك الحجرة الضيقة منهكاً مفكك الأوصال .. ناولت الكوب البلاستيكى المغطى للطبيب يوسف الجيزاوى فتناولوه وعلى وجهه ابتسامه رضا .. غاب به فى حجرة جانبية ما ، ثم عاد إلى بقعة حلوى وزجاجة عصير ، تناولتهما منه شاكراً بعد أن ألقىت جسدى فوق ذلك المقعد الجلدى الوثير ..

— مرحباً بك فى مشروعنا السرى للتلقيح الصناعى .. وقتما تشاء سيصير سائلك المنوى هذا طفلاً بإذن الله تعالى ..

سألته مؤكداً :



— من رجال أثرياء شرفاء يحبون هذا البلد ، ولا يحبون الظلم الواقع عليكم ..

لم أشأ أن أسأله عن وجه الاستفادة التي يرجونها من وراء هذا ، فهو سيؤكد لى أنهم ما يفعلون ذلك إلا إرضاءً لوجه الله تعالى ، فى حين أننى — ولى العذر فى هذا — قد فقدت الأمل منذ زمن فى وجود أمثال هؤلاء الناس الذين يساعدون الآخرين ، وينفقون كل تلك الأموال دون انتظار مقابل مادية دنيوى ..

ولكن على الباب ، وأنا أهم بالمغادرة سألته :

— وهل سينكفل هؤلاء الأثرياء بمصروفات تربية المواليد ؟

نظر إلى مبهوتاً كمن ينظر لمجنون .. ثم قال :

— بالطبع لا ..

إذن فعلينا نحن أن نتحمل هم نجاحهم فى تحدى الحكومة ..

بالطبع لم أصرح بهذا خاطر ، فقط قلت :

— لا فارق إذن ..

\*\*\*

فى اليوم التالى مباشرة اقتحم ززانتى فجأة بعد الغداء مجموعة من الرجال الضخام فى ملابس التعقيم .. اقتادونى بعنف وأنا أصرخ وأحاول الخلاص منهم عبر أروقة المبنى .. حاولت جاهداً ولكنهم كانوا أكثر منى عدداً وقوة ، حتى إنهم حملونى حملاً وانطلقوا بى حتى تلك الحجرة التى بدت لى كحجرة عمليات .. صرخت كما لم أصرخ من قبل .. وعندما بح صوتى فكرت أن أطلب مقابلة ذلك الشاب ذو الحلة السوداء ، ولكن تذكرت أننى لا أعرف له اسماً أو صفه ..

ألقو بى على طاولة العمليات وقيدونى إليها بشرائط مطاطية قوية .. وأطل على وجه نحيل بعوينات صغيرة يتلوعلىً بلهجة بيروقراطية جافة من ورقة فى يده :

— لقد اثبتت الفحوصات أن الحالة رقم 187 لعام 2015 غير قابلة لإجراء عملية التعقيم بالموجات فوق الصوتية ، لذلك تقرر بعد الحصول على موافقة أكثر من ثلثى أعضاء مجلس إدارة المعهد القومى لدراسات البيولوجيا الاجتماعية .. أن تجرى لها عملية إزالة شاملة لكامل الجهاز التناسلى ، وتعويضها مادياً عن الأضرار الجانبية المتمثلة فى فقدان القدرة الجنسية ..

عندما انتهى كنت قد دخلت فى مرحلة هستيرية من الصراخ والسباب والوعويل المنطلق بلا نهاية ..

حتى أطل على وجه آخر قال صاحبه بهدوء :

— بسبب حالتك العصبية تلك كنت أحب أن أخدرك كلياً ، ولكن هذا ليس مسموحاً لى .. لذا فسيتبقى متيقظاً أثناء العملية ، ولكن أعدك ألا تشعر بشيء ..

هنا توقفت عن الصراخ بعد أن أدركت أنه لا جدوى من ورائه .. ولكن لم أقدر على منع اهتمام سيل الدموع وأنا أشعر بهم يكشفون عن عورتى ، ثم أشعر بتلك الوخزة التى أعقبها بشكل أسرع مما توقعت إحساس بالتنميل فى منطقة أسفل البطن .. بعدها أطل على وجه الرجل الذى اعتقد أنه طبيب التخدير ، قائلاً :

— على فكرة ، أنا الآن أعصر خصيتيك بيدي .. هل تشعر بهذا ؟

لم أزد عن صرخة متلذذة ففزت من شفتى مع المزيد من اندفاع الدموع .. مشاعر المهانة عصفت بقلبي حتى أكثر من مشاعر الخوف أو الفرع ..

هنا أطل على وجه الشاب ذو الحلة السوداء .. وكطوق نجاة قال لى :

— هل أنت مستعد للكلام الآن ؟

مستعد !!! أنا مستعد لأن أشئى بأسمى ذاتها الآن ..

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 229

وبلهجة عجزت أنا شخصياً عن متابعة معالمها من قرط سرعتها ، أخبرته بكل التفاصيل .. اسم الطبيب يوسف الجيزاوى .. عنوان عيادته .. عنوان المقر السرى للمشروع .. فقابلتنى بابتسامة رضا وقال :

— هذا أول تصرف حكيم منك .. اسمح لى أولاً أن أتأكد من صحة هذه المعلومات قبل أن نقرر العقو عنك ..

وهكذا قضيت اليومين التاليين بالكامل مقيداً بهذا الشكل فى طاولة العمليات .. لا أريد أن أتحدث كثيراً عن تلك التجربة التى قتلت بداخلى أى بقية لإسانية فقدتها منذ زمن .. فماذا تتوقع من شخص يدس الطعام فى فمه كالطيور المنزلية .. ويقضى حاجته فى ملابسه وتبقى قذارته عليه ليومين .. هنا أدركت أننى انتهيت .. حتى لو خرجت من هنا سالمًا ، فما عادت بى رغبة للحياة بعد الآن ..

وبعد اليومين دخل على رجلين فكا وثاقى ، وساعدانى على الجلوس منتصباً فوق الطاولة وقد تيبست مفاصلى ، وصارت عضلات جسدى حجراً أصمًا .. تبعهما الشاب ذو الحلة السوداء ، الذى صاح مشمنزاً ما أن استقر أمامى :

— ما هذه الرائحة ؟

— على فكرة .. لم نستطع أن ننفذ اتفاقنا .. فقد أثبت تحليل حمضك النووي أن الجينات المسببة للفقر متوافرة عندك بكثرة .. ونحن نبغى قبل كل شيء أن نحافظ على نقاء مجتمعنا الجديد .. ثم ابتسم ساخرًا وهو يتابع :

— شيء آخر .. عندما تعود إلى بيتك .. سنكتشف أن كل جيرائك ، وكل ساكني حيك ، بل وكل مواطني الفئة ( ج ) ، يعلمون أنك أنت من وشيت بسرهم الصغير .. ثم تحولت ابتسامته إلى ضحكة جزلة ، تردد صداها طويلاً بعد أن غادر الحجرة ..

أحمد حلمي إبراهيم الملواتي

المركز الأول

\*\*\*

بالطبع لم أرد ، فقد كنت شبه ميت .. فقط أتصت له وهو يقول :

— كل شيء على ما يرام .. لقد سقط طبيبك هذا ، وتم تدمير بنك الحيوانات المنوية الذي أنشأه ، ومبدئيًا سقط معه العديدون ، أحدهم هو ابن خالتك ، اسمه سامي عبدالله .. وقريبًا سيسقط كل من له علاقة بهذا الأمر ..

توقف قليلاً ليشعل سيجارة ، أخذ منها نفسًا ثم أشعل منها سيجارة أخرى دسها في فمي ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته في وجهي :

— بالمناسبة .. لقد صدر رسميًا صباح اليوم قانون يقضى بإعدام كل من يضبط متهربًا من التعقيم اليوجيني .. ولن تصدق لوقلت لك أن الآلاف يقفون الآن على باب المعهد مستسلمين لكي يحصلوا على إعفاء من العقوبة كما نص القانون الجديد ..

أخذ نفسًا آخر ثم أضاف :

— أما أنت فستكون مكافأته هي أن تعفى من هذا القانون .. فهنيئًا لك .. ستجرى التعقيم الآن ثم تغادر إلى بيتك .. فلا تنسنا .. مرة أخرى نفت دخان سيجارته في وجهي ثم استدار مغادرًا .. وعند الباب التفت إلي مرة أخرى متذكرًا أمرًا ما ..



## وثنية .. رواية قصيرة ..

( 1 )

كان فمى يلوك الكلام كغسالة أوتوماتيكية ، عندما تنبهت لما أقول : « ألن تبارك لى يا عبود؟! لقد وجدت عملاً .. أخيراً! .. » كنت أقولها بأكثر اللهجات سعادة ، على الرغم من أن جزءاً من نفسى مازال محبطاً مبتئساً .

وهكذا قال لى عبد الرحمن - جارى - فى فرح :

« مبروك! .. عقبى لنا! .. » ، ثم أضاف بشغف :

« أين؟! .. » ، فرددت فوراً :

« متجر لبيع أجهزة الكمبيوتر .. قسم الصيانة .. » ، ثم تطلعت إلى المكان . كنا مازلنا أمام السلم الضيق بدرجاته نصف السلمية ، وجدرائه المتقشرة الشاحبة ، ورائحته التى تجمع بين العطن و بين رائحة ( طبيخ ) غامضة .

تحركنا - أنا وهو - هابطين درجات السلم من السطح - حيث أسكن - إلى الشارع ، بينما نسمع صوت ديك .

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 233

إن الصباح يقترن دائماً بصوت هذا الديك الأسطورى . صوته الحى المتفائل يخترق أذنيك إلى وجدانك ، فتشعر أن الدنيا لازالت بخير رغم كل شيء . إنه فطرة الصباح وبكارتته .

قال عبد الرحمن - فى مرارة - من خلفى ونحن ننزل :

« المؤهل يا صديقى .. المؤهل! .. فنحن فى بلد لا يعترف إلا بالأطباء .. الأطباء وحدهم هم المحترمون الذى يستحقون الحياة! .. أنا مثلاً .. عندما قررت أن أدخل القسم الأدبى فى الثانوية العامة كاد والدى يُجن .. حتى إنه قاطعنى فترة طويلة .. إلى غلبة الاعتياد .. ولكننى فعلاً لا أحب العلوم .. طوال حياتى وأنا أكرهها .. وما أنذا فى السنة النهائية من كلية الآداب .. ولا زلت أيضاً لا أعلم ماذا سأفعل .. وأى مستقبل ينتظرنى .. هذا إن كان هناك مستقبل أساساً! .. »

الطابق الثانى ..

- « حتى الأطباء الخريجون لا مستقبل لهم هنا .. إذا لم يكن لديك ما يُمكنك من فتح عيادة .. فأنت ميت! .. »

وزفرت فى مرارة من هذا الموضوع ، فقلب جارى دفقة الحوار قائلاً :

« أزال عمك مقاطعك؟! .. »

هاهو الشارع أمامي ، تجرى فيه أمواج البشر السمراء في كل الاتجاهات . ولكنها تحمل نفس الهموم ، ونفس الأعباء . إنها الحياة بكل اختصار .

ملأت صدرى بهواء الصباح ، وأنفى تحاول إقصاء رائحة طفح المجارى المختلطة برائحة فول عم ( شحتة ) ، ثم رفعت بنطالى حتى لا تتسخ أطرافه وأنا أقفز على جزر الصخر ، وعبر مُحيطات الطفح السوداء .

تنفست الصعداء ، وكأننى عبرت للتو أكثر مُحيطات الأرض اتساعاً . ولم يطل الوقت حتى كنت أسير فى شوارع القاهرة إلى عملى .. أو الذى أحاول أن أقتع نفسى بأنه عملى !

شارع .. فشارع .. فشارع .. فشارع ..

وميادين معقودة ببعضها كالتروس فى محرك ضخم .. تروس ؟ متى سمعت هذه الكلمة ؟ بل متى شاهدها ؟

سيارات .. وميكروباصات .. زحام .. ودخان ..

اللجنة عليك يا ( عبود ) ! لماذا ذكرتنى بتلك الذكريات البعيدة !

خمس سنوات من الوحدة أعيشها ، بل ( أستعيشها ) بالمبلغ الضئيل الذى تركه لى والدى الراحل . بتحويشة العمر بعدما نسفت عملية أمى معظمها .

الطابق الأول ..

وتد من الثلج يخترق صدرى ، وأنا أرد بأقرب اللهجات إلى البرود :

« لم ولن أطلبه ثانية .. كرامتى لا تسمح لى بأن أهينها أكثر من هذا .. يكفى المرة الأخيرة التى طردنى فيها عندما ذهبت إليه لأطلب مساعدته .. »

ومسحت وجهى بأصابع مهزوزة بعض الشيء ، وأنا أقول :  
« كما قلت لك من قبل .. كان أبى كثير الخلافات مع عمى .. »

ثم أضفت بحزن : « رحمه الله هو وأمى .. »

قطار مُسرِع فى اتجاه آخر .. خطأ فى التحويلة .. ثم .. يسط ..

مدخل العمارة ..

وهواء الصباح يضرب وجهى ، فيثير معه مستنقع الحياة فى وجدانى . قطعت الحوار مع جارى قانلاً :

« حسناً يا عبود .. فلأسرع حتى لا أتأخر عن عملى .. أى خدمة ؟! .. »

— « لا .. شكراً .. سلام .. »

كان أبى موظفاً له بعض الشأن فى مصلحة الضرائب ، بينما أمى - مثل أى أم فى ذلك الوقت - ربة بيت بدرجة امتياز . وابن وحيد يتوسط والديه . ابن يكبر ويتزعرع ، ومعه أحلامه التى تتغير وتتضح مع كل سنة تضاف إلى عمره ، حتى صار لها كيان مستقل يمد له العون على العيش بين أنياب عالم الواقع التى لا ترحم .

أحلام الطفولة ؛ قلاع اللبن فى السماء .. والملاكين - أبى وأمى - يحرسانى ضد كل سوء ..

وأحلام المراهقة ؛ وفتاة أحلامى جالسة جوارى .. بينما يبتسم أبى وأمى بحنان غامر خلفنا .. فى صورة زفاف ..

ثم الحوادث ، وانسكاب حبر الواقع على صفحات الأحلام البيضاء . خفوت التاريخ ، تغير الواقع ، وتشوه المستقبل . حدث ذلك وأنا فى المرحلة الأولى من الثانوية العامة .

لماذا لم أعتمد على نفسى منذ صغرى ؟ لماذا لم يعلماتى هذا ؟ على الأقل ما كنت لأكون بهذا الضعف .. ولكن ما لم يعلماتى إياه علمته لى الحياة .

تكرم الجيران بأمر الجنائز ، وعرض عم ( إبراهيم ) أن أحيا معه ووسط أولاده . بينما نبذنى عمى خاصة مع ازدياد الخلافات

بينه وبين أبى فى الفترة الأخيرة . ولكننى كنت أكثر جنوناً من أن أفكر وأختار . لذا رفضت كل نظرات العطف بعناد صلد ، وأصررت على المكوث فى منزلنا إلى أن أستعيد عقلى .

جلست فى الشقة وحيداً ، وأنا أمتنع نفسى من التفكير فى الانتحار بأقصى ما أستطيع . كنت أرتجف بمجرد تذكر أنتى وحيد فى هذا العالم . الهواء صار ثقيلًا كأنه الماء ، الدقيقة صارت زمنًا كاملاً .

ومع تراكم الأيام ، بدأ عقلى يستعيد قدرته على التفكير ، ولكن بماذا أفكر ؟ وماذا أفعل !؟

أخذت أحاول ترتيب الأسئلة فى ذهنى :

- ماذا ستفعل ؟

- لابد أن أجتاز الثانوية العامة بأى ثمن .. إنها الفرصة الوحيدة التى على التشبث بها .

- وماذا عن العيش ؟ والمصاريف ؟

- لم يعد هناك بُد من استخدام تحويشة العمر التى طالما كان أبى يتحدث عنها .

- وهل ستكفى المأكل والمشرب وإيجار الشقة والتعليم و...؟



كاد عقلي ينهار مرّة أخرى مع كل هذه الواجبات المترامية على إزاء نفسي ، ولكنني تماسكت واستمررت :

— هل .. هل ستطلب المساعدة من جيرائك .. إن عم إبراهيم يعتبرك كوله .. وأنت تعلم مدى صداقته بوالدك .. و ...

— لا .. يكفي اعتمادًا على الغير .. أريد أن أجرب ملمس الحياة بيدي لا بيد الآخرين .. سأحاول .. وسوف أتجح .. سوف أتجح !  
سوف ..

استيقظ عقلي مرة أخرى ، عندما ضربت الشمس عيني .

قطعت ما تبقى من الطريق بالتفكير في بعض الأعطاب المُحيرة التي واجهتني في الصيانة البارحة . في بعض الأحيان يتصرف الكمبيوتر كالإنسان ؛ يمرض ويثور دون سبب واضح ، وكأنما فقدت دوائره الإلكترونية الرغبة في تدوير الإلكترونات مرّة أخرى . عندها تحاول حل مشكلته بكل الطرق المنطقية ، ولكنها — لدهشتك — لا تنجح .

تذكرت ذات مرّة عندما قمت بتوصيل قرصين صليبين معًا في نفس الجهاز ، وقتها كنتُ أجن . فالقرصين لا يعملان معًا على الرغم من ضبط إعدادات ( الماستر والسليف ) الخاصة بهما . جريت أن أعكس الإعدادات بين القرص الأول والقرص الثاني ، ولكنهما أيضًا لم يعملًا !

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

239 الأعبأ أنهمأ كآنآ يعملآن من قبل بنفس الإعدآدآت !.. ولآ تفهم لذلك سببآ وآنضآ .

كيميآ عجيبة تلك التي تجمع مكونات الكمبيوتر ببعضها ، كيميآ لها طابع بشري .. ولم لآ ؟.. أليست من صنع البشر ؟!..

فهناك مآ يسمى بتوافق الأجهزة ( Compatibility ) وهناك مآ يسمى تعارضآ ( Conflict ) . تمامًا كالبشر . ضع مجموعة من البشر المتوافقين فكريآ ونفسيآ في مكان واحد ، تحصل منهم على أداء مذهل ، وروح رائعة . أما إذا جمعت بشرآ متعارضين مع بعضهما ، لن تحصل على شيء . الأفكار تصارع بعضها في سماء المكان ، فتشحن الجو بسموم الغضب البدائي ، ولن يلبث أن ينتهي الأمر بقتال .

هذا أيضًا لآ يمنع بعض الحالات التي يحدث فيها العكس . وهي لدهشتك أيضًا — تحدث أحيانآ في حالة أجهزة الكمبيوتر!

الآن ، أفق أمام متجر الحواسيب الذي أعمل به .

« دلنآ تكنولوجيا جيز .. »

كنت سعيدآ إلى حد مآ بوظيفتي المركبة في ذلك المتجر . نعم كنتُ في الأساس مهندس صيانة ، ولكن الإنستاد ( محمد )

أوكلتى بتنظيف المتجر يوميًا ، هذا يعنى زيادة — احتاجها بشدة —  
فى مرتبى .

لذا أصل إلى المتجر فى التاسعة صباحًا ، آخذ المفاتيح من  
( سيد ) بواب العمارة التى يسكن بها أستاذ ( محمد ) ، والتى  
يوجد بها متجره .

أفتح المتجر ، فيرحب بى صرير الجراج .

أفتح رتاج الباب الزجاجى ، وأدخل ، فترحب بى راحة  
الإلكترونيات المكتومة .

ويبدأ الروتين اليومى فى التنظيف ، حتى يصل ( إسلام )  
مسنول قسم المبيعات ، بعدها أضع إلى قسم الصيانة . الساعة  
الآن : العاشرة صباحًا .

## ( 2 )

أن تجلس كل هذا الوقت أمام شاشات الكمبيوتر ، وحولك  
عشرات الأجهزة بجوانبها المبقورة ، والأسلاك تبرز منها  
كأمعاء — لهو أمر قاسٍ حقًا .

لا يؤنس وحدتك سوى زميلك ( محمد ) الذى يعانى نفس  
الظروف تقريبًا .

— عليك بهذا الجهاز يا ( حسن ) .

...

— وندوز يا ( محمد ) .

...

— رأيت الولد العبيط ؟ لقد عبث بأحد أسلاك البوردة لذا فهى  
لم تكن تعمل .

...

— بوردة لهذا الجهاز يا ( محمد ) .

...

— خذ البلاور .. ونظف هذا الجهاز يا ( حسن ) .

...

— نزل ألعاب وأفلام لجهاز ابن الدكتور ( سمير ) .

هكذا تتشابه الأيام أمامك ، وتنسخ وجه بعضها من بعض .  
نفس المشاكل .. نفس الثورات من أن ينهشك الجوع والفقر ..  
نفس الأعطال .. يا ألهي !.. حتى أعطال الكمبيوتر لم تنج من  
زحف نمطية الحياة .

أيام تمر عليك ولا تشعر ، أو تشعر ولكنك تتجاهل أنك تشعر .  
كأن تقف وسط البحر بمحاذاة نخلة على الشاطئ . أشرد بعض  
الوقت ، ثم انظر إلى موقعك من النخلة . لقد صارت بعيدة الآن .  
أنت تقف : نعم .. ولكن تيار البحر يتحرك بلا توقف ، ويحرك  
معه أيضاً .

لا تتوقف للنظر إلى النخلة ، لقد رحلت بعيداً عنها بلا رجعة ،  
أو رحلت بعيداً عنك بلا رجعة .. لا فارق . فهنا تصير النسبية  
احتمالاً .. ولكن الواقع واحد : تيار الزمن يتحرك بلا توقف ،  
حاملاً الحياة بكل ما ينتمي لها ، شئت أم أبيت .

\*\*\*

بعد تناول شطيرتي فول وطعمية ، جلست أمام أحد الأجهزة ؛  
لأقوم بتحميل وندوز عليها .

سخرت من نفسي :

« بعد كل هذه الدروس فى البرمجة والذى منه .. ها أنت  
جالس تحمل الوندوز وتنزل الألعاب !.. »

تغير طعم الطعمية فى فمى ، ليصير مرًا من هذه الخاطرة  
السوداء .

كان ( محمد ) زميلى قد نزل ؛ ليحضر قرصًا صلبًا جديدًا من  
قسم المبيعات ؛ حتى نقوم بتركيبه فى جهاز آخر .

تطلعت بذهن شارد إلى شاشة تحميل الوندوز الزرقاء ،  
وعبثت أصابعى وحدها على لوحة الكتابة ، وأنا أجتاز إجراءات  
تنزيلها بسرعة المحترف .

وبدأ التحميل ، فتركته ، واتجهت إلى جهاز آخر فى ركن  
الحجرة .

فجأة ، قاطعنى صوت صفارة — أصدرها الجهاز الذى كنت  
أعمل عليه ، فعدت إليه لأرى ما المشكلة ..

أى منطق هذا ، الذى يجعل الجهاز يكتب ما يكتبه هذا ؟!

كانت الشاشة المصطبغة باللون الأزرق الخاص بتحميل  
الوندوز تعرض ما يلى بكتابة حمراء :  
www.dvd4arab.com





« ربما أنت مُرهق فقط .. فما هو الجهاز سليم .. وتنصيب الوندوز على وشك الانتهاء بنجاح .. »

سخرت منه فى نفسى . فهو ليس بخبير ليقتراح علىّ الحلول . إنما هو مُجرد مُدرّس كمبيوتر فى إحدى المدارس تلقى كورس فى الهاردوير والصيانة .. وها هو يحدثنى كأننى مجنون ما . ولكن ماذا عمّا حدث؟! كان هذا الأمر – على الرغم من سخريتى منه – يحيرنى . كيف؟!

ولم أثبت أن نسيت كل هذا ، وأنا ادمج فى أعطاب الأجهزة الأخرى ، التى تراكمت فى غرفة الصيانة ، وكنا فى مصنع خردة .

\* \* \*

انتهى يوم جديد من أيامى . أفنت الشمس ، وغطى الليل أركان الدنيا ، وأركانى !

هكذا سعدت سلمّ البناية فى صعوبة ، أرفع قدمًا بثقل ، ثم أرفع الأخرى بثقل أعظم . الرؤية بهتت واسودت ألوانها أمامى . أرى أشباح أضواء شاشات الكمبيوتر فى كل مكان .. السلم .. الحائط .. على يدّ !

أخيرًا ، وصلت إلى الغرفة الصغيرة التى استأجرتها هنا ، بعدما تركت شقتنا منذ سنة ، وبعث أثاث منزلنا ، فقط ليتيح لى هذا نفسًا جديدًا أستنشقه فى هذا العالم .

روايات مصرية للجبب ... ( كوكتيل 2000 )

247

أنا ضد العالم .

!!!!!!!!!!!!!!

فتحت الباب الخشبي الذى تشرب الرطوبة حتى صار كقطعة البسكويت . منذ متى لم أتذوق هذا البسكويت؟! لم أعد أذكر . لا يوجد ترف تغيير الملابس هنا . سوف أسقط على السرير

كقتيل ، و لن أشعر بنفسى حتى اليوم التالى .

أن يذوب كيائك المادى فى كيان النوم الهلامى ، فهو أمر يبعث الراحة . هنا تتلاشى الفروق بين الأشياء الصلبة والأشياء التى تُدرك أنها صلبة ، بين الواقع وما تُدرك أنه الواقع!

كان النوم صامتًا هذه الليلة . لم يحدثنى كثيرًا ، وأنا أغفو بين أحضانه السوداء الدافئة ..

حتى تلك اللحظة ..

مجازًا سأقول أن هذه لحظة .

استيقظت على صوت دق الباب . فتحته ، فواجهنى العدم ، مُحملًا بنسمات الصيف الهادئة ، لا أحد هناك .. وهذا ليس وقتًا جيدًا للمزاح .. و ...

تحت قدمي ، كانت هناك ورقة مطوية ، أشعلت نفسي بلذع الفضول . فعلى الرغم من معرفتي بأنني وحيد في هذا العالم تقريبًا ، إلا أنني كنت في هذه اللحظة مثل أي إنسان من لحم ودم . كنت مفتونًا بالغيب وما يحيويه من أحداث غامضة .

أمسكت الورقة المطوية بأصابع مهزوزة ، وأغلقت الباب ، ثم جلست على السرير ، وأنا أفتحها ، وأقروها ..

كانت نصف ورقة فلوسكاب ، مكتوب عليها بخط نضيب للغاية :

2311111111111101011111111101111111111  
 111111110010111111111111111111111111011111  
 111111111111111111111111011111111101111111  
 1111111111111111110011111111111111111100101  
 1111111111111111111111110111110111111111111  
 1111111111111111110111111111110111111111111  
 11111111111111001011111111111111111111111  
 0111111111110101111111111111111111110111111  
 111111111111111111111111007001111111111111111  
 1111111100

نفس الأرقام مرّة أخرى!!

تُرى ما سر هذه الأرقام؟! هل هي شفرة ما؟! شفرة؟! ولماذا أنا بالذات؟! ما الذي يميزني؟! بل من يعرفني أساسًا لكي يرسل إلي رسالة؟!  
 تجمدت مُفكرًا .. طق ..

طق .. طق!

استيقظت على طرق الباب ، وعقلي يشتعل بالتفكير ، وكأنني لم أتم لحظة .. هل كان حلمًا هذا أم واقعًا؟!

نفضت تلك الأفكار ، وأنا أفتح الباب ، فوجدت ( عبود ) - جاري - يقول بمرح :  
 « حسبك ميتًا ..! »

« ولكن ما معنى هذا؟! ..! » ، قالها ( عبود ) رافعًا حاجبيه الكثيفين بعدما حكيت له ما حدث ، ثم أضاف مُسائلًا : ..  
 « أين الورقة تلك؟! فانا أحب الألغاز هذه كما تعلم .. »  
 قلت له بغياء :

« هذه ليست كلمات مُتقاطعة! ..! » ، ثم وقفت أبحث عن الورقة .. تحت السرير؟ خلف الباب؟ في جيبتي؟ لا يوجد شيء ..

قلت له مُعجلًا :



« هل تعلم ؟ يبدو أنه كان حُلماً بالفعل !.. لا يوجد أثر لهذه الورقة !.. ربما هو إرهاب من العمل .. لاحظ أنني رأيت هذه الرسالة المزعومة على شاشة الكمبيوتر فى الصيانة .. » ، ثم أضفت بتهمك :

« العقل الباطن والأعيبه !.. » ، فقال لى وهو ينهض :

« يبدو هذا .. هيا حتى لا تتأخر على عمك .. »

\*\*\*

مر هذا اليوم بلا مشاكل تُذكر ، فقد اكتسبت خبرة عظيمة أهلنتى لمعرفة أعطاب الأجهزة بمجرد تشغيلها ، ساعدنى على هذا الاطلاع على مواقع الهاردوير المتخصصة فى أوقات فراغى بالصيانة .

فى نهاية اليوم ، أرحت جسدى على السرير الصغير بينما أفكر . لقد ساعدنى خلاء هذا اليوم بعض الشيء فى التفكير بموضوع الرسالة هذه . جزء منى يتساءل :

— لماذا شغلك أمرها إلى هذا الحد ؟!

أجابه جزء آخر :

— لا أعلم .. فلقد كنتُ طوال عمري أبحث فى ثنايا الواقع عن الأحلام .. طفل وحيد .. تربية سليمة .. حياة (مستورة) مستقرة

251 روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

إلى حد كبير .. كل هذا شحذ إمكانياتى الروحية على حساب تعاملاتى فى عالم الواقع .. عندما كنتُ فى المرحلة الإعدادية كنتُ أتمنى أن أصير أديباً .. جزء منى كان يتمتع بتلك الشفافية المدهشة فى التعامل مع المواقف والمفارقات .. كنتُ طفلاً واسع الخيال أنك عقله التعليم الخاطى ثم أجهزت عليه قسوة الحياة .

— إذن ، هل تعتقد أنك تبحث عن اللانطق فى عالم المنطق ؟!

— هذا أقرب احتمال إلى الصواب .

— ربما كنتُ على حق .. ربما هى انتكاسة أخيرة لأحلام الطفولة .. ولكن إذا كانت كذلك .. فلما لا تمنحها فرصة للحياة سويعات قليلة فى عالمك .. ربما بعدها ستخمد إلى الأبد .. أمنحها أمانيها الأخيرة ..

— ممم .. دعنا نتذكر إذن .. ماذا حملته إلينا الرسالة ؟ دعنا نحاول تذكر محتوياتها ..

— هذا جيد ..

— إن الرسالة كلها كانت مؤلفة من رقمين هما صفر وواحد .. وكأنها شفرة ثنائية ( Binary ) .. ولكننى أذكر أن هناك جزءاً كان غير منطقي فيها .. نعم .. كان هناك رقمين ليسا صفر وواحد .. بل ثلاثة أرقام .. تذكر معى ..



هل هي أبجدية عربية أم إنجليزية؟ فلنبحث في العربية أولاً ..  
دعنا نرقم حروف العربية ..

أ1 ب2 ت3 ث4 ج5 ح6 خ7 د8 ذ9 ر10 ز11 س12  
ش13

ص14 ض15 ط16 ظ17 ع18 غ19 ف20 ق21 ك22  
ل23 م24 ن25 هـ26

و27 ي28

الآن ، فلنقم باستبدال التكرارات الرقمية للـ ( 1 ) .

ش .. 0 .. أ .. 0 .. ر .. 0 .. ع .. 00 .. أ .. 0 .. ل .. 0 ..  
ه .. 0 .. ر .. 0 .. م .. 00 .. أ .. 0 .. ل .. 0 .. ج .. 0 ..  
ي .. 0 .. ز .. 0 .. ة .. 00 .. أ .. 0 .. ل .. 0 .. س .. 0 ..  
0 .. أ .. 0 .. ع .. 0 .. ة .. 00 .. م .. 0 ..

ألمح وسط هذا الحل كلمات مفهومة .. لنر ..

« شارع الهرم .. الجيزة ..؟ » هذا جيد ..! « الساعة م .. »

إذن فالأصفار لم تكن سوى فواصل .. صفر واحد يعنى فاصل  
بين التكرار الرقمي لحرف والذي يليه حتى لا يفسد عملية ترميز  
التكرار . بينما صفيرين يعنى فاصل بين رمز حرف والحرف الذي  
يليه فى الكلمة التالية .

رائع !.. شعرت بنشوة غريبة ، مع رضا عن النفس ، وكأننى  
حللت أعقد الشفرات تفسيراً !

إذن ، فالأرقام الشاذة كتبت هكذا لكى تعنى ذاتها . أى أن  
تفسير الشفرة كاملاً هو :

« 23 شارع الهرم ، الجيزة .. الساعة 7 م .. »

ولكن أين تاريخ اليوم من كل هذا ؟ هل يعنى هذا أنه كان  
اليوم ؟!.. هل فاتنى هذا الموعد ؟!..

لحظة .. لابد أن أراجع الشفرة كاملةً .. الشفرة لا يمكن أن  
تكون خاطئة على هذا النحو ..

الشفرة تحوى رقمين فقط .. هل لهما دور ؟.. فلنجرب : 23 و 7 .  
يوم 23 من شهر 7 ؟! أى القذ ؟!

\*\*\*

لا أدري كيف مرّ اليوم بهذه السرعة ، وكأننى مُشاهد  
للأحداث ، وليس مشاركاً فيها . لقد شعرت كأننى فى وضع  
القيادة الآلية ، أشق دوامات اليوم بتلقائية وشرود . ويشهد علىّ  
( محمد ) الذى سألتنى فى نهاية اليوم :

« مابالك ؟ تبدو غريباً اليوم ؟ .. »



أذكر أنني أجبته في شرود :

« لا شيء .. فقط مرهق من أرق أمس .. »

تذكرت هذا الحديث القصير في صعوبة ، وأنا أشق طريقى إلى العنوان المكتوب في الرسالة . تذكرت أيضا استذنانى من أستاذ محمد ..

« لى مشوار مهم جدًا ... »

— « لا بأس يا حسن ... » ، هكذا قال متسامحًا معي كعادته .

كانت الساعة السادسة عندما أخذت ميكروباص الهرم ، وأنا مازلت على وجومى . تطلعت في الناس المحشورة في الميكروباص الذى بدا كـ ( ساندويتش ) منتفخ .

طفل يبكي فتحضنه أمه البدينة محاولةً تهدأته .. شابان جامعيان يتناقشان في هدف ماتش الأهل هل كان صحيحًا أم لا .. موظف مُسن نائم .. سائق الميكروباص يقود بجنون .. صوت الكاسيت المرتفع بأغنية شعبية مزحمة الكلام ومشوشة الموسيقى .

هذه هي مفردات عالم الميكروباص . توقع أى شيء .. توقع الأسوأ دائمًا .

حاول خيالى المُختنق من العالم المُحيط بى ، أن يطوف خارجًا من جسدى إلى هناك .. إلى ذلك المكان .

257 روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

من يُريدنى فى هذا المكان ؟ وما هذا المكان أساسًا !؟

لم أشعر بنفسى إلا عند دخولنا الهرم . إن شارع الهرم يحمل دائمًا إحياءات مشبوهة للإخوة العرب .

وهكذا وصلت أخيرًا إلى وجهتى .

\* \* \*

20 .. 21 .. 22 .. !؟

23 ! أخيرًا وصلت إلى المكان ، بينما يحف بسمعى نسمات الصيف العابثة .

كانت فيلا صغيرة . كيف أصف لك فيلا صغيرة ؟

كانت من طابق واحد ، مساحتها التقريبية حوالى مائة متر فقط ، تحيط بها أشجار كثيفة مرتفعة ، وكان لها ممر فى الحديقة التى لا يتجاوز عرضه كعرض أى ممر ضيق .

بالفعل فيلا عجيبة للغاية . حيث تقع بين فيلتين ضخمتين ، وكانها ( محشورة ) بينهما بطريقة مثيرة للضحك والتساؤل .

عبرت الممر القصير جدًا ، وأنا مازلت مشدودًا بكم الأخطاء الهندسية بتصميم هذه الفيلا . لست مهندسًا معماريًا ، ولكن

الأمر لا يحتاج إلى خبرة أو ذوق من أي نوع حتى يدرك الناظر مدى فشل تصميمها !

عموماً هذا ليس من شأني . ممدت يدي باحثاً عن الجرس ، وأنا أنتظر نحو الباب ..

رؤية الباب صدمتني تماماً . ما هذا !؟

الباب . كان الباب دائرياً ، يُشبه إلى حد كبير باب خزائن البنوك الضخمة . في مكان المقبض يوجد بكرة لإدخال الأرقام السرية ، وفي منتصف الباب توجد ذراع دائرية تدور حول محورها الأفقى لتفتح القفل .

أي تعقيد هذا ؟ بل آية ألعاب شيطانية هذه !؟

لقد أدركت الآن كم كنت مجنوناً عندما جئت إلى هنا!

كنتُ بالفعل على وشك الذهاب ، تاركاً كل هذا الجنون خلفي ، متناسياً إياه تماماً ، وكأنه لم يكن . ولكن لسبب ما ، ابتسمت بغیظ ، وأنا أرمق الباب قائلاً بصوت مسموع :

« تريد أن تلعب معي .. همم ؟ حسناً ! .. »

لسبب ما استفزنتي رؤية الباب المعدني العجيب موصداً بهذا الشكل المكتوم .

لم أجد لدى أبلغ من استخدام نفس مفاتيح الشفرة القديمة ، تلك المكونة من الأحاد والأصفار مع الأرقام الثلاثة الشاذة .

أخرجت ورقة الشفرة من جيبتي ، وأخذت أدخل الأرقام عبر البكرة ، فافتح شريط رفيع طويل أعلاها . وكلما أدخلت رقماً ، كتبه في خانته . ذكرني هذا بطريقة فتح الحقيبة السامسوناي في الأفلام .

كنتُ أشعر في قرار نفسي أن هذا هو الرقم المطلوب .

وعندما انتهيت ، ظل الباب المعدني على صمته للحظات قصار ، تصورت خلالها أنه لن يُفتح . ولكنه في اللحظة التالية ، انفتح في بساطة مدهشة بصوت هايدروليكي غريب .

ومع انفتاحه ، توطد ذلك الشعور بنفسى أكثر .

\*\*\*

أنا المقصود — استكمالاً لغرابة الفيلا الغامضة ، انفتح الباب على صالة فسيحة للغاية ، بدت كأنها تشغل مساحة الفيلا كلها — بكل هذا .

لا بل هي كذلك بالفعل !

الصالة كانت عارية تماماً من أي أثاث

الأدهى أنه لم يكن هنالك مخلوق واحد على الرغم من نظافة المكان ، وإضاعته الجيدة ، وأرضيته من البورسلين الأسود اللامع .

تحركت مشدوهاً في الصالة ، وقدماً صورتى على البورسلين ملتصقةً بقدمي . أخذت أراقب الجدران السوداء ببلاهة ، حتى توقفت في منتصف الصالة .

نظرت إلى الساعة في يدي .. الساعة إلا دقيقة . لا بأس سأنتظر هذه الدقيقة ، بعدها سأفرّ من منطقة الجنون هذه .. سأفر إلى أبعد ما أستطيع .

كدت أجن من إصراري الغريب على هذا اللقاء ، على الرغم من معرفتي المسبقة بسببه ، إلا أن الأمر بدا لي في هذا الوقت - والدقيقة لا تمر ! - أكثر جنوناً عن ذي قبل .

إن من يلبي نداء رسالة شفرية كتبها مجنون ما ، لهو أكثر جنوناً من كاتبها !

الساعة الآن : تمام الساعة .. إذن حان الو ..

« مرحباً ... »

\*\*\*

نظرت خلفي ، فوجدت صاحب الصوت . كان شاباً في سني تقريباً ، له ملامح غير مميزة ، لا يُمكن تذكرها بسهولة .. من أين أتى هذا الرجل !؟

« كيف حالك .. يا ( حسن ) ..؟ » ، قالها الشاب بأريحية لا أجد ما يُبررها . فجاء ردى جافاً بعض الشيء :

« من أنت !؟ .. »

ابتسم في هدوء ، وقال :

« لا يهم اسمي .. ولكنك ستعلم حكايتي .. ولم استدعيك .. »

تخيلت ملامحي وأنا أمامه في هذه اللحظة ، بالتأكيد أبدو الآن كطفل صغير يحاول هذا الرجل إرضاءه .

ولكنني أضفت :

« الآن ... »

— « الآن .. » ، كرر كلمتي مؤكداً ، وحرك يده اليمنى ، ف ...

فسقط مقعدان من قلب العدم خلفنا مباشرة !

حدقت في الكرسيين ، وأنا أحاول تذكر كيف فعلها . ولكن عيناى أصرتا : هذان الكرسيان سقطا من العدم



## ( 3 )

قال لى بلهجة غريبة ، وهو يُقرب وجهه منى :

« هذا .. هذا العالم الذى تعيش فيه .. ليس حقيقياً !! .. »

فهمتكَ الآن . ورددتُ عليه بسخرية شديدة :

« لحظة !! .. أنتِ إذن من ذلك النوع ؟! .. لمْ لمْ تقل منذ البداية

يا رجل ؟! .. وأين الفضائيون إذن ؟! متى موع .. »

تراقص الغضب على وجهه للحظة ، ثم لانت ملامحه ، وقال :

« طبعاً لن تُصدقنى بهذه البساطة .. ماذا عن كل ما شاهدته ؟!

ألم ترى ما فعلته بالكرسيين ؟! .. أتريد أية إثباتات أخرى ؟! .. »

لم أشعر بأدنى تأثر بكلماته ، بينما أجيب :

« نعم ... »

فكر لثوانٍ ، ثم قال :

« أنتِ ( حسن عطا الله ) .. خريج معهد حاسبات .. والدك

متوفيان منذ حوالى خمسة أعوام .. و ... »

اندھشتُ مما يقول إلى الأعماق ، فى حين توقف هو عن الكلام ، وكأنه أدرك أن هذا ليس كافياً ..

أثار هذا توجسى أكثر ، وقلت بعصبية هذه المرة :

« أسمع يا هذا .. لقد تحملتك والأعبيك الشيطانية هذه كثيراً ..

إما أن تُفهمنى ما يحدث .. وماذا تريد منى .. أو ... »

قاطعتنى بصرامة مفاجئة :

« ألم تستنتج شيئاً بعد ؟! .. » ، وسقط قناع الهدوء الزائف

السابق ، بينما يقول فى لهجة مُهتزة بانفعال خفى :

« ( حسن ) ما سوف أقوله لك قد يبدو الجنون بعينه .. فقط

أطلب منك التصديق .. حاول أن تصدقنى .. لا تقاطعنى حتى

أنتهى من السرد .. اتفقنا ؟! .. »

فاجأتنى لهجته الأخيرة ، ونقلت إلى توتراً أنا فى غنى عنه

تماماً . أومات برأسى قائلاً :

« اتفقنا ... »

جلسنا ، ونظرتُ إلى الباب المعدنى ، فوجدته مُغلقاً .. لم أعد

أندھش من هذا المكان ، وصاحبه الغريب هذا .

شعرت بانقلاب الوضع السابق ، وأنه الطفل بينما أنا الأب

الذى على تصديقه .

قاطعته ، وقلبي يسقط بين قدمي :

« هل تعنى أن هذا العالم يُدار بواسطة الآلات؟! ..! »

هز رأسه فى عنف ، قائلاً :

« لا .. الأمر ليس كالماتريكس تماماً .. الأمر أكثر تعقيداً بكثير .. »

« هذا العالم يُدار بواسطة عقلى أنا! ..! » ، قالها بتمهل ، وهو يحاول أن يسقيني المعلومات بالملعقة ، وكأنه يخاف من أن جنونى .. ومن قال أننى لم أجن بعد!؟

شعرت بجسدى يجف ، وعرق غزير يملأ يدي ، فمسحتهما بينطالى ، وأنا متجمد الحلق .

أضاف :

« ليس عقلى وحدى .. هناك أربعة أشخاص آخرون مثلى .. تنطلق عقولهم بلا هوادة لتكوين هذا العالم .. » ، ربما بدوت كأبله لحظتها ، لأنه تطلع إلى لحظة ثم قال :

« قالوا لنا أن هدف التجربة هو إطلاق مثيرات معينة لعقولنا .. فتصنع عالماً افتراضياً نعيش فيه بكل مواقفه وأحداثه .. بعدها تقوم البرامج الحوسبية المتطورة بتخزين تفاعلاتنا مع أحداث العالم الافتراضى على حاسوب ممتون للعبة . حيث تستخدم

فى اللحظة التالية ، حرك يديه ، فتحوّل جزء من الأرض الرخامية إلى عشب أخضر حى ، وانفتحت الجدران فصارت بلون سماء الصيف .. كيف فعلها!؟

علق على ما فعل :

« لست ساحراً ولا أدعى النبوة .. إننى لا أطلب منك أكثر من أن تستمع إلى .. ثم بعدها أفعَل ما تريد .. وصدقتى .. ستدهش عندما أروى لك الحكاية .. بل ربما أنت من سيئها! ..! »

أنا من سيئها!؟

على كل حال ، منطقته مقبول . لنرى ما لديه .

لمحت بطرف بصرى المرتد إلى وجهه الجزء المتحول من الفيلا يعود إلى حالته الطبيعية . بينما قال هو ملوحاً بيديه :

« هذا هو ما نطلق عليه العالم الافتراضى .. هل شاهدت فيلم ماتريكس؟! .. إنه يشبهه إلى حد كبير .. »

أعتقد أننى شاهدته على أحد حواسيب الصيانة ذات مرّة .

عندئذ بدأت مسامير الفهم تدق فى عقلى ، وشظايا الحقيقة الثلجية تنغرس فى قلبى ، بينما هو يكمل ملوحاً بانفعال :

« العالم الذى تراه الآن والذى تعيش فيه هو عالم افتراضى .. يُدار بواسطة ... »

هذه المواقف المخزونة في برمجة أنسجة عقلية تُزرع في أمخاخ المتأخرين عقلياً فيما بعد .. »

كنت لحظتها لم أخرج من صدمة حقيقة هذا العالم بعد .. كيف ؟  
إننى أشعر بكل ذرة هواء به .. وإذا كان ما يقوله صحيحاً ؟  
كيف هو العالم الواقعي ؟ وما الاختلاف بين العالمين فى استقبال  
الشعور ؟! ومنذ متى وأنا فى العالم الافتراضى هذا ؟ متى كانت  
اللحظة الفاصلة بين العالم الواقعي و العالم الافتراضى ؟

ثم ها هو يداهنى بحقيقة جديدة .. إننى كنتُ على علم  
بالموضوع .. كيف ؟! إننى ..

« ولكننى لا أنكر أى شيء من هذا ... » ، قلتها له مُعبراً  
عما يعتمل فى نفسى . فأجاب مُبتسماً بتوتر :

« سؤالك هذا .. لقد أجابوا عنه من قبل .. قبل خضوعك لهذه  
التجربة .. من المنطقى أن يقوم البرنامج بحجب هذا الجزء من  
ذاكرتك لأنه سوف ينقض واقعية تعايشك مع العالم الافتراضى ..  
بل ربما يؤدي إلى فشل التجربة كلها... »

بدأ عقلى يزن كلماته جيداً . ولكن هناك نقطة ناقصة !؟

— « ولماذا أنا ؟ من أنا فى العالم الواقعي ؟! .. » ، قلت  
الجزء الأخير ، بينما الرهبة تملأنى .

روايات مصرية الجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 267

لقد انقلب الوضع الآن ، وصار الواقع كصندوق الساحر ،  
لا تتوقع أبداً ماذا يحمل فى جعبته لك .

قال ببطء :

« الجزئية الثانية لا أعلمها حقيقةً .. والسؤال الأو ... »

أثار كلماته انفعالى ، فقاطعه بانفعال :

« كيف ؟! كيف ؟! أنت أخبرتنى بكل شيء .. ولكنك لا تعرف  
من أنا فى العالم الحقيقى ؟! ..! »

قال بصوت خافت :

« أخشى أن هذه هى الحقيقة .. ولكن على الأرجح أنك كما  
أنت فى العالم الواقعي .. » ، أعطانى تنبؤه بعض الطمأنينة ،  
بينما هو يكمل :

« على أن أقول : إن ما قلته لم يكن كل الحقيقة !.. »



## ( 4 )

اللجنة .. اللجنة .. اللجنة ! إن ما قلته ماذا ؟! الآن يدور مخي داخل جمجمتي حرفياً .

قال مستدركاً في سرعة ، عندما رأى احمرار وجهي :  
« أنا لم أكذب عليك .. ولكنك لم تنتبه لما أقول .. قُلْتُ لك :  
أنهم قالوا لنا هذا .. »

يا إلهي !

لم أستطع النطق بحرف ، وكان جلطة الحقيقة انحسرت في مخي ، فأسكنته إلى الأبد .

تركته يسرد كل ما يريد سرده :

« الأمر مُعقد .. لا يستطيع أى شخص مهما بلغ لإيقول ذلك .. »  
« لقد كذبوا علينا فى كل شيء .. قالوا أنها تجربة لبرمجة  
أنسجة عقلية مستنسخة .. ولكنها لم تكن كذلك أبداً .. »

وماذا كانت ؟

استطرد :

« لقد سجنونا فى هذا العالم الافتراضى .. سجنونا حرفياً .

فما أدركته عن آليات عمل هذه التجربة كان كالآتى :

أولاً : عبر برنامج العالم الافتراضى المدمج فى جهاز إرسال  
عقلى خاص .. تنطلق الإشارات المثيرة حاملاً تفاصيل العالم  
الافتراضى .. حيث يقوم هذا البرنامج بإثارة عقولنا .. ووضعها  
فى حالة تكوين العالم الافتراضى .. وكأنه المُخطط الذى يُرسل  
لينا إشارات التنفيذ .

ثانياً : يتكوّن عالم افتراضى مُحاكياً العالم الواقعى ..

ثالثاً : يُرسل هذا العالم بواسطة إشارات عقلية خاصة إلى عقلك ..  
حتى تحيا داخل هذا العالم و تتفاعل معه بطريقة طبيعية تماماً ..  
رابعاً : يقومون بتسجيل تفاعلاتك مع كل موقف فى هذا العالم ..  
ثم تُنقل إلى الحاسوب الضخم الذى يخزنها ..

لم تكن وظيفة البرنامج تكوين العالم الافتراضى فسحب .. بل  
أيضاً القيام بعملية رقابة على ما يتم إرساله من عقولنا التى  
تخلق العالم الافتراضى إلى عقلك الذى يعيش فيه ..

فأنا والمجموعة التى يطلقون عليها فى معلمهم الفنة ( أ ) لم

نعش عالماً افتراضياً على الرغم من أننا العقول التى كونت هذا  
العالم الافتراضى .. على عكسك .. »

صمت مشكوراً ؛ ليعطيني فرصة استيعاب كافية . لقد بدا لي الأمر أشبه بالحلم . كل حقيقة صارت خيالاً ، وكل خيال صار حقيقة . قلتُ بوجود بعد فترة الصمت هذه :

« إن كان الأمر كما تقول .. إذن كيف علمت بكل هذا !؟ .. »

أجاب ببساطة ، وابتسامة تلقائية تقوِّس شفثيه الرفيعتين : .. « حتى وقت قريب لم أكن موجوداً في أية حالة من حالات الوعي المعروفة .. لقد كنتُ أنا في حالة شبيهة بالغيوبية حيث أفكاري ساكنة تماماً .. سوداء تماماً .. ومن فترة لأخرى ينفجر العدم من حولي بمشاهد داخل العالم الافتراضي ..

ولكن شيئاً حدث .. فجأة وجدتُ نفسي مُستيقظاً .. ليس كالمرءة السابقة .. لقد كنتُ واعياً تماماً .. وكان المكان حولي غريباً .. أشبه بشاشات عرض مُعددة .. كلٌ منها يعرض شيئاً مختلفاً .

استغرقتُ الوقت حتى بدأتُ أُلْف المكان .. وبدأتُ أولى محاولاتي لفهم طبيعته ما يحدث .. وطبيعة هذه المواقف .. وأخيراً تذكرتُ ما أخبروني به ..

فكرتُ وقتها : أليس من المفترض أن أعيش عالماً افتراضياً كما أخبروني ؟ وكانت هذه إحدى أكاذيبهم .

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 )

عندها شعرتُ أن خطأ ما حدث .. وأنتى صرت سجيناً في عالم صامت .. عالم مُتعدد النوافذ تعرض كل نافذة فيه عالماً مختلفاً خاصاً بكل شخص منكم .. الفنة ( ب ) .

وعندما استجمعتُ كل قواي العقلية .. بدأتُ أبذل كل جهد مُمكن للخروج من هذه الحالة ..

لا أدري ما الذي يُمكن أن تعنيه كلمة ( جهد ) في هذا الموقف .. ولكنها كانت موجودة بالتأكيد .. فبعد فترة لا بأس بها من الصبر والتركيز .. وجدتُ كيالي يمر بنفق غريب متألق .. وانتهى بي الحال إلى مروري داخل ذاكرة حاسوبهم !

لم أدر حتى الآن كيف فعلتها .. ولكنني وجدتُ نفسي أندفع بتلقائية إلى هناك .

وهناك بحثتُ في الحاسوب .. حتى اخترقتُ بعض السجلات والملفات الخاصة .. وعندئذ فقط أدركت الحقيقة ... « صار كل شيء مفهوماً الآن .

شعرتُ بملامحي المتصلبة كالصلصال تسخن وتلين ، بينما هو يضيف :

« وعندها أدركت أنه يجب ألا أصمت على هذه المهزلة .. لا بد من وضع حدًا لهذا .. لذا تركت عقلي المنطلق يعود أراجيه .. اتصلت بباقي أفراد الفئنة ( أ ) والفئنة ( ب ) .. وأخبرتهم بالأمر كله .. وتعاهدنا على بذل كل الجهد من أجل الحرية ..

بعدها عبرت إلى عالمك الافتراضي .. من أجل مساعدتك .. فربما نصبح قوة في وجوههم .. ونخرج من هذه السجون الخيالية .. »

تألق عقلي بشموس الفهم ، وذهني يصفو رويدًا رويدًا . قلت له بلهجة الخلاص :

« إذن كان لابد من هذه الرسائل المشفرة حتى لا يدركها حاسوبهم فيمنعها ... »

أوماً قائلًا :

« بالضبط .. »

ولكنني انتبهت إلى نقطة أخرى . يبدو أنه فهم ما كنت أريد قوله :

« لقد كانت محاولتي الشفوية هذه محاولةً يائسة .. ولكنها كانت أقصى ما يمكنني فعله في ذلك الوقت .. فالشفرة ليست

مُعقدة بالنسبة لحاسوبهم لكن معانيها غير مباشرة .. لذا لم يفهمها .. ولذا مررها بسلام .. لقد راهنت على قدرتك على تحليل الرسالة .. لقد بدا هذا كالمعجزة !.. فعلى الرغم من أنني من حفز عقلك على تذكرها صحيحةً .. إلا أن تحليلك لها .. لا بل اهتمامك بها كان أمرًا أشبه بالتعلق بالهواء !.. »

ابتسمت على الرُغم مني . لأول مرة أشعر بفقدان لِكيتي الحالم .  
ولكنني سألته :

« ولكن كيف .. على الرغم من كل هذه المراقبة الإلكترونية على التيارات العقلية - كيف استطعت إخباري بكل هذا صراحةً؟! .. »  
قال لي مُنفعلًا مع كلامه :

« ألم تفهم بعد ؟ عالمهم الخيالي ينهار يا عزيزي !.. فلسبب ما يبدو إن المراقبة الإلكترونية أصابها عطب تدريجي .. فالبدائية كانت مع استيقاظي بوعي على الرغم من أن جزءًا من عقلي لازال يسهم في تكوين العالم الافتراضي .. ثم أمر الرسالة .. ثم اختلاقي لهذا المكان السري .. والآن إخبارك بكل الحقيقة .. »  
الأمر صار واضحًا جدًا .. »



« وهل أنا الشخصية الحقيقية الوحيدة التي تعيش في هذا العالم ..؟ »

قال بسرعة :

« لا .. هناك أربع أشخاص آخرين غيرك .. أنتم الفنة (ب) .. »

أوحت ملامحه بأنه لم يخبرني بكل شيء ما بعد .

« ماذا هناك؟! ..! »

قال بحزم هذه المرة :

« اسمعني جيداً .. فما سوف أقوله لك الآن ربما هو أكثر جنوناً من كل ما قلت .. ولكنه حقيقة ! .. أقسم لك بذلك ! ..! »

شحن هذا الجزء المتبقى من منطقي ، لذا قلت له بسرعة :

« ماذا يحدث؟! ..! »

رد بنفس السرعة :

« الهدف الحقيقي .. ألم تفكر في هذا بعد؟! ..! »

بالفعل شعرت بمدى غبائي .. ما الهدف الحقيقي خلف كل هذا الخداع ؟

لم ينتظر إجابتي ، وقال بنفس السرعة السابقة :

« إن آخر ما يفكرون به هؤلاء هو مساعدة الناس .. إنهم شياطين حقيقيون .. هل تعلم ما مرادهم من كل هذا؟! ..! »

هزرت رأسي بالنفي في ذات الوقت الذي تألق فيه مزيج من الصدمة والجنون في عينيه السوداوين ، وهو يقول :

« هم مجموعة من الأثرياء المخبولين .. هذا أبلغ ما يقال عنهم .. إنهم يعملون على هذا المشروع منذ عشر سنوات .. هل تعلم ما هدفهم من تجميع كل هذه المواقف العقلية عن البشر وتخزينها في حاسوبهم العملاق؟! .. لأنهم - وبكل جنون - يسعون إلى تكوين حاسوب عملاق على دراية كاملة بمكونات نفوس البشر .. حاسوب عملاق يتعامل مع كل المواقف الممكنة مثل إنسان حكيم عمره آلاف السنين .. وذلك من أجل .. من أجل .. »

ابتلع ريقه ، ثم أضاف - وكأن جنونهم انتقل إليه - :

« من أجل عبادته ! ..! »

يا إلهي ! استغفرت الله العظيم من هذا الذي يقوله ، بينما ترتجف فرائصي من الفكرة .. أية فكرة شيطانية هذه؟! !

بدأ انفعاله يهدأ نسبياً ، وقد أشفقت عليه صراحةً . ثم بعد فترة وجيزة قال :

« إنهم مجموعة وثنية تدعو إلى ديانة مجنونة مثلهم .. هل تعلم ماذا سيفعلونه عندما يكتمل نضج هذا الحاسوب؟! .. سيطلقون برنامجهم عبر الإنترنت والشبكات العالمية .. حتى الأقمار الصناعية .. فتصير له مليارات العيون في جميع أنحاء العالم .. وكأنهم بذلك يحاولون - وكم هم حمقى! - محاكاة قدرة الله سبحانه وتعالى .. هل تفهم خطورة ما يحدث؟! .. هل تعي مدى فسق هذا؟! .. »

قال وهو على وشك البكاء بالفعل :

« وهل تعلم ما حقيقة دورنا في هذا - طبقاً لشريعتهم الفاسقة؟! .. لقد صرنا - وبكامل إرادتنا - كالقربابين البشرية التي يقدمونها إلى إلههم المزعوم هذا من أجل أن يكتمل نموه ، وحتى يصير - حاشا لله - كاملاً .. »

شعرت كأن المكان من حولي يزداد ظلاماً ، وبدا لي أن نهاية العالم حانت .

آية شريعة مريضة هذه؟! ما الذي يحدث في نفوس البشر؟! لهذا الحد تركنا لأنفسنا الحبل على الغارب؟! ..

ولكن من قال أن العلم فقط يولد من الجهل؟! بل كثيراً ما يولد الجهل من قلب العلم .. فالجهل كالعلم ليس حكرًا على أحد مهما بلغ .. وها هي تلك الجماعة كأكبر مثال .

وكما صنع الجاهليون أصنامهم بأيديهم قديماً ؛ ليعبدونها ، ويقدمونها .. هاهم البشر في ذروة علمهم يفعلون مثلهم ، ويعبدون ألف عامًا .. لا بل آلاف الأعوام إلى الخلف .

إنها انتكاسة جديدة للجهل في عصر العلم .. وآية انتكاسة؟! أفقت من خواطري السوداوية ، وقلت له بخفوت :

« والحل؟! ..! »

فقال بهدونه السابق :

« أفضل ما في الأمر أن هذا العالم ينهار .. لم يعد عالمًا مُحكمًا .. لقد بدأت ثغراته تزداد وتتسع .. » ، قرن قوله بالتهووس ، فنهضت معه ، وقال لي :

« سأريك شيئاً .. »

اتجهنا معاً إلى الباب المعدني الغريب . شعرت وكأن قرونًا طويلة تفصلني عن لحظة دخولي هذا الباب .

أشار بيده ، فاتفحت الباب بهدوء ، وعبرنا الحديقة إلى الشارع الهادئ الساكن . هنا أشار إلى السماء فوقنا :

« انظر .. »

وما رأيته كان مدهشاً بالفعل . ففي كثير من المواضع ، بدت السماء وكأنها تتمزق ، كقطعة من المخمل الرقيق . وفي أجزاء أخرى بدأت ألوانها تتغير .. فتارةً أحمر .. تارةً أزرق .. تارةً أخضر ..

ثم أشار إلى الشارع :

« انظر .. »

بدا الشارع تحت قدمينا يختفى ويحل معه سواد عجيب ، ثم يعود إلى هيئته الطبيعية ، ثم يتحول إلى جدار نقف فوقه ، ثم يتحول إلى ماء ، ثم يعود إلى هيئته في النهاية .. وهكذا ..

شعرت كأنني داخل لعبة فيديو مليئة بالأعطاب الرقمية ( Bugs ) .

ثم قال لي :

« لا بد أن نُعجل نهاية هذا العالم .. فلنحاول التركيز على هذه العيوب الكبيرة فيه .. فلنجلس هاهنا ولننتخيل أن العالم كله ملئ بهذه العيوب .. فلنتخيل أننا خارجة الآن .. »

لكم كانت لكلماته وقع ساخر في نفسي . إذا فعلت ما قاله في العالم الطبيعي ، لا بد أن ينتهي بي الأمر مُحبطاً أو مجنوناً . حتى هنا تصوير القواعد البشرية المألوفة مجرد جنون يجب تصحيحه !

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 279

وأضاف مُبتسماً ابتساماً سريعة :

« ولا تقلق .. ففي نفس الوقت الآن يقوم زملاؤنا بالمثل .. إن إتحدانا في هذا الوقت قوة لا يُستهان بها .. وربما نستطيع فعل شيء ما ... »

بالفعل هو على صواب . إن أشد من نحتاج إليه الآن هو الاتحاد .

كُنْتُ طوال الوقت السابق أسمع ، وأفعل ما يقول كالمسحور . حقاً لم أعد أدري ماذا عليّ فعله . ولكنني — ككل المرات السابقة — نفذت كلامه بلا مناقشة .

جلسنا على الرصيف المُقابل للفيلا ، وقال لي قبل أن يغمض عينيه :

« وداعاً .. أراك في العالم الحقيقي .. عالمنا ... »

اكتفيت بإيماءة رأس ، وفعلت مثله : أغمضت عيني أم ..

فلنتخيل أن فجوات السماء واتقلابات الأرض تتسع .. وتنتشر .. إن الشغرات في كل مكان حقاً .. هذا ليس عالماً مثاليّاً بأيّة حال .. إنه — مهما بلغ — مجرد عالم وهمي بشري ..

والرغم من أن عيناى مُغلقتان ، إلا أن ذلك الحضور الغريب في وجداني أكد لي أننا ألتقينا . أكاد أشعر بجان رفعت يلامس كياتي ، كنسمة صيفية هادئة تُدلك صدرك .



حدثت هذه التطورات بسرعة شديدة مُثيرة للجنون والغثيان في ذات الوقت ، لذا أغمضتُ عيني بقوة ، و تركتُ كياني يلتقط كيانهم ، لنكافح معاً من أجل الخروج من هذا العالم ، ومن أجل الحرية .

بدا الأمر كأنما نحاول تحريك الكرة الأرضية من مكانها . ولكننا تحاملنا على أنفسنا ، ودفعنا أكثر وأكثر .. لا أدرى هل كلمة دفعنا مُرادفة للمعنى الذى أقصد أم لا !؟

اتحاد ، دفع ، ومثابرة من جانبنا - تصدع ، تشقق ، وسقوط من جانبه .

ثم انهيار ، وصمت من الجانبين .

نحن أكبر من هذا العالم .. أكبر منه ومن أكابره .. وجوده يتضاعف إلى جوارنا باستمرار .. أكثر فأكثر ..

واربث جفني الأيمن في فضول ؛ لأرى ماذا يحدث لهذه العالم ، لأرى مدى قوة تأثيرنا عليه ، فهالني ما رأيت .

هذا العالم ينهار بمعنى الكلمة . لقد تشوهت معالمه تماماً ، وكأنه يتحرك كله إلى الأمام بسرعة جنونية .

كلمة ( الأمام ) هنا حقيقية تماماً . فكان كل عنصر فيه يزاح إلى الأمام بسرعة خرافية .. وكأن العالم كله قد خضع لتأثير الفوتوشوب ( Motion Blur ) .

الأشجار .. الشوارع .. الأضواء .

نحن الآن على الأرض ، ثم في قلب جدار الفيلا وبين أحجارها ، ثم في صحراء ، ثم مقلوبان على رأسينا في قلب السماء ، ثم داخل سحابة خفيفة كقطن مغزول .. وكأننا بالفعل داخل لعبة رقمية تالفة .

ثم انفجارات ، وارتجاجات ، وانقلابات ..

بالتأكيد إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فلم يؤثر أى من هذا فينا . لقد صار أضعف مما نتصور .. عالم ضخم نعم .. ولكنه ضعيف ومفرغ الآن ..

( 5 )

هه .. هل أنا على ما يرام !؟

تحت جفنين مثقلتين بالإرهاق ، دارت عيناى فى حيرة  
مهمومة ، بينما ألتقط أنفاسى ومعها أفكارى . لقد صار عقلى  
كمائدة مبعثرة من آثار الأحداث السابقة .

لذا رحّت أرتب كل شىء بأقصى ما منحتُ من هدوء . هل  
أفتح عيني الآن ؟ لا .. فلنؤجل هذا لفترة قصيرة .. إننى أحتاج  
بشدة لترتيب نفسى أو .

إذا وضعنا كل شىء فى موضعه الصحيح ، تتضح الصورة  
الـ ... القاتمة للغاية : لقد عثوا بنا .. وكذبوا علينا .. لقد  
غشونا تماما .. و علينا بوسيلة ما أو بحيلة ما إيقاف كل هذا ..  
لقد صرنا جزءاً من الصورة شننا أم أينا .

ارتجفت نفسى من كل هذه التطورات الأخيرة . هذه أمور  
يستحيل أن تُصدق .. فما بالك بأن تُعاش ؟

هناك كوابيس نحيا فيها فتحيا فينا .. وهناك كوابيس تحيا فينا  
فنجحيا فيها . ترى أيهما هو كابوسى العزيز !؟

عقلى مكبل من التفكير ، ماذا علىَّ فعله !؟

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 283

تداركتُ نفسى عندما مسَّ جفنى ضوء قوى ، فصبيغ الرؤية  
من تحتها بلون برتقالى شاحب .

على أن أفتح عيني الآن .

وكما تفتتح الأبواب المغلقة طويلاً بصرير مزعج ، انفرج  
جفناى الملتصقان عن بعضهما بتكة خافتة ..

دقائق طويلة من الآلام الحادة كالخناجر ..

الآن ، بدأت الرؤية تتضح تدريجياً ..

هذا المكان يشبه غرفة العناية المركزة فى المششفيات .  
تذكرتُ الآن معالمه التى كنتُ قد نسيتها . سقف مرتفع أبيض  
لامع ، تتوزع فيه الاضاءة بتنسيق دقيق . خفضتُ عيني فوجدت  
رجلاً قادماً نحوى ..

« تم إيقاف البرنامج .. فى انتظار عملية إعادة التحميل .. » ،  
قالها صوت ألى باللغة الإنجليزية .

إعادة التحميل !؟ لا بد ألا أسمح لهم بهذا !

اقترب الرجل منى وهو يقول بلهجة من يحدث أخرس :

« أخيراً استيقظت !.. مرحباً بك إلى عالمنا مرة أخرى »

Looloo

www.looloo.com

تجاهلت عبارته . فتحت فمى بصعوبة ، وقلت له بصوت مختنق أجش بطيء :

« أريد .. أن .. أتحدث .. مع .. أحد المسنولين .. هنا .. »

بدا على ملامحه التعجب ، ولم يزد شيئاً على كلامي ، ثم ابتعد مرة أخرى .. بيدواته ذهب ليخبر رئيسه بالأمر .

ولمّا كُنْتُ أملك كل الوقت ، فقد شرعت في التلفتُ حولي ، متجاهلاً آلام رقبتي . رأيت جسداً آخر راقدًا على مسافة متوسطة عنى ، وهناك جسد آخر على جانبي الآخر . إن طريقة ترتيب الأجساد تتخذ زوايا مائلة بطريقة غريبة ..

السرير مُريح للغاية . دفعت ظهري داخله بقوة أكثر ، بينما لا زلتُ أبحث عن حل لهذه المصيدة الإلكترونية الرهيبة .

كيف سأواجههم؟! وماذا سأقول لهم؟

ثم لماذا لم يستيقظ أصحاب الأجساد بعد؟! أليسوا هؤلاء هم رفاقي في عالم الوهم؟!!

توقفت أسنلتى ، عندما عاجلنى قدوم الرجل السابق .

أسرع الرجلُ في فك مفاتيح خاصة خلف السرير ، فتنحى من الجدار المستند عليه ، و ...

وبآلية تامة ، انفصلت الأقطاب الخاصة المتصلة بصدرى ، كذلك خرجت أنابيب التغذية من داخل عروقى ، فتأوهت بخفوت فى ألم . ثم انضغط جلد منطقة الاختراق بواسطة قرص خاص برز من طرف الأنبوب . بعدها ارتفعت الخوذة الضخمة من على رأسى .. هذا عجيب .. فلم أشعر بها إلا الآن .

دفع الرجل السرير أمامه ، فتحرك بنعومة ساهمت مع جو المكان فى هز مستنقع التوتر فى وجدانى .. وكأننى مُقبل على جراحة طويلة .

صعدنا على سلم قصير خاص للمركبات ، فبدا المكان أوضح على الرغم من قصر هذا الارتفاع . لقد كانت القاعة أسطوانية ، فى منتصفها برج إلكترونى مهيب ، تتألق أضواؤه بتقطع ، وبدا كأنه إمبراطور المكان .. أهذا هو الإلهم المزعوم؟!!

لقد ساهمت معرفتى بهدفهم الشيطانى فى ترك انطباع سيئ عن هذا البرج الإلكتروني العملاق .. فبدا مهيباً بطريقة ما .

وكانت أسرتنا تتصل بظهورها إلى سفح هذا التل من السليكون وأشباه الموصلات ، بتوزيع يتناسب مع طبيعة المكان الأسطوانية .. يا إلهى! لقد تذكرت هذا المكان



التروس؟! بالفعل كانت أجسادنا المفرودة أشبه بشفرات ترس عملاق . ترس قوامه آلة وأزرعه بشرية .

نظرتُ بلا وعى بعيداً عن كل هذا ، فارتطم نظري بذقن العامل ، وهو لا يزال يدقنى .. فبدأ لى من هذه النظرة السفلية كمارد ضخم فى عالم بارد ..

نظر لى للحظة ، ثم دفع الباب الذى توقفنا عنده .. ودخلنا .

\*\*\*

لم تكن الغرفة إلا مكتباً .

أوقف العامل السرير جوار الحائط ، عندها سمعت صوتاً مألوفاً يقول فى هدوء :

« أتركنا وحدنا .. » ، فنفذ العامل بما أمر ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء .

اعتدلتُ فى رقتى بصعوبة شديدة ، متأوهاً بآلام أشد ، وأنا أواجهه .. لقد تذكرته ! إنه ( عزت ) المشرف على حالتى .

بينما بادر هو بالحديث : .. « نأسف على ما حدث .. لم يكن هذا الخطأ متوقعاً على الإطلاق .. »

لم أفهم ماذا يقصد ، فأردف :

« التقرير المبدئى يُرجح ازدياد الحمل على البرنامج بصورة أو بأخرى .. فصار flooded – Over بلغتنا :

لقد فقد البرنامج السيطرة .. مما أدى إلى انهيار العالم الافتراضى تماماً .. ولذا اضطررنا إلى إيقاف البرنامج حتى نصلح هذا الخطأ .. »

وابتسم مطمئناً :

« لا تقلق .. ستعود إلى البرنامج فى نهاية هذا اليوم على أقصى تقدير .. وبلا مشاكل هذه المرة .. »

قلتُ له متجاهلاً العبارة الأخيرة بذات الصوت المختنق الأجش :

« كم عاماً مضى؟! .. » ، فصمت للحظات ، كدتُ أعيد فيها سؤالى ، ولكنه أجاب :

« عام واحد .. »

شعرتُ بأعماقى تنغمس فى الثلج .. عام كامل مر كالريح؟! كومة ضوء؟!

عندما رأى صدمتى أتم مستدرَكًا :

« كما أخبرناك من قبل .. الزمن فى العالم الافتراضى يمر أسرع بكثير من العالم الطبيعى .. »

ثم غمز بعينه :

« وهذه مزية كبيرة كما تعلم .. »

ابتلعت ما تبقى من ريقى عبر حلقي الجاف كجلد تمساح ،  
وقلت متحفظاً :

« ولكننى لن أكمل المُدة .. » ، وبينما عقلى يبحث عما سوف  
أقوله لاحقاً ، فرد على بدهشة :

« لماذا؟! .. إن العقد ينصُ - .. »

« ومن حقى الرجوع فيه .. » ، هكذا قاطعته هذه المرة .

رد على ، بينما الدهشة لازالت تعلقو ملامحه :

« ونحن أيضاً لنا حقوقنا متمثلةً فى الشرط الجزائى! .. »

وأضاف بلهجة بانع :

« وبهذا لن تستلم أى مبلغ منسأ .. وستكون قد قضيت عاماً  
كاملاً هباءً .. »

صدمت من الإجابة للحظة ، وكأننى نسيت هذا .. سنة كاملة  
من عمري انقضت؟! وبلا ثمن أيضاً!؟

هاجمنى قول ذلك الرفيق فى العالم الافتراضى :

« لأنهم - وبكل جنون - يسعون إلى تكوين حاسوب عملاق  
على دراية كاملة بمكونات نفوس البشر .. حاسوب عملاق  
يتعامل أمام كل المواقف المُمكنة مثل إنسان حكيم عمره آلاف  
السنين .. وذلك من أجل .. من أجل .. »

« من أجل عبادته! .. »

لأنك أنه لاحظ انتفاضتى ، بينما لازلت أحسب الأمر .. ومن  
قال أننى أريد أموالهم البغيضة!؟

قطع على تفكيرى قائلاً :

« اسمح لى يا أستاذ حسن .. »

- « ماذا؟! .. »

لقد جئنا منذ سنة بكامل إرادتك .. عرضنا عليك عرضنا ..  
ووافقت .. صفقة ممتازة متوافقة الأطراف :

أنت تبيع عشر سنوات من عمرك فى فرصة جديدة بالعالم  
الافتراضى مقابل مليون دولار بلا سنتاً ناقصاً .. ما الذى جد فى  
الموضوع!؟ خاصةً وأنت تعلم أن الهدف من هذا العالم هدفاً  
شريعياً ونزيعياً .. مساعدة المتأخرين عقلياً .. عن طريق استخدام  
تفاعلاتك الحياتية والعقلية فى العالم الافتراضى لدرجة أنسجة

خاصة يتم زرعها في أمخاهم .. فتعينهم على تطوير قدراتهم في التعاملات الاجتماعية والمهنية .. وبالتالي تعالج التأخر العقلي بصورة جذرية ..

لذا اسمح لى أن أسأل : ما الجديد فى الأمر ؟! .. «

هل أجازف بإخباره ، أم ...

— « إذن أسمح لى أنا بأن أجبك .. لقد كذبتم علينا علناً .. وأحبب أن أحبيكم على هذا .. فلقد فعلتموها بجرأة وبوجه مكشوف .. مما أزال كل آثار الشك فى نفوسنا .. و... »

لم أشعر بنفسى . فقد انفتح فى كخرطوم مياه متدفقة ، يسكب الكلمات فى كل اتجاه . ولكنه قاطنى فى حدة :

« مهلاً .. مهلاً .. ما الذى تقوله يا أستاذ حسن ؟! وأية كذبة هذه التى تتحدث عنها ؟! .. »

لقد دفعنى هذا الوغد إلى خارج حدود عقلى بالفعل .

انطلقت أرد عليه بغضب كاسح :

« هل لازال لديك الجرأة فى الاستمرار على هذه الكذبة ؟! ..

هل تستطيع أن تفسر لى الهدف الحقيقى وراء مشروعكم هذا ؟! .. لا تقل لى من فضلك مساعدة المتأخرين وهذا الهراء !.. أكاذيبكم

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 291

حقيرة وأهدافكم أحقر !.. ماذا تريدون منا حقاً ؟! إله الكتروني حقير مثلكم !.. و.. ونحن ندفع أعمارنا قربابن لسيادته !.. «

بدا كتمثال آدمى للذهول . ولم أستطع فى الحقيقة تمييز ما إذا كان ذهوله بريئاً أم خبيثاً ..

« أريد أن أخرج من هنا .. فوراً !.. » ، قلتها ، وأنا أتحرك بالفعل ، فجاوبنى جسدى بآلام عنيفة من طول الرقود .

قال مُستقيماً :

« أستاذ حسن .. هل تعى حقاً ما تقول ؟!

لقد حافظنا جيداً على جسدك طوال الفترة السابقة .. من برامج تأهيلية مكثفة لحماية العضلات والحواس من الضمور .. إلى تمريض فائق لحماية جسدك من قرح الفراش .. إلى تغذية أنبوبية مثالية .. إلى جو مُعقم مُحكم .. ثم تأتى الآن وتتهمنا بهذا الاتهام الخطير ؟! لقد كانت حياتك بين يدينا هل تدرك ذلك ؟!

إنك تتهمنا بممارسة شعائر ديانة مجهولة ؟!.. ماذا يعنى هذا ؟!.. لحظة كى نستوضح الأمر معاً قبل أية تعسفات .. إن هدفتنا واضح كما قلت لك .. وليس لدينا ما نخشاه على الإطلاق .. فما تقوله ليس له أى أساس من الصحة !.. من قال لك هذا ؟! .. «

فاجأتنى كلماته المتعقلة ، ولكنها لن تخدشنى



وسط أجواء الشاي والشيشة .. ورائحة الجدران الأسمنتية التي  
تشربت الرطوبة .

أقترب منى ( عبود ) ، وجلس أمامي قائلاً :

« صباح الخير .. » ، ووضع الجريدة اليومية على الطاولة .

أجبتة بروتيئية :

« صباح الخير يا عبود .. كيف الأحوال؟! .. »

— « الحمد لله .. » .

— « وما أخبار الأهل؟! .. »

— « عادى .. هل وجدت آيةً وظيفية بعد؟! .. »

أجبتة فى مرارة ساخرة ، وأنا أختطف الجريدة :

« هذا سؤال؟! ..! »

قلّبت صفحاتها فى سرعة ، فأنا لست فى مزاج جيد للأخبار  
الثقيلة فى بداية يوم كهذا ، وماذا استفيدنى أخبار الدنيا؟! هل  
ستسد جوعى؟! هل ستدفع لى إيجار الكوخ الذى أسكنه؟! .

فتحت صفحة الوظائف ، وأخذت أبحث بعينى .

فرصة لكل شاب متعلم ، ووظيفة مرموقة لمن يتعلم ..

على أننى تماسكت ، وقلت متهدداً :

« سأخبرك بكل شيء .. »

وبدأت أروى له ما حدث .

\*\*\*

كان ذلك الصباح كئيبيًا .

فكرت بذلك ، وأنا أتطلع إلى السماء العكرة المزاج ، فقد  
كتمت السحب مرحها وغفواتها .

كنتُ جالسًا فى مقهى ( سيد ) فى الشارع المجاور لمسكنى ،  
أشرب الشاي الأسود فى مزاج بنفس لون الشاي ، وأنا أفكر بما  
سوف أفعل . إنها عادتى المعتادة كل يوم منذ تخرجى .

ومثل كل يوم ، لم يكن هناك جديدًا . فكرت بنفس حلول اليوم  
السابق ، تمحصت فيها شاردًا ، ثم فى النهاية أدركت أنها  
مستحيلة ، فلعنتها ، ولعنت الدنيا كلها .. مثل كل يوم أيضًا .

« سلام عليكم .. » ، كان ( عبود ) .

— « وعليكم السلام ورحمه الله! .. » ، ردت عليه كل  
الحناجر المختنقة بالمقهى ، وكأنه النشيد الصباحى . كل هذا

شروط الوظيفة : شهادة جامعية :

تجارة - زراعة .

أو شهادة معهد :

لغات - حاسبات - تعاون .

هـ يحضر المتقدمون في تمام الساعة الثانية عشر ظهراً من أجل المقابلة .

العنوان : .....

أتلج هذا الإعلان صدري ، فلم أركز فيما يقول ( عبود ) ، وبدا لي حديثه كهمهمات غير مفسرة .

« أنت معي يا أبو علي؟! .. »

نظرت له بنصف وعي مُبتسماً :

« جعلتني أباً بهذه السرعة؟! .. أسف لم أركز في حديثك .. فهناك إعلان عن وظيفة جيدة .. وعلى أن أستعد لها .. ادع لي .. »

قال مُبتسماً هو الآخر :

« يا رب .. بالتوفيق ... »

دفعت حساب الشاي ، وصعدت إلى غرفتي ؛ لاستعد للمقابلة .

\*\*\*

بعد أسبوعين من المقابلة الأولى ، كنت أدلف إلى مبنى قصير حديث مُكوّن من طابقين . التقيت أمامه بالحارس ، الذي أُرشدني إلى المصعد .

دلف معي إلى المصعد ، ثم فوجئت به يضغط زرّاً خاصاً تحت غطاء حديدي خفي بلون الجدار .

عندئذ ، اكتشفت أنه مهبط وليس المصعد . فالإزاحة الخفية إلى أعلى ، والتي شعرتُ بها ، تدلّ على أننا ننخفض ، لا نرتفع ، مما أثار توجسات خاصة لديّ .

انفتح باب ( المصعد ) على ممر واسع ، وفي نهايته باب عملاق .

تحركنا معاً على الموكيت الأحمر بطول الممر ، تحفنا رائحة خليط من عطر ، ورائحة دهان الأبنية الحديثة .

توقف الحارس أمام الباب العملاق ، بينما فُتح أحد الأبواب على طول الممر خلفنا ، وخرج منه ( عزت البدرأوى ) .. الرجل الذي أجرى معي المقابلة في المرة الأولى .

قال لي ، ويتجه نحوي :

« مرحباً .. كيف حالك يا أستاذ حسن؟! .. »

اجبته بينما عبرت ملامحي عن دهشة بهذا المكان :

« حمداً لله على كل شيء .. أهلاً أستاذ عزت .. »

عند تلك النقطة ، تركنا الحارس . بينما صافحني ( عزت ) ،  
وفتح الباب العملاق بواسطة كارت خاص أخرجه من جيبه .  
قلتُ له ونحن ندلف :

« أستاذ عزت .. هل لى ... »

لم يُقاطِعني الرجل ، ولكن المشهد الذي أمامي هو ما قطع  
حديثي . كنت أرى القاعة الأسطوانية لأول مرّة .

\*\*\*

ربما فهمته خطأ .

« أعد ما قلته مرّة أخرى يا أستاذ عزت ... » ، قلتها له  
مُقتعاً نفسي بأنني لم أفهم جيداً ما يقصد .

فقال لى مُبتسماً بهدوء :

« كما قلتُ لك يا أستاذ ( حسن ) .. لقد اخترناك من بين  
مئات المُتقدمين .. وكما تذكّر في المقابلة السابقة .. لقد سألناك  
عن كل شيء تقريباً في حياتك .. طموحاتك .. أحلامك .. أفكارك ..  
مخاوفك .. عيوبك .. كل شيء .. »

ثم أتم كلامه :

روايات مصرية للجيب ... ( كوكتيل 2000 ) 297

« كان هدفنا من كل هذا هو تحديد طراز شخصيتك .. أمن  
الممكن أن توافق أم لا؟! .. »  
هنا أضيف التوتّر إلى قائمة الأساسيس المتناقضة التي شعرت  
بها . وللحظة شعرت أنه اخترق صدري ، وأنه يعلم ميقات وقوة  
كل ضربة لقلبي .

« إن عرضنا واضح للغاية يا أستاذ حسن .. » ، وضربني  
بنظره في العينين ، قائلاً ببطء بدا لى وقتها مخيفاً :

« ونحن نعلم أنك ستوافق .. »

توترت شفتي العليا ، بينما أنظر إلى ملامحه الهادئة ، و التي  
تخترق كياتي .. كالسكين في قطعة الزيد .. أو هكذا بدا لى .

ثم ابتعد بنظره عني ، وأخذ يطالع ملفاً أمامه على المكتب . وقال :

« مهلتك حتى مساء الغد .. »

وأضاف بصوته المحايد :

« سانتظرك ... »

\*\*\*

« سانتظرك .. »

« سانتظرك .. »

« سانتظرك .. »



وحسدتُ نفسى على هذا الموقف . فمن بين مئات البشر جاعتنى هذه الفرصة . فرصة مشروعة ، وهدفها شريف ونزيه .. ما الذى يجعلنى أفكر فى الأمر حتى ؟!

شعرت للحظتها كمن يعدو فى ماراتون طويل ، ثم فجأة يمنحونه استراحة جاتبيّة خارج السباق و — لحظه السعيد — لن تؤثر هذه الاستراحة على تقدمه .. بل ستدفعه إلى الأمام على رأس السباق !

أن تنظر إلى البشر فى عدوهم المُنهك الطويل للحاق بالركب ، بينما تستمتع بالراحة التى مُنيت بها فى هدوء خارج كل هذا ، لهو قمة ما يطمح إليه إنسان .

لذا — وبعد ليلة مُرهقة من الأحلام المُضطربة مع الكوايبس — وجدتُ نفسى أمام ( عزت البدر اوى ) قائلاً :

« موافق ... »

فابتسم بسرعة قائلاً :

« خيار حكيم ... »

وعلى الرغم من ابتسامتى الظاهرية ، إلا أن جزءاً منى كان يكره هذا الوغد . لقد استطاع إجبارى بطريقة ما على هذا ، والأدهى أنه أقتنعنى أن الخيار خيارى فى الأساس !

ليلتها لم يغمض لى جفن . وظل جسدى هامداً على السرير ، وأنا أفكر فى شرود كالمحموم . بينما تتأرجح الكلمة فى عقلى كالبنول .. إنه ينتظر .

عبثاً ، حاولتُ رسم المُخطط الذى يجب أن تسير عليه حياتى دون هذه الفكرة . ماذا سأفعل غداً إن استبعدتِ الفتره ؟ هل سأظل أبحث عن عمل طوال حياتى ؟ ماذا عن الغد ؟ هل هذه هى حياتى الأبدية ؟!

ووجدتُ الفكرة تسحبني مرةً أخرى ، إلى أعماق خيالية مثيرة خلاية ..

إذا وافقتُ ، ستمر السنوات العشر كالريح ، أجد بعدها نفسى مستيقظاً ، وأنا مازلتُ فى النصف الأول من الثلاثينيات ، ومعى مليون دولار ! ألم يقل ( عزت ) هذا ؟!

ماذا لو كافحت واجتهدت وثابرت فى حياتى هذه ؟! هل يُمكننى تحقيق واحد على ألف من هذا المبلغ حتى خلال عمري كله ؟!

وفى أعماق أعماق خيالى ، انتصب صرح عملاق لمقر مؤسسة ( عطا الله ) للإلكترونيات — شركتى بعد عشرة خمسة عشر عاماً من الآن .

لقاءات .. اجتماعات .. صفقات .. أموال ..

ثم أخرج ورقتين من أحد أدراج مكتبه ، وهو يقول :

« هذه نسخة العقد الخاصة بنا .. وهذه هي الخاصة بك ..  
أمامك اليوم فقط لترتيب حالك .. احفظ نسختك في مكان أمين ..  
فهذا هو ضمانك ... »

أعطاني الورقتين ، فأخذتهما مُطلعًا إلى بنود العقد بعناية .  
همم .. هممم .. همم ..

شرط جزائي !؟

« ينص الشرط الجزائي على عدم تلقى العميل أى مبلغ ، إذا  
لم يوافق - تحت أى سبب - على استكمال التجربة إلى نهاية  
المدة المتفق عليها ... »

لا يوجد بهذا ما يُثير الريبة على ما أعتقد .. أليس كذلك !؟  
لابد من شرط جزائي يحميهم .. هذا حقهم .

أم أنني سأراجع فى قرارى !؟

قاطع أفكارى قائلاً :

« هل هناك شىء غير واضح فى البنود !؟ .. »

هزرت رأسى مُطلعًا إلى البنود فى الورقتين للمرة الأخيرة ، وقلت :

« لا .. كل شىء واضح للغاية ... » ، فأضاف مُعطيًا إياى قلماً :

« جيد .. يجب أن تمضى على العقدين .. نعم هنا .. وهنا ... »  
خططت إمضائى . وقلته له بينما أسلمه أحدهما ، وأثنى  
الآخر واضعًا إياه فى جيب قميصى :

« ولكن ألا ترى معى أنه ليس ضمانًا كافيًا !؟ .. » ، فأجابنى  
بلهجة بها غير رسمية واضحة :

« يُمكنك إعطاؤه إلى أحد معارفك .. مصحوبًا بالقصة كاملة  
بخط يدك .. على أن يُسلمها للشرطة إذا أخلقنا بوعدنا .. »  
حاولت إقناع نفسى بكلامه وأنا أنهض ، بينما أضاف هو :

« سوف يتم إمضاء الشيك الخاص بك .. قبل دخولك التجربة ..  
ولكن لن تستطيع صرفه إلا إتمامها .. »

ولكن هذا لم يمنع كياتى من القشعريرة ، عندما أتى ذكر التجربة .

## ( 6 )

هنا انتهيت من السرد ، بينما لا تزال أذنى تُردد كلمات ( عبود ) الأخيرة :

— سأستاق إليك يا أبوعلی ..

— لا تنس يا ( عبود ) .. لابد أن تُسلم هذا المظروف في الوقت الذى حددته لك .. وغير مسموح لك أن تفتحه .. أسمعنى؟! .. لا تفتحه إلا بعد انقضاء عشر سنوات من الآن .. إذا لم أتصل بك وقتها .. سلمه إلى الشرطة ..

— أنا لا أرتاح لهذا الموضوع يا ( حسن ) .. هل أنت متأكد أنك لست متورطاً فى شيء غير قانونى؟!!

— لا يا ( عبود ) .. لست من هذا النوع .. الأمر أبسط من هذا بكثير .. ولكن على قدر بساطته إلا أنه يحتاج بشدة إلى هذه الخطوة المهمة .. إنها مجرد خطوة احتياطية .. وعلى الأرجح لن تُنفذ .. لا تنسنى يا ( عبود ) ..

— لا تقلق .. سأحفظها فى صدرى يا صديقى .. كما سأحفظك ..

« وهل صدقتُ هذا؟! ..! »

صاح بالعبارة فى استنكار ذاهل ، فأفقتُ قائلاً :

« أتستطع تفسير الأمر لى؟! ..! »

تنبهت فى هذه اللحظة أن صوتى بدأ يستعيد نبرته الأصلية وأن ذهنى بدأ يصفو أكثر فأكثر . بينما أجاب ( عزت ) مندهشاً :

« الأمر لا يحتاج إلى تفسيرات عبقرية! .. إن هذا كله لا يحمل أدنى أمانة على الصحة .. إنه خطأ البرنامج .. بسبب هذا الخطأ فقد البرنامج واقعيته ومصداقيته فى معالجة العالم الافتراضى .. كما فقد سيطرته التى تحجب ذكرياتك مع التجربة .. مما أدى إلى حدوث انتكاسة لعقلك الباطن وذاكرتك فى صورة هذا الرجل الذى تحدثت عنه .. ولأنك فى الأساس كنت متوجساً من الفكرة .. مثلك مثل المرشحين الآخرين .. اختلق عقلك هذا الهدف البديل .. كنوع من معاقبة الذات على دخول هذا المشروع .. أو كنوع من تجريمه .. حتى تعود إلى وعيك وترفض دخول العالم الافتراضى مرة أخرى! .. هذا ما أراه منطقياً! ..! »

ألجمنى تفسيره . فقد كان منطقياً بصورة مذهشة . ولكن ماذا عن التفسير الآخر؟! أليس منطقياً؟! ما الذى يعيبه؟! نقلت أفكارى على لسانى :

« إذن .. هل تستطع أن توضح لى .. ما هى نقاط الضعف فى

قصتى هذه؟! ..! »



على الرغم من أنني لا أذكر شكل هذا الزائر ، إلا أنني أشعر أنه ليس أي شخص من هؤلاء في الصور ..

سحب كرسيًا من أمام مكتبه ، ووضعه على مقربة مني ، ثم جلس ، وهو يتم حديثه :

« كما أن الكلام يحمل الكثير من المغالطات المختلطة بمواقف غريبة أشبه بالخيال العلمي .. كلامه لا يمكنه صنع قصة متماسكة أبدًا .. أما عن الحقيقة الواحدة التي أقر بها وسط كل هذا .. هو موضوع الفنة ( أ ) والفنة ( ب ) .. وهذه مجرد تفاصيل تقنية لا تهكم في شيء .. لأنها كانت ستصعب علينا شرح فكرة التجربة للمرشحين ... »

أمسكت بك أيها الوغد !

وسألته بدهشة :

« إذن كيف أخبرني بموضوع الفئات هذا .. على الرغم من جهلي به ..! »

بدا لي للحظة وكأنه صُنع من السؤال ، ولكنه أجاب بسلاسة في اللحظة التالية :

فكر لوهلة ثم قال بلهجة أخف ، ملوحًا بيده :

« كل ما فيها خطأ .. وغير منطقي بالمرّة .. أبسط شيء .. هل كنت تتصور أننا سوف نوظفك بعد عشر السنوات .. لنطقي سراحك فتفصح سرنا .. إن كان هذا هو هدفنا !؟

تذكر أنني كنتُ صاحب فكرة تأمين نفسك بالشرطة .. فهل من المنطقي أن أخبرك بوسيلة للضغط علينا !؟ .. ثم ماذا عن فكرة ( الإله من الآلة ) هذه !؟ إنها تتناقض نفسها بصورة واضحة .. فلو افترضنا صحة قولك .. هل من المنطقي أن نأتى بأشخاص من خارجنا لنخضعهم كقرابين لهذه الآلة !؟ ألم يكن من الأولى أن نستخدم أنفسنا لذلك .. ونحن المؤمنون بها -- حاشا لله -- !؟ ثم ماذا عن الشخص الذي أخبرك بكل هذا !؟ .. هل يمكنك تعرف وجهه ..؟ »

لم ينتظر إجابتي ، بل قرن قوله بأن أخرج مجموعة من الملفات من درج مكتبه ، وفتحها أمامي .

تحرك من جلسته ، وقطع المسافة بين المكتب والسرير بخطوات طويلة رخيمة حاملاً الملفات إلى . ثم وضع عشرة ملفات أمامي على السرير ، وعلى كل ملف صورة صاحبه . فنظرت إليها بعينين أملتين .. ولكن ..

« لابد أن للخطأ البرمجي دور في ذلك ، فسرب معلومات عن خريطة التشغيل . أو أنها اتكشفت لك بسبب فقدان البرنامج سيطرته على نفسه .. عموماً .. خبراؤنا يعملون على قدم وساق من أجل تحديد أبعاد الخطأ بالضبط .. ومعالجته في أسرع وقت مُمكن .. »

صمت بعد هذا ، ليتركني أهضم كلامه ، واقتنع .

على الرغم من منطقية إجابته ، إلا أنه يُمكن الالتفاف حولها بوسيلة أو بأخرى .. بل يُمكن مُجابهتها بأجوبة مُقنعة إلى حد كبير .. ولكن ما هي الأجوبة المقنعة المُمكنة !؟

إن ذهني المشوش من آثار التجربة لا يسعني للتفكير السليم.

الغريب أنني مازلت أميل إلى قصة الوثنية على رغم مما بها من ثغرات . تذكرت شيئاً ما ..

« وماذا عن الزملاء الآخرين !؟ هل استيقظوا !؟ .. »

قال بهدوء :

« لحظة .. » ، وقام إلى مكتبه مرة أخرى ، ثم أخذ يُجرى بعض الاتصالات الداخلية عبر كمبيوتر مكتبه ، مُتطلعاً إلى ما تعرضه الشاشة من معلومات . أخذ يلتهم المعلومات بعينه

في نهم ، بينما ينعكس إشعاع الشاشة على وجهه مما أعطاه سمت التماثيل الجامدة .

بعد دقيقتين عاد إلى الكرسي جوارى . وتراجع بظهره إلى الخلف مُركزاً بصره على قائله :

« نعم .. لقد استيقظوا .. وهم حالياً في نفس حالتك الآن .. وعلى وشك أن يقتنعوا .. »

نظرت له بنظرة من فضح شيئاً ، بينما أبتلع ريقى بصعوبة . ثم قلت :

« تقصد موضوع الوثنية هذا .. ورفض العالم الافتراضى !؟ .. »

أجاب بوجوم :

« نعم .. »

سألته بسرعة : « .. وماذا عن أفراد الفئة ( أ ) ؟ هل تعاملوا مع الشخص الذى قابلنى من قبل على حسب ما قال لى ؟ .. »

رفع حاجبيه مع كتفيه بحيرة بليدة ، وقال :

« قالوا إن هناك شخصاً زارهم بنفس الطريقة فى روايتك .. وأخبرهم بالموضوع كله كما أخبرك .. اقتنعوا بحدِيثه .. وفعلوا مثلاً قال .. »

الغريب أن أحداً لا يذكر ملامحه بالضبط .. مثلك تماماً ... »  
ثم أضاف بلهجة من يدافع عن نفسه :

« ولا تقل لى أن هذا يؤكد كلامك .. لقد اخترنا قوالبكم النفسية بعناية شديدة .. ونعلم جيداً شعوركم .. كلكم غير راضين بصورة كاملة عما فعلتم .. وهذا طبيعي منكم .. لذا فمن المنطقي أن تكون قصتكم الخيالية واحدة .. أعتقد أن هذا الشخص هو الجزء الراض منكم للعالم الافتراضى .. وقد زار كل فرد فى التجربة بسبب فقدان البرنامج السيطرة على نفسه .. وتحرر ذاكرتكم من سيطرته ..

ولا تنس أنكم جميعاً خضتم التجربة معاً .. وببرنامج واحد .. وفى عالم افتراضى واحد .. هذا يجعل الخطأ شائعاً .. بل لابد أن يكون شائعاً فى هذه الحالة .. »

اللجنة ! هذا الوغد خبيث حقاً . ولكن نبرة صوته هذه المرة لا تريحنى على الإطلاق .

لكن ما الذى يمنع أن ما يقوله صحيح بالفعل؟! فهو لم يكن يحتاج إلى إخبارى بأمر الزملاء . فقط كان عليه أن يكذب ويقول إن كل هذا وهم فى خيالى وحده .. أليس كذلك!؟

كان عقلى قد وصل إلى أقصى مراحل الإجهاد ، وبدأ الصداع يغزوه فى شراسة .

على أن أفاضل بين قصتين مختلفتين . بين قصة رويت فى عالم وهمى ، وبين قصة رويت فى عالم واقعى . ولكل منهما ثغراته .. ترى أى القصتين ثغراتها أكثر تقبلاً للرتق بإجابات منطقيّة!؟

من البديهي أن أصدق قصة العالم الواقعى بلا أدنى تردد ، ولكننى مازلت حائرًا ، وعاجزًا عن اتخاذ أى قرار .

هنا قال ( عزت ) بلهجة الحسم - وكأنما قد أدرك حيرتى - :  
« قرارك يا أستاذ حسن .. إما الموافقة على استكمال التجربة .. وحصولك على حقك كاملاً .. أو رفض استكمالها .. وفى هذه الحالة سوف نطلق سراحك .. مع العلم بأنك لن تحصل على شيء فى هذه الحالة ... »

قرارك يا أستاذ حسن!؟

لقد كنتُ طوال حياتى أبحث بين صفحات الواقع السوداء على سطر واحد من أعماق الخيال ، وهكذا وافقت على هذا المشروع . لقد بعث ما فى يدي بالفعل بشيء بعيد تمامًا ، ولكنه بدا لى فى ذلك الوقت قريبًا .. قريبًا للغاية .



أترأى أجزمتُ في هذا ؟!

ثم وبينما أنا غارق في سطر الخيال هذا ، لم يهدأ عقلي . بل تَماديتُ ، وتعمقتُ في بحثي أكثر إلى ما بين الجمل في هذا السطر . لقد بحثتُ عن خيال أكثر خيالاً ، فقادني - ولدَهشتي - إلى الواقع مرةً أخرى !

هل هذا يعني أن خيال الخيال ما هو إلاّ الواقع ، على غرار قاعدة نفى النفي إثبات ؟!

أترأى أخطأتُ في المرة الأولى فقط ؟ تلك التي استجبتُ فيها لخيالي .

أترأى قُمتُ بالصواب بشكل عفوي ، عندما تَماديتُ في الخيال ، وتعمقتُ إلى مستوى أعمق وأخطر ، قادني إلى الواقع الذي يجب أن أحياه ؟!

أم أنني أجزمتُ في المرتين ؟! و أن علىّ التوقف عن الخيال إلى أجل غير مسمى ، حتى لا تطحنني تروس الحياة الحقيقية . وليست التروس البشرية التي صنعنا بها عالمنا الوهمي .

هل صارت حياتي قرباناً أدفعه عن رضا تام لـ ... للخيال ؟!  
أم هم بالفعل يدفعون بي كقربان لإله مزيف من الآلة ؟!

زاد التفكير من شدة الصداع ، والذي صار كسيف حاد من الألم يشق رأسي من الخلف ، بينما تنهدتُ في قوة .. ربما أعمق تنهيدة في حياتي كلها ..  
قرارك يا أستاذ حسن ؟!

هناك كوابيس نحيا فيها فتحيا فينا .. وهناك كوابيس نحيا فينا فنحيا فيها . ترى أيهما هو كابوسي العزيز ؟!

تمت بحمد الله ، وتوفيقه

أحمد محمد فريد الشربيني

### المركز الثاني

\* \* \*

## تحت الرمال

الرمال ممتدة إلى ما لا نهاية بامتداد الأفق ؛ يمتزج صفارها الباهت بانعكاس أشعة الشمس عليها وبوجهه المصفر الشاحب فى مزيج جنونى رهيب يصنع لوحة سريالية قاحلة .. كان هو يحدق فى الرمال بعينين متسعيتين ؛ لا يستطيع أن يحولهما ؛ كأن هناك مغناطيسية غريبة تنبعث من تلك الرمال الذهبية .. القافلة تسير ببطء متقدمة للأمام نحو هدف لا تدركه ؛ فقط من آن لآخر يتبادل الدليل ورفيقه نظرات متسائلة دون أن ينطق أحدهما بكلمة .. هى الأخرى لم يكن يروقها الأمر ؛ حرارة الشمس القاحلة أحرقت بشرتها البيضاء ، وحلقها أصبح جافاً تماماً كالأرض القاحلة الممتدة أمامها ؛ السوائل تتبخر من جسدها بسرعة مذهلة ؛ فى شكل قطرات من العرق تحاول ملاحقتها بمنديلها دون جدوى .. أخيراً زفرت فى حرارة والتفتت إليه قائلة :

— « إلى متى سنظل سائرين هكذا ؟ .. »

أجابها دون أن يحول عينيه من على الرمال :

— « لا تقلقى .. لقد اقتربنا .. »

— « اقتربنا ..!! .. اقتربنا من ماذا ؟ .. من سراب .. »

— « ليس سراياً .. إنها هنا فى مكان ما حولنا .. »

ردت فى عصبية أشد :

— « حقاً فى مكان ما حولنا .. ولكن .. أين ؟ .. حتى لو جينا الربيع الخالى كله فلن نجدها .. أتعرف لماذا ؟ .. »

ردد فى برود ثلجى :

— « لماذا ؟ .. »

— « لأن هذه الرمال المتحركة ستبتلع أى دليل على وجودها ..

أفق من وهمك هذا .. »

— « ليس وهماً .. »

— « طبعاً .. ليس وهماً .. ما دام أتى بنا إلى هنا إذن

فهوليس وهماً .. أتحسب أننى لا أعرف لم أتيت بنا إلى هنا ..

إنها أصولك العربية اللعينة .. ولكن إن كنت تحسب أننى سأقدر

على العيش معك هنا لمدة أطول إذن ... »

— « من فضلك .. لم أطلب منك المجيء .. يمكنك أن تعودى

لو أردت .. »

برغم أن ملامحها أنبأت باستمرار ثورتها إلا أنها تماكنت أعصابها في اللحظة الأخيرة ، واغتصبت نصف ابتساماة قائلة :

« آسفة .. إنه الحر الشديد فقط هو ما أهاج أعصابى .. »

لم يبد عليه أى اهتمام باشتعال ثورتها أو انطفائها .. كان منشغلاً بشيء آخر تماماً ؛ ذلك الشعور المبهم الذى ينمو بداخله أكثر فأكثر ؛ بأنه اقترب .. أخيراً سيلقى ذلك العبء عن كتفيه على الرمال ، ويترك لها وحدها كشف سر مجيئه إلى هنا ..

قاربت الشمس على المغيب ، وهم لا يزالون سائرين فى رحلتهم التى بدت وكأن لا نهاية لها .. اختفت النظرات المتسائلة من على الوجوه ، وحلت محلها نظرات التعب والإرهاق والرغبة فى العودة ، وفجأة - دون أن يتوقع أحد - صاح هو :

« هنا .. توقفوا .. »

لم يكن هناك شيء مميز فى البقعة التى طلب منه التوقف عندها .. حتى هو لم يعرف لم طلب منهم التوقف هنا بالذات :

« سنصكر هنا الليلة .. »

قالها بصوت شعر أنه لم يعد صوتَه ؛ كأن شخصاً آخر يتحدث من خلاله وإنه لم يعد سوى دمية فى يد هذا المجهول يحركها كيفما يشاء ..

بدا التذمر على وجه الدليل ورفيق ؛ لكنه لوح بزيادة الأجر فقبلوا على مضض .. تركهم يخرجون الزاد ، ويحددون مكاناً صالحاً للمبيت ، وظل هو واقفاً يحدق فى لاشيء ؛ مشاعر منتشبة غريبة تتراقص بداخله ، ورعشة باردة تجتاح جسده كأنها صدى لتلك الرقصة المحمومة .. وقفت هى بعيداً تراقبه بمزيج من القلق والإشفاق ثم اقتربت مترددة :

« أما زلت غاضباً منى ؟ .. »

« أوه .. كلا .. لقد نسيت كل شيء عن الأمر .. »

صمتت قليلاً وهى تنفرس فى وجهه قبل أن تهمس :

« أخبرنى الحق .. لم توقفت هنا بالذات ؟ .. »

« لا أعرف .. صدقيني لا أعرف .. »

\*\*\*

لم يستطع النوم فى تلك الليلة ؛ زوجته نامت والدليلان ؛ حتى الليل بدا وكأنه نعس على أجفان الصحراء .. فقط هو لم ينام ؛ برغم التعب والإرهاق .. بالرغم من أن كل عضلة فى جسده كانت تصرخ مطالبة بحقها فى الراحة ؛ بالرغم من كل شيء لم يستطع النوم ؛ ربما لأنه صار يخشى النوم بشدة هذه الأيام ..



يخشاہ أكثر من أى شىء آخر ؛ يخشى أن ينام فيطارده ذلك الحلم ثانية .. كان يرى نفسه يسير وحيداً هائماً على وجهه فى صحراء مظلمة ممتدة إلى ما لا نهاية .. يصرخ منادياً فلا يجيبه سوى عواء الذئاب البعيدة .. خطواته تثقل وشفاهه المشققة تتوق للماء .. وفى النهاية يسقط على ركبتيه فى يأس .. وفجأة يسمع ذلك الصغير يعلو ويعلو .. يلتفت وراءه فيراها .. إنها الريح الطوفانية آتية تتلوى وتعوى فى وحشية حاملة الغبار والموت .. يركض ويسقط .. يسقط ويركض .. ولكن عبثاً إنها ستلحق به مهما حاول .. لا ملجأ حوله من العاصفة سوى العاصفة نفسها .. وفجأة يصطدم بذلك الجسد .. يرفع رأسه ليرى وجهها مألوفاً .. من هو ؟ ومن أين أتى ؟ .. لكن لا وقت للأسئلة .. فستبتلعهما العاصفة الآن .. ولكن الرجل يبتسم فى هدوء فارداً ويضمه أسفل عبايته .. يسمع صغير الريح تمر بجوارهما بعيدة .. بعيدة .. ثم يظلم كل شىء ..

ومنذ بدأ ذلك الحلم وبدأت بداخله تلك الرغبة المحمومة فى المجيء إلى هنا .. والآن فى وسط هذه الصحراء المظلمة الحقيقية يبدو الحلم قابلاً جداً للتحقيق .. لكن النجاة لا تبدو ممكنة أبداً .. إذ كيف سيحتسى من الرحيل فى عباءة رجل لا وجود له .. ولكن أين رأى هذا الرجل من قبل ..؟ أين ..؟ إنه

يشعر أنه يعرفه جيداً بل شىء أكبر من حدود المعرفة العادية .. إنه يشعر وكأن بينهما رابطة دم ؛ كأنه ينتمى إليه .. آه من تلك الأفكار اللعينة التى لا تكف عن مطاردته ؛ إنه يكاد يجن .. قرر النهوض ليشتعل لفافة تبغ فى الخلاء لعله يفرغ فى أنفاسها غيظه .. كان الجو بارداً بحق ؛ إنه ليل الصحراء القاسى كنهارها .. أحكم معطفه أكثر حول جسده وهو ينفث دخان سيارته فى الهواء .. سرعان ما ألقى بالسيجارة على الأرض وسحقها بقدمه .. لقد قرر أن يتوقف عن التدخين منذ فترة .. ولكن لم أتى بعلبة السجائر معه من الأصل ؟ .. تباً لكل تلك المتناقضات التى بداخله ..

شعر برغبة فى السير قليلاً بعيداً عن المعسكر ؛ ربما ليس بعيداً جداً ؛ إنه ما زال يذكر تحذيرات الدليل من .... وفى تلك اللحظة شعر بقدميه تغوصان فى الرمال .. لم يتصور قط أن يحدث له هذا .. صحيح أن صدى كلمات الدليل ما زال فى أذنيه ولكن .... أقطع كل هذه المسافة من أجل أن يموت هنا ؟ .. أكان الموت هو ما يناديه كى يجيء إلى هذه الصحراء .. والخطط التى كان يضعها لحياته ؛ كل هذا بدا عبثياً ولا معنى له فى تلك اللحظة .. صرخ محاولاً الاستجداد بأحد منهم .. ولكن لم يبد أن أحداً قد سمعه ؛ تبعثرت كلماته فى الهواء قبل أن تصلهم ..

الرمال تبتلعه فى هدوء قاتل فى حد ذاته والجميع نائمون كالجثث من تعب النهار .. لا أحد يسمع .. لا أحد يرد .. فجأة توقف عن النداء وانتابه تناغم شعري غريب مع قدره .. أخذ يردد آيات قرآنية وأدعية كان يحفظها ؛ هذه هى اللحظة التى يبدو فيها هذا فقط هو الشيء الحقيقى وكل ما عاده كان سرايا أو حلما .. وصلت الرمال إلى أكتافه ، وبين لحظة وأخرى لن يعود قادراً على التنفس .. لحظة واحدة ويعبر الحاجز ويعرف الحقيقة كاملة .. إنه يختنق .. الآن يختنق .. ولم يعد يشعر بشيء ...

\* \* \*

استيقظ على لسع الشمس .. صدمته الإضاءة الباهرة فأغلق عينيه ثانية ثم فتحهما لتصدمان بالأعين المحدقة .. من هؤلاء ؟ .. وأين هو ؟ .. استغرق وقتاً فى تذكر ما حدث .. ألم يمت بعد ؟ .. غريب هذا .. ربما هو ميت بالفعل .. مد يده فى سذاجة وقرص ذراعه فشعر بالألم .. إنه حى بالتأكيد .. هل أنقذه الدليلان فى آخر لحظة ؟ .. لكنه لا يرى أى وجه يعرفه بين هذه الوجوه .. أتبدو قاماتهم أطول من اللازم أم أنه يتخيل ؟ .. إنه لم يستعد تركيزه بالكامل .. كانوا قد انتحوا جانباً قريباً منه يختلسون إليه

النظرات من آن لآخر .. وأخيراً بدا أنهم لاحظوا إفاقتة فاقترب أحدهم منه .. غريب أن الرجل كان يبدو عجوزاً .. عجوزاً جداً كأن عمره ألف عام .. كان الرجل يتحدث ملوحاً بذراعيه بإشارات غير مفهومة .. حديق هوفى وجه الرجل محاولاً أن يتبين ما الذى يقوله لكنه لم يفهم شيئاً .. لم يفهم شيئاً على الإطلاق ؛ صحيح أنه لم يستعد تركيزه ولكن ليس إلى هذا الحد .. جاهد لاستجماع شتات عقله والرجل يواصل كلامه دون أن يفهم شيئاً على الإطلاق .. هذا الرجل ببساطة يتحدث لغة لم يعرفها هومن قبل .. ولكن أى لغة هذه ؟ .. صمت الرجل أخيراً بعدما لمح ملامح عدم الفهم على وجهه وعاد إلى رفاقه ليتبادل معهم همسات بذات اللغة الغريبة .. ثم رجع إليه ثانية ومعه رجل آخر ، تحدث إليه الرجل الآخر قائلاً شيئاً ما .. من جديد لم يستطع هو أن يفهم شيئاً .. هل تختلف تلك اللغة قليلاً عن اللغة الأخرى .. ربما نعم .. ربما لا .. أى جنون ألقى به إلى هذا المكان الغريب ؟ .. بعد أن ينس الرجلان منه ؛ أشار الأول له بيده إشارة فهم منها أنه يطلب منه النهوض .. نهض مترنحاً وكاد يسقط على وجهه فمد يده متعلقاً بعباءة الرجل .. الآن فقط عندما وقف أدرك أن الرجل أطول منه بكثير .. إنه يكاد أن يكون قرماً بالنسبة له ؛ قرماً كاريكاتيرياً مضحكاً .. ليس بالنسبة لهذا

هكذا كشاة مقادة إلى الذبيح دون أن تعلم .. فقط لو يفهم ..  
توقفوا فجأة وفكوا الحصار الذى صنعوه حوله متحين له  
مساحة يرى منها .. اتجه اثنان منهم نحو من بدوا كحراس  
للمبنى واشتبكوا معهم فى حوار ما تتخلله إشارات إليه .. أما هو  
فاستغل الفرصة كى يدير عينيه متأملاً المكان ؛ كانوا فى تلك  
اللحظة أمام مبنى أبيض هائل الضخامة فى مثل ارتفاع ناطحة  
سحاب .. تصميمه ونقوشه بها مزيج غير مريح من الجمال  
والغراية .. يستطيع أن يقسم أنه لم يشاهد مثله من قبل .. شعر  
برهبة شديدة من الوقوف فى حضرة هذا البناء الحى الذى يحدق  
فيه بأعين خفية .. لم يكن أمامه المزيد من الوقت للتأمل لأن  
الرجلين عادا فى تلك اللحظة ودفعاه أمامهما إلى الداخل ..

لم يبد المبنى مريحاً كذلك من الداخل .. كان شديد الاتساع  
لا يضيئه سوى ضوء النهار الباهت عبر نوافذ ضيقة .. قبدت  
هناك الكثير من المساحات المظلمة الشاسعة تتحرك فيها الظلال  
الغامضة بحرية .. تركهم باقى الجمع عند البوابة ولم يبق معه  
سوى الرجل الذى حاول محادثته فى البداية وانضم إليه أحد  
الحراس .. اتجهوا إلى غرفة ضيقة دلف إليها هو أولاً مدفوعاً  
بلمسة من يد الحارس .. أترأه سجننا ؟ .. لكن سرعان ما انضم  
إليه الحارس والرجل فى الحجره وبدأ يشعر أنه يصعدون إلى

الرجل فقط بل كل الرجال الواقفين كانوا طوال القامة بصورة  
مذهلة ؛ وجوههم .. وجوههم رمادية متفضنة عجوز .. التفوا  
حوله فحببوا ضوء الشمس وبدأ يشعر بالبرودة والخوف .. تَبَّأ ..  
فقط لو يفهم أين هو ؟ .. فهم من نظراتهم وإشاراتهم أنهم  
يطلبون منه التحرك إلى الأمام .. نفذ على الفور فمثل هؤلاء  
لا يجب معارضتهم إطلاقاً فإن أصغرهم قادر على سحقه بضربة  
واحدة .. تحرك فى وسط دائرة منهم .. لم يستطع أن يرى شيئاً  
مما حوله بسبب أجسادهم التى حجبت عنه كل شىء حتى الهواء  
لكنه لاحظ أن الأرض التى يسير عليها عشبية ندية ؛ إذن  
فهوليس فى الصحراء أو ربما فى واحة قريبة .. لكن الربع  
الخالى لا يحتوى على أية واحات ؛ إنه ميت تقريباً بسبب تلك  
المساحات الشاسعة من الرمال المتحركة .. أما هنا فهذا العشب  
الطرى الطويل الذى تكاد قدميه تغوصان فيه .. وهذه الرائحة  
العطرية الجذابة التى تعبق الهواء ؛ هذا مرج حى بكل ما تحمله  
الكلمة من معنى ..

شعر بنظراتهم الفضولية تخترقه ممتزجة بضجر خفى ؛ ربما  
بسبب بطنه الشديد فبخطواته القصيرة تلك مقارنة بخطواتهم بدا  
وكأنه سلفاة عجوز تسير وسط مجموعة من الأرتاب الشابة ..  
ولكن إلى أين يذهبون به ؟ .. لا يبدو مريحاً جداً أن يسير معهم



أعلى ؛ هذا مصعد .. يا لغبانه ؟ .. ولكن يا له من مصعد غريب الشكل .. لا توجد أزرار بالداخل أو أى شىء يدل على كيفية عمله .. اتنايته الحيرة أكثر .. توقف المصعد أخيراً .. سارا به حتى توقفا أمام أحد الحجرات .. وقيل أن يفهم أى شىء كان الحارس قد دفعه إلى الداخل وأغلق الباب .

\* \* \*

كانت الغرفة مظلمة تماماً ، جعلها هذا تبدو عميقة كأن لا نهاية لها .. خاف أن يتحرك من مكانه كى لا يضيع فى غورها السحيق .. ظل رابضاً بجوار الباب وقد توترت حواسه كلها مع عجز البصر عن الرؤية .. ما الذى يرقد فى تلك المساحة المظلمة المترامية الأطراف ؟ .. ألقى بجسده على الأرض مسنداً ظهره إلى الباب وتنهّد .. فقط لو يستطيع أن يفهم أى شىء .. أين هو ؟ .. ومن هم ؟ .. ولم أتوا به إلى هذه الحجرة المظلمة ؟ .. ألم يكن من الممكن حجزه فى حجرة بها أى بصيص من النور ؟ .. لا يعرف لماذا تذكر ما قرأه عن حجرات الإعدام بالغاز .. كلا إنه لم يفعل شيئاً كما ..... بتر أفكاره سماع صوت حركة فى مكان ما من الحجرة .. دار بعينه فى الحجرة عبثاً محاولاً اختراق حجب الظلام .. ما الذى يتحرك

هناك ؟ .. لا يستطيع أن يرى شيئاً .. تبأ .. لو ظل هنا لساعة أخرى فسيصاب بالجنون حتماً .. ربما هذا ما يريدوه .. وفى تلك اللحظة شعر بالباب يدفع من خلفه ، وظهر من خلفه وجه الحارس .. بدا له فى تلك اللحظة كأجمل وجه فى العالم ، وانقاد على الفور مع اليد التى جذبته خارج الحجرة .. أوقفه الرجل فى الممر قبل أن يخرج عصابة ويغطى بها عينيه .. ومن جديد ساد الظلام أمام عينيه .. لماذا يصرون على تعميته بأية وسيلة ؟ .. شعر بالرجل يسحب مخترقاً به ممرات وهمية يراها هو فقط بخياله .. لم يكن الأمر مريحاً على الإطلاق وكان يشعر فى كل لحظة بأنه سينكفى على وجهه وأنه على وشك أن يصطدم بحائط غير منظور .. أخيراً توقف الرجل دون أن ينزع العصابة عن عينيه .. من جديد اجتاحه التوتر .. لماذا توقف الرجل ؟ .. ولم تركه فى الظلام .. أترأه سيعدم ؟ .. ربما شنقاً هذه المرة .. شعر بالرجل يجلسه وبشئء بارد يلمس جبهته .. ثم ذاب كل شىء .. طوفان من الذكريات .. أفكار تتابع بسرعة مذهلة لا يستطيع السيطرة عليها .. آلاف الأصوات تصرخ وتضحك فى ذهنه .. رأسه يكاد ينفجر .. وهدأ كل شىء فجأة كما بدأ وأظلمت الرؤية أمام عينيه .. فعلياً هذه المرة ..

\* \* \*

تسلل الوعي إلى رأسه بطيناً ثقيلاً .. عضلاته مخدرة تقريباً ؛ غير قادر على تحريكها .. تذكر ومضات باهتة مما حدث .. يا له من حلم ثقيل .. لقد رأى أنه ..... وفي تلك اللحظة اخترق حاجز خواطره المبعثرة صوت يقول :

« هل أنت على ما يرام ؟ .. »

كاد يرد .. لكن الكلمات احتبست في حلقه عندما تنبه إلى شيء بسيط ؛ الجملة التي قالها الرجل وفهمها هو على الفور كانت بلغة لم يعرفها قط قبل الآن .. فتح عينيه على اتساعها محدقاً في المكان من حوله .. لم يكن يحلم إن .. هذا المكان ، وهذه النقوش الغريبة على الجدران .. إنه ما زال هنا .. كان الرجل يقف معطياً إياه ظهره يفعل شيئاً ما على منضدة حجرية ملتحمة بالجدار .. ومن جديد وصله الصوت الهادئ عبر مساحة الحجرة الخاوية :

« أعتقد أنك ما زلت تشعر ببعض الصداع الخفيف .. »

ودون أن ينتظر إجابته أردف :

« لا تقلق سيزول بعد قليل .. »

كان وقع الكلمات على سمعه له رنين غريب .. دعك من صوت الرجل المجوف العميق كأنه يأتي من بعيد .. من بعيد جداً .. وتابع الرجل دون أن يلتفت :

« لقد مررت بتجربة نقل المعرفة .. وهي مرهقة بعض الشيء .. لكنك ستكون بعد قليل قادراً على التحدث بلغتنا .. »  
التقط هو العبارة الأخيرة وبدأ يحاول تحريك شفثيه .. هل يمكنه التحدث فعلاً بهذه اللغة ، وخرجت الكلمات من شفثيه دون أن يعي كيف :

« أين أنا ؟ .. »

بدت الجملة غريبة كأن شخصاً آخر هو من قالها .. جاءه الرد مغلفاً بغلالة من الغموض :

« أنت في المبنى الرئيسي لمصانع الخلود .. »

ثم صمت الرجل برهة قبل أن يتابع :

« أعلم أن الأمر رهيب .. ولكنني سأجد حلاً .. لا بد وأن يتوقف هذا .. لا بد .. »

لا يعرف لماذا تكلم الرجل معه بهذه البساطة كأنه يعرفه منذ زمن والغريب إنه بدأ يشعر أن الصوت مألوف كذلك .. أين سمعه من قبل ؟ .. لكنه لم يفهم شيئاً مع ذلك .. فعاد يقول في بضع :

« ما هي مصانع الخلود ؟ .. أنا لا أفهم أي شيء .. »

لم يبد على الرجل أنه سمع عبارته فقد التفت فجأة قائلاً  
بسرعة :

« لحظة واحدة .. سأعود حالاً .. »

ثم اتجه خارجاً من الحجرة ، وتجمد هو في الثانية التي التفت  
فيها الرجل .. فلقد عرفه على الفور ..

\*\*\*

الوجه .. الوجه الذي رآه في الحلم .. الملاح القوية الحنون ..  
الملاح المألوفة .. القريبة البعيدة .. إنه هو ولكن كيف ؟..  
كيف ؟.. أى جنون هذا .. فعلاً لا بد وإنه قد جن ؛ هذا هو  
التفسير الوحيد لكل ما يحدث .. قطع تفكيره فتح الباب ودخول  
رجلين .. كان أحدهما الحارس الذي قاده في المرة الأولى ورجل  
آخر أشار إليه باشمنزاز قائلاً للحارس :

« أطمعه وأبدل ثيابه ثم أنتى به .. »

لسبب ما شعر كأن الرجل يسبه بتلك الكلمات .. ربما لطريقته  
التي توحي بأنه يتحدث عن أحد حيواناته الأليفة أكثر من كونه  
يتحدث عن إنسان يقف أمامه .. تركهما الرجل وخرج فجذب  
الحارس بخشونة قائلاً :

« تعال معى .. »

سار معه إلى الحجرة المجاورة ودفعه إلى الداخل .. كان جل  
ما يخشاه أن تكون الحجرة مظلمة تماماً كالسابقة لكنها كانت  
مضاءة هذه المرة عبر كوة صغيرة ضيقة .. أشار الحارس إلى  
طبق وثياب مكمومة على الأرض قائلاً له :

« كل وغير ملا بسك .. هل تعرف كيف تفعل ؟!!! »

هز هو رأسه في بضع فقال الحارس بعنف غير مبرر :

« هذا أفضل .. »

ثم تركه وخرج .. جلس هو على الأرض مرهق الجسد والروح ..  
أى دوامة ألقى بنفسه فيها .. وهؤلاء يعاملونه كأنه يفهم كل  
شياء وكأنهم كذلك يعرفون كل شياء عنه .. غريب فعلاً إنهم لم  
يسألوه عن أية تفاصيل ؛ من أين أتى ؟.. أو من هو أو أى شياء  
إطلاقاً .. وكيف جعلوه يتعلم لغتهم مباشرة هكذا دون دروس  
أو كتب .. ولم علموه اللغة أصلاً ما داموا لم يسألوه عن أى  
شياء .. ربما فقط لتسهيل التعامل معه .. ثمة شياء مقلق فى  
هذا الأمر .. يستطيع أن يشعر به لكنه لا يستطيع أن يراه  
أو يمسه به .. شياء يشعر انه رهيب .. رهيب جداً .. وعندما



جاء الحارس ليصطحبه كان عقله يترنح من القلق .. إلى أين سيذهب به بالضبط ؟

\*\*\*

المرر بارد ومعتم .. هدوء رهيب يخيم على المكان .. لا أحد سواهما والظلال المرتعشة على الجدران .. هواء بارد يتسرب من مكان خفى ويجعله يرتجف .. ثمة تواجد ثقيل فى تلك المدينة .. منذ دخلها وهو لا يشعر بالراحة كأن هناك شبح ما يجثم عليها ؛ شبح يحجب عنها الطمأنينة والدفء ..

سار صامتاً أمام الحارس بينما أفكاره لا تكف عن الصراخ .. الأسئلة ذاتها من جديد ؛ من أين ؟ .. إلى أين ؟ .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ .. وتظل الأسئلة معلقة بلا إجابة .. فكر فى الهروب من الحارس ولكنه تلقائياً يجد نفسه يتساءل إلى أين ؟ .. إنه لا يعرف حتى أين هو أو سيعرف إلى أين يهرب .. فقط وجود ذلك الرجل الذى رآه فى الحلم يطمئنه بعض الشيء .. فى الحقيقة يطمئنه ويقلقه فى الوقت نفسه .. أو من الممكن أن يتحقق الحلم نفسه ؟ .. أفاق على وقوف الحارس أمام أحد الأبواب ، فتحة بهدوء ، وأدخله ثم خرج تاركاً إياه دون أى توضيح .. كان المكان عبارة عن حجرتين متصلتين عبر باب نصف موارب ، ومن خلف الباب أتاه

صوت نقاش عصبى .. اقترب من الباب دون صوت واستطاع أن يلمح عبر فتحته وجه رجل الحلم الغريب يتحدث مع شخص آخر قائلاً بعصبية :

— « ليس هو أيضاً .. »

— « لا أعرف ما الذى حدث لك .. لقد كنت تفعل هذا دائماً .. »

— « لم أكن أعرف .. لقد كنت أحسبهم موتى من البداية .. لم أكن أعرف أننا نقلتهم من أجل .. .. »

— « قلها .. من أجلنا ... من أجل أن نعيش نحن حياة أطول وأصح .. ألا ترى أن الأمر عادل تماماً .. »

— « عادل كيف ؟ .. »

— « نحن الأفضل والأقوى .. أنظر إلى هذا الرجل الذى وجدوه .. إنه فى نصف طولنا تقريباً .. مشكلتك أنك تنظر إليهم على أنهم بشر .. »

— « وماذا يكونون إذن !!! .. »

— « دجاج .. دواب .. سخرأولنا .. »

— « ولكن .. »

بتر عبارته عندما لاحظ تلصصه عبر فتحة الباب .. والتفت إلى الآخر قائلاً :

« سنكمل كلامنا فيما بعد .. »

لأول مرة التفت الآخر إلى وجوده .. رمقه بنظرة لا مبالية ثم قال :

« هل ستفحصه أنت أم .... ؟ .. »

« لا تقلق سأتولى أنا الأمر .. »

« هل أنت متأكد ؟ .. »

« آه .. طبعاً .. طبعاً .. »

« وماذا عن حديثنا ؟ .. »

« كما أخبرتك .. سنكمله فيما بعد .. فيما بعد .. »

« حسناً لقد كنت أرغب في العودة إلى البيت .. لا أعرف

لماذا أشعر بالبرد اليوم .. ربما بسبب تلك الرياح .. يبدو أنها ستمطر .. »

ردد الأول في خفوت :

« الرياح .. »

عبر الآخر الباب وممر من أمامه مغادراً الغرفة .. استطاع هو أن يلمح وجهه لقد كان ذلك الرجل الذي طلب إحضاره إلى هنا .. لم يحبه قط أو يرتاح إليه لكنه تمنى لو بقى كى لا يبقى هو وحده فى مواجهة هذا الرجل .. رجل الحلم المهيب .. وجده يلتفت إليه قائلاً :

« أعتقد أنك سمعت ما كنا نتحدث عنه .. »

هز هو رأسه فى وهن .. كل هذا الجنون أجم لسانه وأرهقه ، وسبب آخر كذلك ؛ أنه شعر بعدم قدرته على النطق فى حضرة هذا الرجل بوجوده الطاعى .. كان يريد أن يخبره أنه حلم به .. كان يريد أن يحكى له كل ما حدث من البداية .. كان يريد أن يقول الكثير والكثير .. لكنه لم يستطع سوى أن يعبر حدود الرهبة بعبارة باهتة :

« لكنى لم أفهم .. »

تعجب لصوته كيف خرج ضعيفاً ضارعا كأنه يرجوه أو يشتكى له .. صمت الرجل لحظات ناظراً للأرض قبل أن يقول :

« ربما من الأفضل ألا تفهم .. ولكن .. حسناً .. لا أعرف كيف أقول هذا .. آ .. أنت لا تعرف ما هى مصانع الخلود أليس كذلك ؟ .. حسناً .. إنها .. يا إلهى .. كيف أخبرك .. »

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول

« لا بأس .. بدأ الأمر منذ بضع سنوات .. بعدما أصبحت مملكتنا الأقوى بين كل الممالك المجاورة .. بدأت في الإغارة على بعضها .. كان هناك الكثير من القتلى في الحروب .. وكان لا بد من دفنهم أو تركهم في العراء ومن هنا جاءت الفكرة .. لماذا لا نستخدمهم كبديل لأعضائنا القتلة .. فمن يموت يتم أخذ أعضائه المهمة واستخدامها للمرضى الأحياء .. لعلك لاحظت أن هناك عجائز أكثر من اللازم هنا .. ربما لم تلاحظ .. نيس مهما .. المهم أنه بمرور الوقت لم يعد الأمر قاصراً على الموتى أو قتلى الحرب .. إنما انتقل إلى الأحياء من القبائل الأضعف .. يتم انتقاء الأصحاء منهم وجلبهم إلى هنا .. ثم قتلهم .. والاستفادة بأجزائهم .. وهذا ما عرفته أنا متأخراً .. متأخراً جداً للأسف .. أعتقد أنك فهمت الآن كل شيء .. ولكن هذا لن يستمر .. لن يستمر لسبب بسيط لقد بدأت تباشير الريح و .... »

كان هو مغيباً تماماً .. ما هذا الذي يتحدث عنه الرجل .. ودون وعى وجد نفسه يقاطعه :

« لحظة واحدة .. أريد أن أعرف أين أنا بالضبط .. »

وبكل بساطة أجاب الآخر :

« لا تقل لى أنك لا تعرف بكونك في مدينة إرم العظيمة ذات العماد .. »

\*\*\*

الرياح تعوى .. من بعيد تعوى كأنها آلاف الذئاب تستعد لنهش جثث حية .. كان هو يرتجف في ملابسه الفضفاضة كأنه يعيش ذلك الحلم بتفاصيله لكنه لا يحلم هذه المرة .. فالرجل يسير بجواره والريح تعوى من ورائهما .. لقد أخبره الرجل أن الليلة هي الليلة الموعودة وأنه سيهرب خلف نبي الله وأنه سيأخذه معه .. وتسلا معاً في الليل .. أحقاً يحدث له كل هذا .. شعر بدوار وأنه غير قادر على المشى .. ترنح وسقط على ركبتيه على الأرض .. واقترب منه الرجل ومال عليه محتضناً إياه تحت عبايته وهو يقول :

« لا تخف .. سننجو بإذن الله يا بنى لأن الله معنا .. »

شعر هو بالراحة والدفء وابتسم ابتسامة خافتة قبل أن يذوب كل شيء أمامه في ظلام العباية ..

\*\*\*

من جيد فتح عينيه لتصدما بأشعة الشمس القاسية فأغلقهما بسرعة ، وخاف أن يفتحهما ثانية .. أين هو الآن .. هذه المرة الألف التي يفقد فيها وعيه ولا يعرف أين هو .. فتحهما ثانية في حذر فوجد وجهها مألوفاً يبتسم ويقول :

« أخيراً أفقت لقد أفزعتنا .. »



كانت زوجته تقف هناك .. يلمع شعرها الذهبي تحت ضوء الشمس .. هل حقاً ما زالت زوجته موجودة .. لقد ظن أن هذا العالم الذي كان يعيش فيه لم يكن أكثر من حلم وأن حياته الحقيقية كانت هناك تحت الرمال في مدينة إرم ذات العماد .. في وجوده فيها وهروبه منها في جنح الليل .. وسمع صوته زوجته يأتي من ذلك العالم الآخر قائلاً :

« لقد خفت كثيراً عليك .. »

كان لا يزال يحدق بها في ذهول كأنها تتحدث إلى شخص آخر غيره .. أجزاء جسمه محطمة وروحه محلقة في عالم آخر .. لكنه تجاوز عن هذا وحاول أن ينهض قائلاً :

« هيا لا داعي للانتظار .. يجب أن نعود اليوم .. »

من جدى شعر أن شخصاً آخر يتكلم بدلا عنه .. يعود .. إلى أين ؟؟ وهو يشعر أن هنا مكانه .. سمع زوجته تقول :

« ما بك .. لماذا قررت العودة بهذه السرعة ؟؟ .. أن تكمل بحثك .. لو كنت تفعل هذا من أجلى فـ .... »

هذه المرة قاطعها هو قائلاً :

« بالمناسبة .. أنا لن أعود ثانية إلى إنجلترا .. »

« ماذا تقول ؟؟ .. »

« لو أردت أن تعود أنت فهذا حقدك .. لن أجبرك على شيء .. »

صمتت هي لحظات قبل أن تقول :

« سأبقى .. سأبقى معك .. »

وشعر هو أنه من يقول هذه العبارة لشخص آخر تماماً .. متواجد في مكان ما حوله .. روحه تحلم قريباً من مدينته المدفونة تحت الرمال ..

تمت بحمد الله

هبة الله محمد حسن السيد

المركز الثالث

\*\*\*

أطيب تهانئ للفائزين ، وتمنياتى لمن لم يشأ له قدره الفوز هذه المرة ، وأملئ أن تكونوا جميعاً نواة المسابقة ..

ونواة المستقبل .

باقة من القصص  
والروايات المصرية  
قمة فى التشويق والإثارة

# روايات مصرية للجيب

## كوكب ٢٠٠٠

### فى هذا الكتاب

صفحة

- فلسفة الخيال ..... 5
- مسابقة د. نيل فاروق لأدب الخيال العلمى للشباب
- وللتخاير ايضا... تاريخ ادراسته) ..... 18
- جريمة رقمية (قصة العدد) ..... 81
- 1. الزائر ..... 82
- 2. مسألة رقمية ..... 100
- 3. الشهيد ..... 117
- 4. المفاجأة ..... 134
- 5. دراكيولا ..... 153
- 6. الشريك ..... 171
- 7. حتام ..... 190
- محلنا ..... 199
- يوجينا ..... 202
- وثنية.... (رواية قصيرة) ..... 232
- تحت الرمال ..... 312

المؤسسة  
العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة والسكندرية



التمن فى مصر 500

وما يعادله بالدولار الأمريكى  
فى سائر الدول العربية والعالم